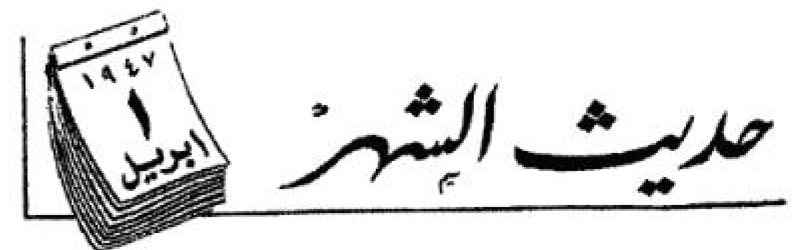

الهلال
فرحة الجلاء

أسـئلة وردود ..

[اخترنا من رسائل القراء هذه الأسئلة والملاحظات وردرنا عليها فيما يلى دون الاشارة الى أسماء مرسليها]

- س ــ أليس فى الامكان استعمال نوع من الورق أفخر من النوع المستعمل الآن ؟
  ج ــ قد نستطيع ذلك فى المستقبل ، ولكن استيراد الورق ما زال صعباً ، وثمنه فى ارتفاع
- س ــ لماذا اخترتم هذا الحجم الصغير للهلال ؟
  ج ــ ذاع هذا الحجم فى مختلف الأقطار الغربية لسهولة حمله وتداوله ، ونرى أنه يتفق ومقتضيات هذا الزمن
- س ــ حبذا لو ألغيتم الصفحات المشغولة بالاعلانات !
  ج ــ إن نشر الاعلانات من مصلحة القارىء طالما أنها لاتطغى على مادة المطالعة ، فهى مورد مالى يعين على تخفيض ثمن المجلة ، ولولاه مابيعت بهذا المبلغ الضئيل
- س ــ الحروف التى تستعملونها صغيرة . فهل يمكن تكبيرها ؟
  ج ــ إننا نفكر فى تنويع الحروف المستعملة الآن بحيث يكون جانب من المجلة من بنط أكبر . ونحن نعنى باتقان الطبع لتسهل المطالعة بالرغم من صغر الحروف
- س ــ ألم تفكروا فى تقديم هدايا الى المشتركين كما كنتم تفعلون فى الماضى ؟
  ج ــ كانت الهدية السنوية عوضاً عن شهرين يحتجب فيهما الهلال . وقد عزمنا الآن على إصداره شهرياً بلا انقطاع ، ولعله بهذا يؤدى رسالته على وجه أوفى
- س ــ لماذا لا يكون الهلال مجلة للخاصة تنشر المباحث المستفيضة والدراسات العميقة ؟
  ج ــ هدف الهلال الافادة والتثقيف فى أوسع مدى مستطاع . وقد نشأت طبقات من القراء متعطشة إلى المطالعة ، والوقوف على سير العالم فى شتى النواحى . فشعرنا أن من واجبنا الاستجابة لهذه الرغبة
- س ــ كم يطبع من الهلال ؟
  ج ــ فاق إقبال القراء ما قدرناه ، فقد طبعنا من العدد الأول ٥٠٫٠٠٠ نسخة وطبعنا من العددين الثانى والثالث نحو ٧٥٫٠٠٠ نسخة ، وهذا العدد الرابع الذى بين يدى القارىء قد طبع منه ٨٠٫٠٠٠ نسخة


مرحبا بالربيع



عقدة العقد

قال أكثر من سياسى عالمى ان الامبراطورية البريطانية لا يمكن ان تعيش فى عالم يسوده السلام ، لأنها عندئذ تصبح كالعقدة الواحدة فى الخيط السلس الطويل ، فتتجه الانظار الى حلها

وكنا نريد دائما ان نعتقد غير هذا الذى يقولون ، ولكن أعمال هذه الامبراطورية ، فى ماضيها وحاضرها ، لا تكاد تشجع الفرد منا على الكفر بما يقوله خصومها السياسيون ، فنحن لا نكاد نجد فى الدنيا خصومة الا وبريطانيا طرف من أطرافها ، ولا نكاد نجد عقدة الا ولبريطانيا أصبع فى عقدها

وفى الشرق عقدتان على الأقل قامت بريطانيا وحدها بعقدهما ، وقامت بذلك على علم ، وعلى ما نحسب فى غير اضطرار ، الا احتياجها الى العقد التى تختفى بينها عقدتها الكبرى

أما العقدة الأولى فعقدة فلسطين . لم يكن بالشرق كله مسألة تعرف بالمسألة الفلسطينية . وفى الحرب العالمية الأولى ، وفيما قبلها ، كان العرب ينظرون الى اليهود على أنهم أبناء أعمام ، يجرون معهم على ما جرى أسلافهم فى القرون الماضية من كرم ضيافة وحسن جوار . وكان الرجل منا يلقى الاسرائيلى فى البلد الغريب ، فيحس نحوه بعطف الشرقى على الشرقى ، ويتندر معه فى أصول اللغات وأصول الأجناس لما بينهما من شركة فى هذه وتلك ، ولانتسابهما جميعا الى الشعوب التى خرج منها الرسل والانبياء

ثم يأتى وعد بلفور ــ بلل الله ثراه ، فهو فى حاجة الى البلل الكثير ــ يأتى وعد بلفور لقوم غير قومه ، وفى أرض غير أرضه ، فتنعقد به العقدة التى لم يجدوا لها الى اليوم حلا ، ولن يجدوا له بدلا ، وبدلت امبراطوريته من سلام هذه البقعة الطاهرة حربا ، ولطخوا أرضها الطاهرة بالدماء ، ولا يدرى الا الله كم من دماء زكية أخرى ستسيل فيها ، لا فى هذا العام والذى بعده ، بل فى هذا القرن والذى بعده ، فى خصومة دامية لا بد أن تطول ، لأنها خصومة على الحياة نفسها

أما العقدة الثانية فعقدة السودان : شعبان على نهر واحد ، وفى واد

واحد ، ذوا لغة واحدة وعقائد واحدة وتاريخ واحد ، وامتزجا على الأحقاب على العادة الواحدة والأمل الواحد، فتأتي الامبراطورية البريطانية ، ولها دم غير هذا الدم ، ولسان غير هذا اللسان ، ولون غير هذا اللون ، تأتي فتدخل بينهما رويدا رويدا دخول الماء في الحجر ، يرى قليلا ، ولكنه يرى طويلا . ثم ينشق الحجر على نفسه ، فتذهب قوته بذهاب وحدته ، فيكون أطوع في اليد التي تستغل ، وأحنى للمشيئة التي تستذل . وتنكشف المأساة عن خصومة بين الاخوة ، تنذر بحرب حيث لم تكن حرب ، وبإسالة الدماء حيث كانت الدماء رابطة الأخاء

وماذا تجني الامبراطورية من كل هذا ؟

ليت شعري ما ضرها لو حاولت يوما أن تعيش مع الناس على ثقة ، وفي صفاء ، وعلى غير رياء ، وعلى المبدأ القائل : « عش ، ودع الناس تعيش . »

ولكن لا ، فالامبراطورية هي الامبراطورية ، عقادة العقد ، يقول الناس فيها ماقال القرآن في أبي لهب: « تبت يدا أبي لهب وتب »

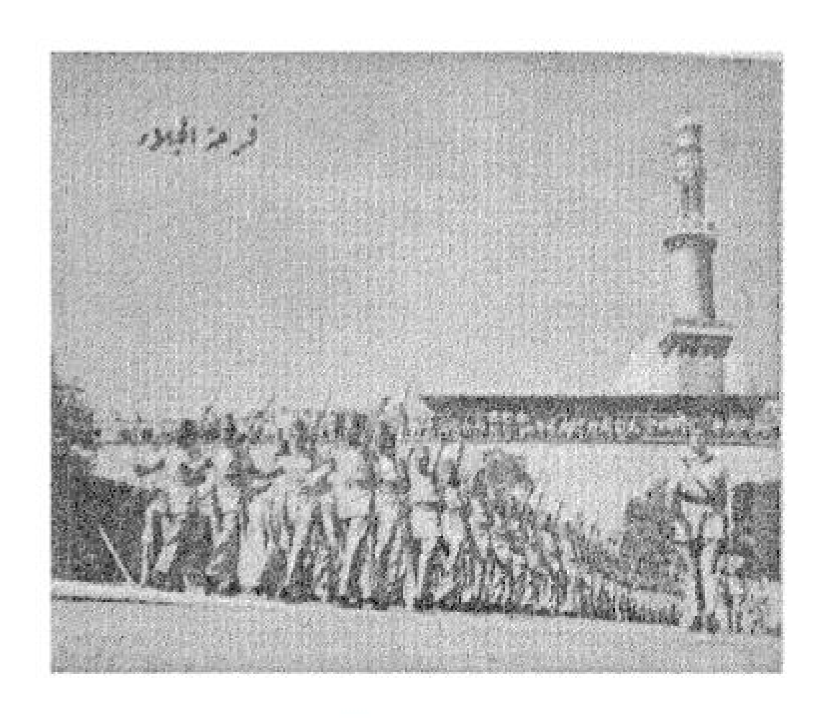
فرحة الجلاء

وبعد أربعة وستين عاما بدأ الجلاء عن مصر ، أو هكذا وعدوا . وبدأوا بالجلاء عن المدن والريف . والجلاء لا يتم الا اذا جلوا عن الحدود . ووعدوا بهذا الجلاء الناقص ان يتم قبل حلول ابريل هذا . ونحن قد حضرنا الخيام لتقام، وجهزنا الشموع لتضاء ، والصواريخ لتصرخ بها في الجو لجسور كان قزال . وأعددنا الطبول والمزامير ، والخيل لترقص ، والنساء لتزغرد ، ومع كل هذا فنحن نحس الريبة في قلوبنا ، من طول ما كذبوا ، ان هذا الجلاء ، ولو منقوصا، قد يعتوره في آخر ساعة معتور

لقد جلوا عن حصون الاسكندرية، وجلوا عن قلاع وبقاع كثيرة في القاهرة . ودخلناها من بعد ماخرجوا دخلها جندنا بأقدام ثابتة ، وصدور بارزة ، ورؤوس مرفوعة . وبقي الحصن الأكبر ، قصر القاهرة الأعظم والأفخم ، « قصر النيل » ، يريد ان يدخله المصريون زرافات زرافات من بعد ان أوصدت في وجوههم أبوابه منذ نيف وستين عاما . يريدون ان

الهلال تقدم ٢٠٠ جنيه في مسابقة تمثال نهضة وادي النيل

[انظر صفحة ٧٨]



يدخلوه لأول مرة ، ليسجدوا على ترابه ، وليتمسحوا بأعتابه، وليدوروا فى حجراته، بأنفس مستأنسة مستوحشة معا ، وعلى قلوب فرحة حزينة ، خفيفة ثقيلة ، وبأعين تقف فيها العبرات ، فما تدرى أعبرات أفراح هى أم عبرات أحزان ؟!

يريد المصريون ان يدخلوا دارهم العظيمة التى شيدها الأجداد ، وحرم من دخولها الآباء والأحفاد، وسكنها اغتصابا قوم غرباء الألوان أعاجم اللسان . ويريد ان يدخلها المصريون كافة ، على اختلاف طوائفهم ، وتعدد نوازعهم ، فلا يختص بها دونهم الأسرى منهم والمعتقلون . يريدون ان يدخلوها ليقفوا لأول مرة عند حرف القصر على حافة النيل ، وليروا كيف تظهر لهم الجزيرة من هذا الموقف الذى استطاعوا لأول مرة فى وطنهم ان يقفوه ، وليتذوقوا من النهر العزيز ماء لأول مرة عند هذا الحرف اغترفوه . يريدون ان يدخلوها لأنها دارهم وكفى

كل دار أحق بالأهل الا

فى خبيث من المذاهب رجس

فهذه فرحة الجلاء ، لا يعيبها الا أنها كالجلاء ناقصة ، لأنها لم تشمل الحدود ، ولم تشمل الوادى . ولكنها فرحة ستتم بجهادنا والسواعد ، وبالثقة تعود الينا فتذكر بها أننا ، على الفقر والجهل والمرض ، ما زلنا سادة أبناء سادة ، فى دمنا مجد

الفراعين ، وفى نفوسنا اباء القحطانيين وفى أصولنا تلك الخمائر الطيبة التى يربو عليها العيش ويزكو ، وتصلح علیها دنیانا وتطيب الحياة

الهند

وطلع رئيس الحكومة فى لندن على العالم بخبر غريب .. ان حكومته اعتزمت ان تعطى الهند استقلالها ، وضربت لذلك موعدا قريبا هو العام القادم . ووقف الناس من هذا الخبر ذاهلين ، بين مكذب له ومصدق . قالوا ان الهند هى الجوهرة الكبرى فى التاج البريطانى ، فماذا يبقى فيه بعد ذلك من جوهر . ورجع الحيرون بطرائق الامبراطورية فى التصاريح ، وأساليبها فى الجمع بين حاجاتها الدائمة وحاجات الزمن المتغير ، رجعوا الى النصوص يستفتونها فلم يجدوا فى الأمر قطعا ولا حسما . فالهند قد تكون لأهلها وقد لا تكون ، والانجليز قد يبقون فى الهند وقد لا يبقون ، والاستقلال كلمة عرف الانجليز ان يحشوها من المعانى ما شاءوا ، وهم على استعداد دائما ان يشبعوا كبرياء الأمم بما يسبغونه عليهم من مظاهر السيادة ، ما بقيت فى أيديهم حبالها يشدونها بالحكم ولو من بعد ، ولو فى أقبية تحت الأرض ومسارب فى الماء

قال رئيس وزرائهم آتلى فى تصريحه : « .. ان الحكومة البريطانية اعتزمت ان تنقل أعنة السلطة فى الهند الى أيد هندية فى موعد غايته يونيو ١٩٤٨ »

فهو لم يقل شيئا عن الجلاء عن الهند ، أين يكون ومتى يكون ؟ وفى عام ١٩٢٢ أعلنوا سيادة مصر واستقلالها ولم يكن معنى ذلك الجلاء . وفى عام ١٩٣٦ أعلنوا استقلال مصر مرة أخرى ، ولم يكن معنى ذلك الجلاء . فاستقلال الأمم عندهم شىء ، وجلاء الجنود الانجليز عنها شىء آخر . ولقد عرفنا أى استقلال كان لمصر والاحتلال قائم !

ثم امارات الهند .. قال آتلى : « انه ينتظر تنظيم علاقات التاج بهذه الولايات ، كل منها على حدته ، طبقا لاتفاقات تعقد خلال الفترة التى تسبق نقل السلطة الى الهنود »

والحكم فى هذه الامارات كما نعلم حكم مطلق ، والحكم المطلق لا يرتاح كثيرا الى النهضات ، ولا الى الحريات . فهؤلاء هم الحكام المطلقون الذين ستنظم بريطانيا معهم علاقتها . ولم أفردتهم بريطانيا بتنظيم العلائق ، كلا على حدته ، وهم بعض الهند ، وأهلهم بعض أهله ؟ الا أنها ترى فيهم حلفاء ، وترى فيهم اذا ما تنكرت لهم الهند ، وتنكرت شعوبها ، نصراء

وقال آتلى فى سياق آخر : « ليس



خريطة الهند توضح مواقع الامارات والباكستان والهند البريطانية

فى نيتنا ان نسلم الهند للفوضى »

والحكومة التى زعمت أنها ضمينة بقيام حرب أهلية فى السودان، ومجزرة آدمية ــ اذا دخله المصريون ــ جديرة بأن لا تمنع الحطب ان يمسه النار

وسئل : « عما يكون من أمر الدفاع عن الهند اذا هى اختارت ان تخرج عن دائرة الامبراطورية ؟ » فكان جوابه : « ان الدفاع عن الهند سيظل دائما من هم بريطانيا » .. اذا ففيم كان استقلالها !

اذا كانت هذه نيتهم فى الهند حقا ، فلم كان تسودهم بخيلهم ورجلهم عند القنال ، وحجتهم الكبرى فى ذلك كانت ومازالت ان القنال طريق الهند

فهذا هو التصريح الذى طلعوا به على العالم ليكسبوا عطفه فى وقت ضج فيه العالم ــ ولو على العجز ــ من استعمار الشعوب للشعوب ، وركوب الناس الناس ركوب البهائم

وليعذرنا أصدقاؤنا الانجليز اذا نحن كفرنا بالذى يعدون ، واذا غلبت علينا الريبة فيما يقصدون ، فأربعة وستون عاما علمتنا الكفر بما قالوا ويقولون !

هذا ابريل شهر الكذب ، كما يزعمون ، ولكن الكاتب يترافع عنه فى هذا المقال ، طالباً تبرئته من هذه التهمة ، فنحن نكذب فى كل يوم ، وفى كل ساعة وكل لحظة !

إبريل المظلوم !

بقلم فكرى أباظة بك

اعتدنا — نحن البشر — ان نتندر فنتهم « ابريل » بالكذب . وغالطنا — نحن البشر — أنفسنا فقبلنا أكاذيب ابريل على انها « حلال » — وأخذنا حذرنا من أكاذيب ابريل — وتنافسنا فى ابتكار الأكاذيب فى ابريل ..

و « ابريل » مظلوم !

مظلوم كشهر لأنه لا يختلف كثيرا فى فن « الكذب » عن يناير . وفبراير . ومارس . ويونية . ويولية . الى آخر الشهور ..

ومظلوم « كاسم » لأنه لا يختلف كثيرا فى فن « الكذب » عن بقية الأسماء كمحمد . وعلى . وجرجس . وحسن . ورسمى . وابراهيم . وعلية . وسوسو ..

بل يمتاز « ابريل » عن بقية الشهور وبقية الأسماء بأن أكاذيبه المبتكرة طريفة ، خفيفة ، محتملة ، لانها متكلفة ومختلقة ، وليست من مواليد السليقة والطبع ، والمران ..

وانها تهدف الى المداعبة والمزاح بخلاف غيرها من أكاذيب الشهور الاخرى والأسماء الاخرى فانها تهدف الى جد ، والى نتائج لا تزول بزوال « أول ابريل » بل قد تنكب المجنى عليهم طول الشهر . وطول العام . وطول العمر ..

* * *

نحن — البشر — نغالط حتى فى الكذب . فنتهم ابريل وأول ابريل ، ونحن نكذب فى كل يوم من أيامنا ، وكل شهر من شهورنا ، وكل عام من أعوامنا ، بل فى كل ساعة ، وفى كل دقيقة ، وفى كل لحظة ..

١ — فى دنيا السياسة العالمية

الكذب شائع فى هذه الدنيا . فى أيام السلم وأيام الحرب معا : ففى أيام السلم تسمع من ساسة الدول الالفاظ المعسولة الحلوة بأن بلادهم بريئة من المطامع ، والأهواء ، والشهوات .

وان غاياتهم القدسية العلوية الروحانية، انما هى السلام ، والمودة ، والاخاء ، والمساواة . وتكون البرامج الحقيقية « الصادقة » المعدة هى الاستيلاء ، والفتح » والاستغلال » والاستعباد ..

كل سياسى عالمى يكذب كل شهر ألف كذبة على زميله ، وكل حكومة تكذب كل شهر ألف كذبة على زميلتها، وتمر الأيام والشهور ثم تنفضح الأكاذيب وتسفر وتتجلى فلا يخجل الساسة ولا يتوارون ، لأن «الكذب» أصبح قاعدة من قواعد « القانون الدولى » الحقيقى لا الكاذب !..

أما أيام « الحرب » ولياليه فهى أيام وليالى أكاذيب على طول الخط : البلاغات الرسمية عن المواقع الحربية كاذبة _ أحاديث الراديو كاذبة _ البيانات المنشورة عن «العدو» كاذبة. كل شىء فى الحرب كاذب الا اذا تحققت النتائج وفق مصلحة الكاذبين، فهم ينشرونها على علاتها فتنسخ وتنسخ كل ما قرىء ، وسمع ، ونشر ، بغير حياء وبغير خجل !..

بل ان الحكومات لا تكذب على شعوب العالم وحدها بل على شعوبها هى بالذات . فالشعب الانكليزى وهو أقوى شعوب العالم مخدوع بحكومة عماله خديعته بحكومة محافظيه . والشعب الروسى مخدوع بأكاذيب حكومته خديعته بحكومة القياصرة . وقل القول نفسه عن بقية الحكومات وبقية الشعوب

بل ان الدول نفسها تكذب على نفسها وتتظاهر بقبول الاكاذيب وتتواطأ على نشرها ودرسها، فروسيا دولة « ديموقراطية » بدون شك أليس كذلك ؟! وهى لهذا كانت من الحلفاء وأسست هيئة الامم المتحدة ووضعت ميثاقها القدسى المؤسس على أسس الديموقراطية ؟! وكذلك « الصين » وكذلك « الارجنتين » ؟!

والتاريخ القديم يضم فى سجلاته وموسوعاته ملايين الاكاذيب . والتاريخ الحديث للدول والحكومات لا يقل عن زميله فى المساحة وفى العدد

٢ _ فى دنيا الوثائق والعهود

تسلل الكذب من الدول والحكومات الى الوثائق والمعاهدات والعهود : « فالدساتير » التى تسمع بها كلها كاذبة . تقرر حق المساواة ولا مساواة ! وتقرر حق «حرية الصحافة» ولا حرية فى كل أوربا وفى كل الشرق! وتقرر واجب القيام بالالتزامات العامة،

> يحسن مرأى لبنى آدم
> وكلهم فى الذوق لايعذب
> ما فيهم بر ولا ناسك
> إلا الى نفع له يجذب
> أفضل من أفضلهم صخرة
> لاتظلم الناس ولا تكذب
>
> « أبو العلاء المعرى »

والطبقات الموسرة مستثناة !

و « المواثيق الدولية » الشهيرة كلها كاذبة : الميثاق الاطلنطي الذى أقر حق الشعوب فى الحرية والاستقلال كاذب ! وحق الفرد فى الأمان وعدم الخوف وعدم الجوع كاذب ! ميثاق الأمم المتحدة كاذب فى كل بنوده وقد دقوا مسمار الكذب أو الأكذوبة الكبرى حينما احتفظوا لكل دولة من الدول الكبرى بحق « الفيتو » بحيث تملك دولة واحدة من الدول الخمس الضخمة الفخمة ان تشل كل قرار وتعطل كل تنفيذ وتسحق بالقدم كل وعد وعهد !

و « المعاهدات » كلها كاذبة توضع فيها النصوص الغامضة الملتوية تمهيدا « للكذب » عند ما يريد طرف ان يتخلص من التزاماته ..

و « قوانين الانتخابات » كلها كاذبة ، وليس أدل على كذبها من فوضى الانتخابات فى روسيا، والمانيا، وايطاليا ، وفرنسا ، ومصر، والشرق على العموم، والبلقان بأسره، وايران، والهند ، والصين ، واليابان ، والاغلبية الساحقة فى الصورة الكاذبة الفاجرة المختلقة المفترية النصابة !

٣ ـ فى دنيا المال والأعمال

ودنيا المال والاعمال تقوم على دعامة « الكذب » فى بورصات العالم المختلفة بل فى « بورصات » السياسة والدول . فألمانيا التى استدانت قبل الحرب العظمى الاولى كذبت كذبتها التاريخية و « أكلت » كل الديون . وروسيا اليوم تأكل على أمريكا ديونها، وانجلترا تأكل على الهند ومصر ومستعمراتها المستقلة ديونها . وفى دنيا « الفلوس » تروج الاكاذيب الدولية العالمية الشاملة الكاملة جزافا بلا حساب ..

٤ ـ فى دنيا الصحافة والاذاعة

وما لى أزج بنفسى فى هذا المأزق، والصحافة والاذاعة توردان للقارئين والسامعين من ملايين البشر كل اليوم آلاف أطنان الاكاذيب ، وأنا أتحداك وأراهنك ان لم أضبط فى كل فقرة من فقرات أية جريدة أو أية مجلة أو أية اذاعة « كذبة » واحدة فى المتوسط والاذاعات والبيانات والتصريحات « الحكومية » فى المقدمة . ولم تتورع خطب العرش العالمية ولا التصريحات الرسمية عن الاكاذيب ، فهان على الصحافة أن تكذب هى الأخرى كذبا بريئا ، وكذبا غير برىء ..

٥ ـ الأفراد

فاذا ما انتقلنا من منطقة نفوذ الأمم والدول والحكومات والهيئات الى منطقة نفوذ الافراد وجدناه الكذب، عنصرا من عناصر الحياة والروح

كالشم ، والتنفس واللمس ، والأكل ، والشرب ..

الاب يكذب على ابنه ـ والام تكذب على أولادها ـ والزوجة تكذب على زوجها ـ والزوج يكذب على زوجته ـ والحبيبة والصديقة تكذب على حبيبها وصديقها والعكس بالعكس ـ والرئيس يكذب على مرءوسه والمرءوس يكذب على رئيسه ـ والخادم يكذب على مخدومه والمخدوم يكذب على خادمه : ناظر الزراعة يكذب . الصراف يكذب . الخفير يكذب . القسيس يكذب . الشيخ التقى النقى الورع يكذب . الطبيب يكذب . المحامى يكذب . المهندس يكذب . المقاول يكذب . ألق نظرة سريعة على من حواليك ، ثم على نفسك ، واقسم بشرفك أليس كل ما أقوله صحيحا؟!

بل لقد استحل الافراد ان يدعموا أكاذيبهم بكل وسيلة . وفى مقدمة الوسائل « الحلفان » : فالذى يحلف برحمة أبيه برئ جثة أبيه من الكذب ، والذى يحلف بشرفه التهم شرفه من الكذب ، والذى يحلف بابنه والتى تحلف بابنتها غذى فلذة الاكباد بأكثير الكذب ! ..

* * *

هذا الداء المتأصل فى الطبائع والنفوس تمخض عن لون جديد من ألوان الاكاذيب . الاكاذيب التى لا داعى لها ولا مبرر لها ولاضرورة . قد يحتاج الواحد منا الى الكذب لينقذه من الحرج ، أو ليدفع عنه شرا ، أو ليتفادى خطرا ، ولكن الاكاذيب التى لوجه الاكاذيب ما منطقها وما سببها ؟! لا شئ . المران ! التدريب!

تعود بعض الناس ان يكذبوا فأصبحت العادة طبيعة ثانية . فهم يكذبون لمجرد الكذب ..

لو أنه . . .

لو أن أحد المشرعين المصلحين أراد ان ينقذ العالم من شر الاكاذيب ونتائجها الخطيرة الكبيرة التى طالما دمرت دولا ، وحكومات ، وعيلات فكر فى ان يدخل فى قانون العقوبات مادة تعاقب على الكذب . ماذا يكون الحال ؟!

لو حدث هذا لانقلب النظام، ولكن المشرع الكاذب لا يفكر فى هذا الاصلاح الا لشئ واحد هو ان التشريعات كلها كاذبة ..

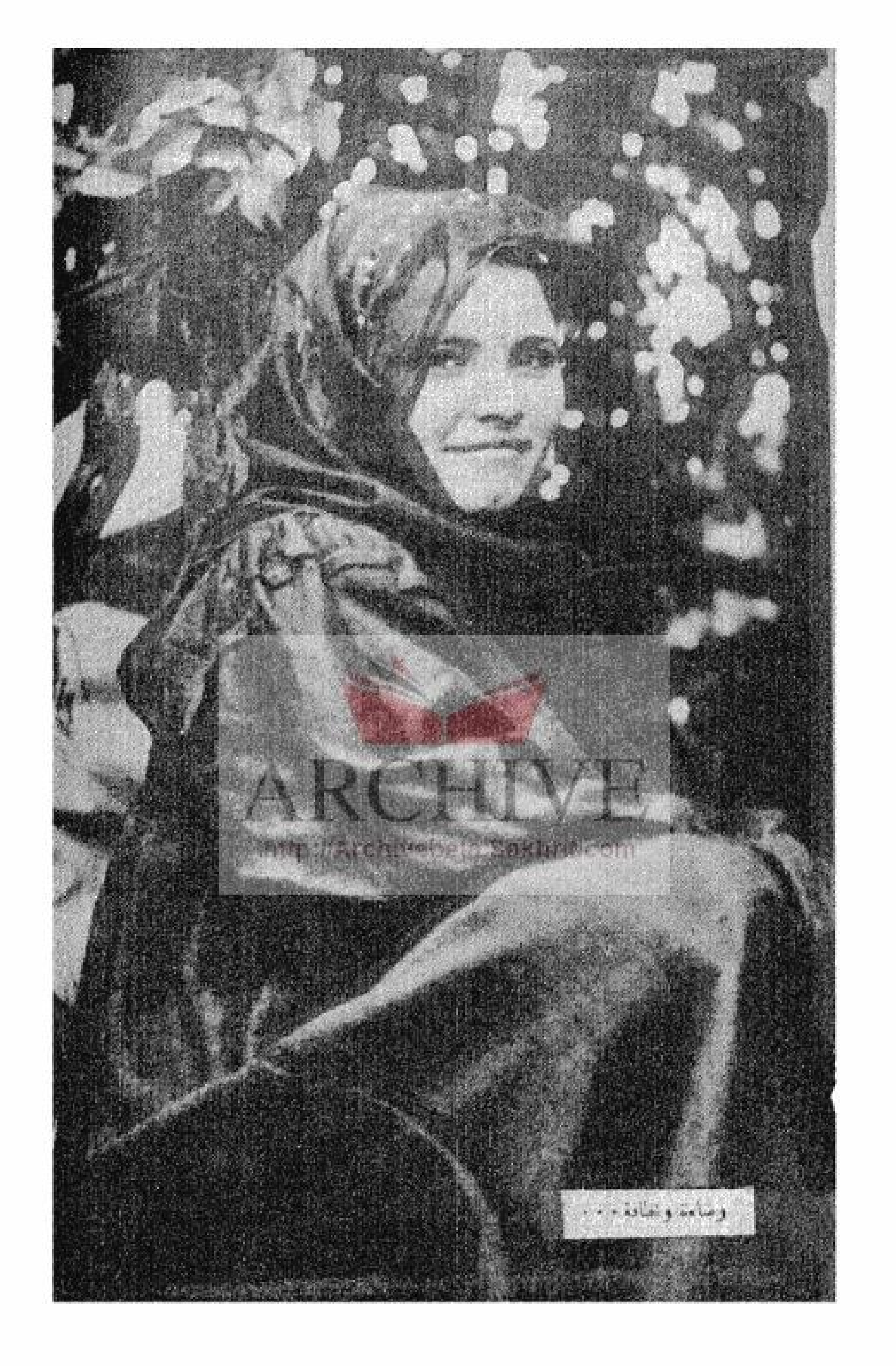
* * *

أبرأ ابن الرومى ذمته اذ قال :

وأنى لذو حلف حاضر
اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جناح على مرهق
يدافع بالله ما لا يطيق ؟

أليس « ابريل » مظلوما ؟
والله انه « لمظلوم » !..

فكرى أباظة



وسامة ونظافة . . .



تتطلع لغد باسم وعلى وجهها ابتسامة الأمل ونور الايمان

صور مشرقة من حياة الريف

لا يذكر الريف المصرى إلا ذكر معه البؤس والفقر والمرض والحرمان ، حتى كاد الناس لا يعرفون عنه إلا تلك الصورة المظلمة المريضة ، وينسون ما قد يختفى وراءها من نواحى الجمال الريفى الفاتن الأصيل

ولئن كان الحديث عن شقاء الفلاح واجباً إنسانياً ، وضرورة قومية ، لأنه يوقظ ضميرنا الاجتماعى ويدفعنا الى إنقاذ الفلاح كى يستطيع النهوض بعبء الانتاج الزراعى فى مصر الزراعية، إلا أنا نرى — الى جانب هذا — أن عرض صور من جمال الريف واجب اجتماعى وضرورة اقتصادية ، ذلك لأنه يغرى أصحاب الضياع بالعودة الى الأرض الطيبة ، ويدفعهم الى العمل فى سبيل إزالة التراب الذى يملأ آفاق ريفنا فيطمس معالمه ويشوه جماله

وهـذه عدسة الدكتور حسن أفلاطون بك — وهو من عشاق الريف وهواة فن التصوير — تقدم الى الذين هجروا الريف لقذارته ومرضه ، مجموعة من الصور الريفية ، قد أزيل عنها التراب ، فبدت جميلة ساحرة ، ترسم على وجه الدنيا من حولها ابتسامة حلوة ، تملؤها إشراقاً وحياة



عند ما يخشى الضرر من الصدق

قد يحسن الكذب!

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

ثم قد يحسن الكذب

وقد يتناول الكاتب هذه القضية من طرفين متقابلين :

قد يقول ان الكذب لا يحسن فى حال من الأحوال ، ولا تدعو اليه ضرورة قط فى عامة الأمور ولا فى خاصتها ، وان الذى يحرم الكذب — من ثم — قد حرمه على نفسه فلم يكذب قط ، ولن يبيح لنفسه أن يكذب فى موقف من المواقف ، بالغاً ما بلغ فى الضنك والاحراج

وهذا كذب صراح لا شك فيه

وقد يقول ان الكذب جائز فى الضرورات ، وانه ربما أفاد حيث يخفى الضرر من الصدق فى بعض الأحيان

وهذا صدق صراح لا شك فيه

فنحن مع الصدق حين نقول ان الكذب يحسن أحياناً ويقع أحياناً من أصدق الناس

وقديماً قال المعرى حكيمنا العربى :

« والمين ميتة مضطر ألم بها »

وهو يعنى أن قول الكذب يجوز فى بعض الضرورات ، كما يجوز أكل الميتة عند خشية التلف وفقد الطعام

وقديماً قال أفلاطون حكيم اليونان فى جمهوريته : « ان الاكذوبة قد تؤخذ كما يؤخذ الدواء ، ولكن استخدام هذه الأدوية ينبغى أن يترك للطبيب الخبير بوضع الدواء فى موضع الداء »

ولكنا نقول فى التعقيب على المعري ان الانسان قد يختار الكذب على الصدق مع وجود الاثنين . وان هنا الاختيار هو مناط الفارق بين صدق النفس المسئولة وصدق الآلة المسخرة التى تدار على نحو واحد فى جميع الامكنة وفى جميع الحالات

فاذا سألنى العدو عن موقع جيش بلادى ، وأنا فى قبضة يديه ، فالصدق والكذب ميسوران لدى . ولكنى اذا صدقت أثمت ، واذا كذبت بررت . فأنا أختار الكذب فى هذه الحالة فراراً من الاثم ، أو فراراً من أكل الميتة لا اضطراراً الى أكلها ، ولا إيثاراً لسيء الطعام على الجوع المتلف للحياة

وأنا فى هذه الحالة أتناول أفضل الطعامين ، ولا أتناول الطعام الخبيث المهلك ، لفقد الطعام الطيب المرىء !

واذا خدعت اللص القاتل عن غنيمته

وزينته ، فذلك هو الكذب فى ظاهره والصدق كل الصدق فى باطنه . وهذا هو أفضل الحسنيين ، وليس بالسيئة التى لا اختيار فيها لمختار

أما أن الكذب كالدواء الذى يصفه الأطباء، فذلك فى المسائل العامة صحيح

ولكن المريض فى المسائل الخاصة هو الطبيب ، وهو الذى يختار السم أو يختار الدواء

وكل ما يدان به أن يترك لتصرفه وهو مسئول عنه ، وأن يقيس الضرورات والمحظورات بقياسه الذى يقيس به كل شىء ، ثم يقبل تبعة الخطأ كما يقبل تبعة الصواب

* * *

وقد تعلو الأخلاق على الطبيعة

ولكنها لا تناقض الطبيعة إلا أن يحق عليها الترك والإهمال

فكل فراشة تتلون بألوان الزهر خادعة

وكل ظبي يتلون بألوان الرمل خادع ..

وكذلك كل نمر يتلون بلون الغاب الأرقط ، وكل دب يتلون بلون الثلج الأبيض ، وكل ثعلب يتلوث ، وكل مخلوق يصطبغ بصبغة ما حوله من نبات أو جماد

هذه هى الطبيعة حين تنشد السلامة وتطلب الأمان ، أو حين تفر من الهلاك جوعاً ، أو تفر من الهلاك على أيدى الأعداء

فإذا وزنت الصدق والكذب بهذا الميزان ، فأنت ابن الطبيعة الصادق البنوة

وإذا أردت أن تعلو عليها فليكن علوك على حسابك أنت لا على حساب قومك ونوعك

فلك أن تختار الهلاك بالصدق ، إذا كان الهلاك يجنى عليك وحدك ولا يجنى على أحد غيرك

ولكنك إذا صدقت فأهلكت أنفساً ، وقضيت على آمال ، وعصفت بحقوق ، فأنت لا تعلو على الطبيعة ولا تقف فى صفها ، بل تهبط دونها فى حق نفسك وحق نوعك ، وتصبح كالآلة التى ليست لها حياة . لأننا قد رأينا كيف يتصرف الأحياء بغير قصد مقدر ولا حيلة مدبرة . بل بحكمة الخلق التى تعلو على حكمة كل حكيم

* * *

ألا إن الناس لا يكذبون دائماً لأنهم مضطرون، بل يكذبون كثيراً لغير ضرورة، ويحبون الكذب لأنهم يكرهون الواقع ويفرون منه

وقد صدق باسكال حين قال : « إن الناس إذا خلوا من غرض المنفعة لم يلزمهن ذلك حتما أن نصدقهم وأن نجزم بأنهم لا يكذبون ، فإن هناك أناساً يكذبون حباً للكذب نفسه ولغير غرض سواه »

وهؤلاء الناس قسمان :

قسم يكذب كما يتناول المسكرات والمخدرات . فهو يهرب من الواقع لأن الواقع لا يرضيه ، ويلوذ بالكذب لأنه يبلغ به رضاه ، أو كما قال المتنبي :

طوى الجزيرة حتى جاءنى نبأ
فزعت فيه بآمالى الى الكذب

وقد يكون الواحد من هؤلاء عاجزاً فيوهمه الكذب أنه قادر ، أو يكون ذليلا فيوهمه الكذب أنه عزيز ، أو يكون محزوناً فيوهمه الكذب أنه مسرور

وكذلك تفعل الخمر بالشاربين

والقسم الآخر يكذب كأنه يقرأ قصة من قصص الخيال ، فيخترع السمة اختراعاً اذا ضاقت به وقائع الحياة ، ويكون شأنه فى ذلك كشأن القصاص الذى يحيي ويميت ، ويصول ويجول ، ويتصرف فى مقادير الشخوص والأبطال ، وهو قابع فى عقر داره لا يريم مكانه، ولكنه يفعل فى عالم الخيال ما يود أن يفعله فى عالم الواقع .. فلا يستطيع

وذلك كله تدريب لملكة الخيال

ومن قبيل هذا الكذب الخيالى ، كذب الأطفال الصغار فى أوائل عهدهم بالحياة

وعلينا نحن أن نلتزم الحذر قبل تحذيرهم من الكذب بأنواعه

فاننا قد نحذرهم من الكذب كله ، فنجني على ملكة الخيال فيهم ، وهى ملكة من ألزم ملكات العقل للانسان

وقد نبيح لهم الكذب كله فنجنى على أخلاقهم ، لأن الكذب الذى يخلقه سوء النية وحب الأذى ، غير الكذب الذى يخلقه التخيل وتوليد الصور والأماثيل

واذا سئلنا عن الحكم فى الكذب الذى أشار اليه باسكال ، جاز لنا أن نقول انه حرام اذا كان من قبيل تناول المسكر الموبق للعقول والأبدان ، وانه حلال اذا كان من قبيل قراءة القصص التى تحيي الخيال وتشحذ ملكة من ملكات العقل الى الفهم الجيد والتصور المفيد

* * *

ومن الحكماء من قال ، كما قال بتلر ، ان الصدق سهل على كل أحمق ، ولكن الأكذوبة المحكمة تحتاج الى ذكاء لا يقدر عليه الحمق

وهذا كلام نصفه حق ونصفه باطل

ومقطع الفصل فيه كمقطع الفصل بين القوة والمهارة ، أو بين الحول والحيلة ..

فالصادق قوى

والكاذب ماهر

وقد يحتاج الكاذب الى مهارة للفرار من الحقيقة والروغان من أعين الناس

ولكن الصادق لا يستغنى عن القوة حين يواجه الحقيقة ويواجه معها أعين الناس

فاذا قيل ان القدرة على الكذب مهارة وحيلة ، فمن الواجب أن يقال ان الحاجة الى الكذب ضعف وجبن . وعلى الانسان أن يختار بين جبان ماهر ، وقوى شجاع

* * *

على أن الناس لا يكذبون لأن الكذب حسن ، ولا يصدقون لأن الكذب قبيح .

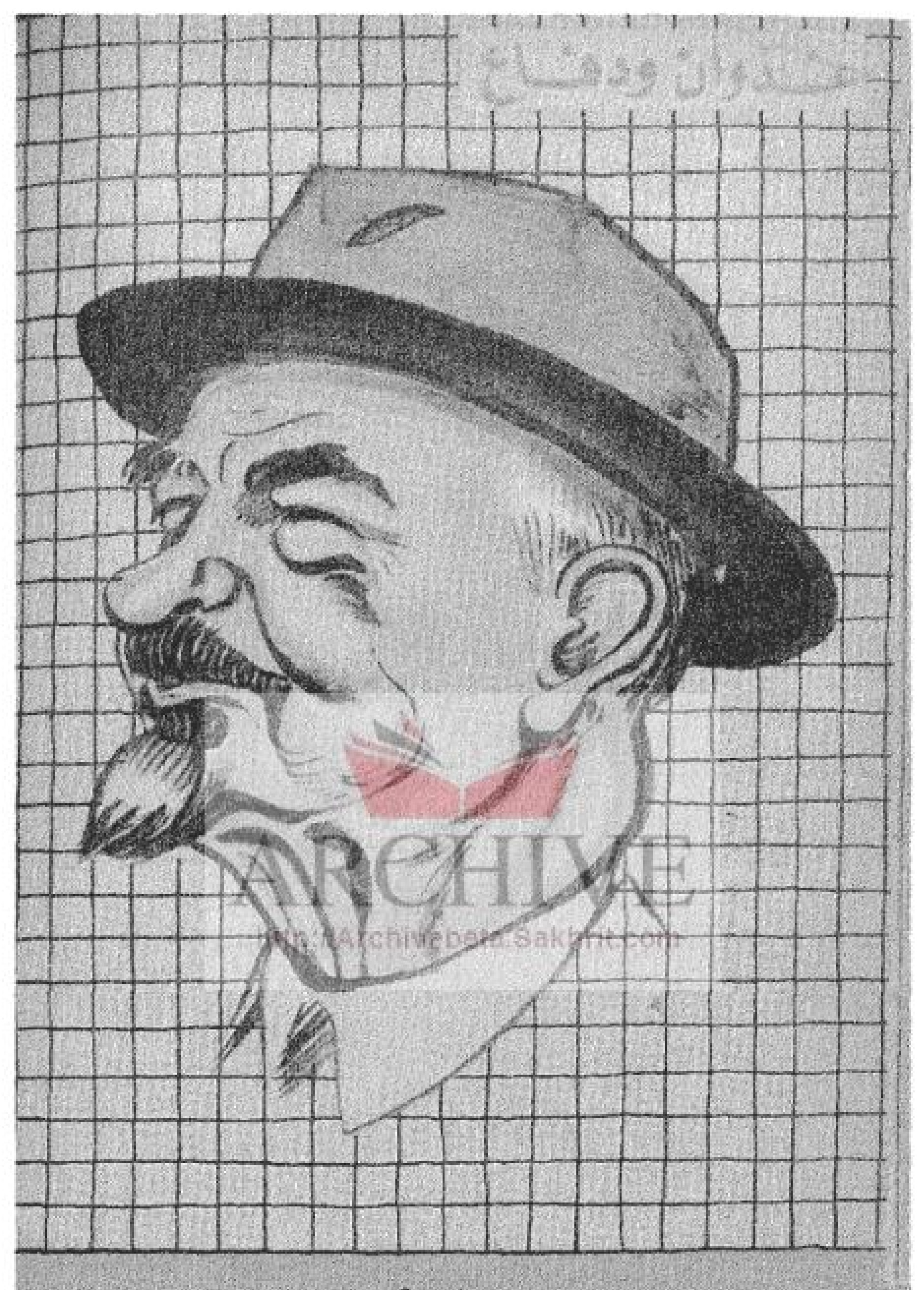
وهم بعبارة أخرى لا ينتظرون الاذن بالكذب لأنه جائز ، ولا ينتظرون الاذن بالصدق لأنه واجب ، ولكنهم يكذبون ويصدقون لأنهم ميسرون لهذا أو ذاك ، وكل يمضى على شاكلته ويختار ما هو قادر عليه

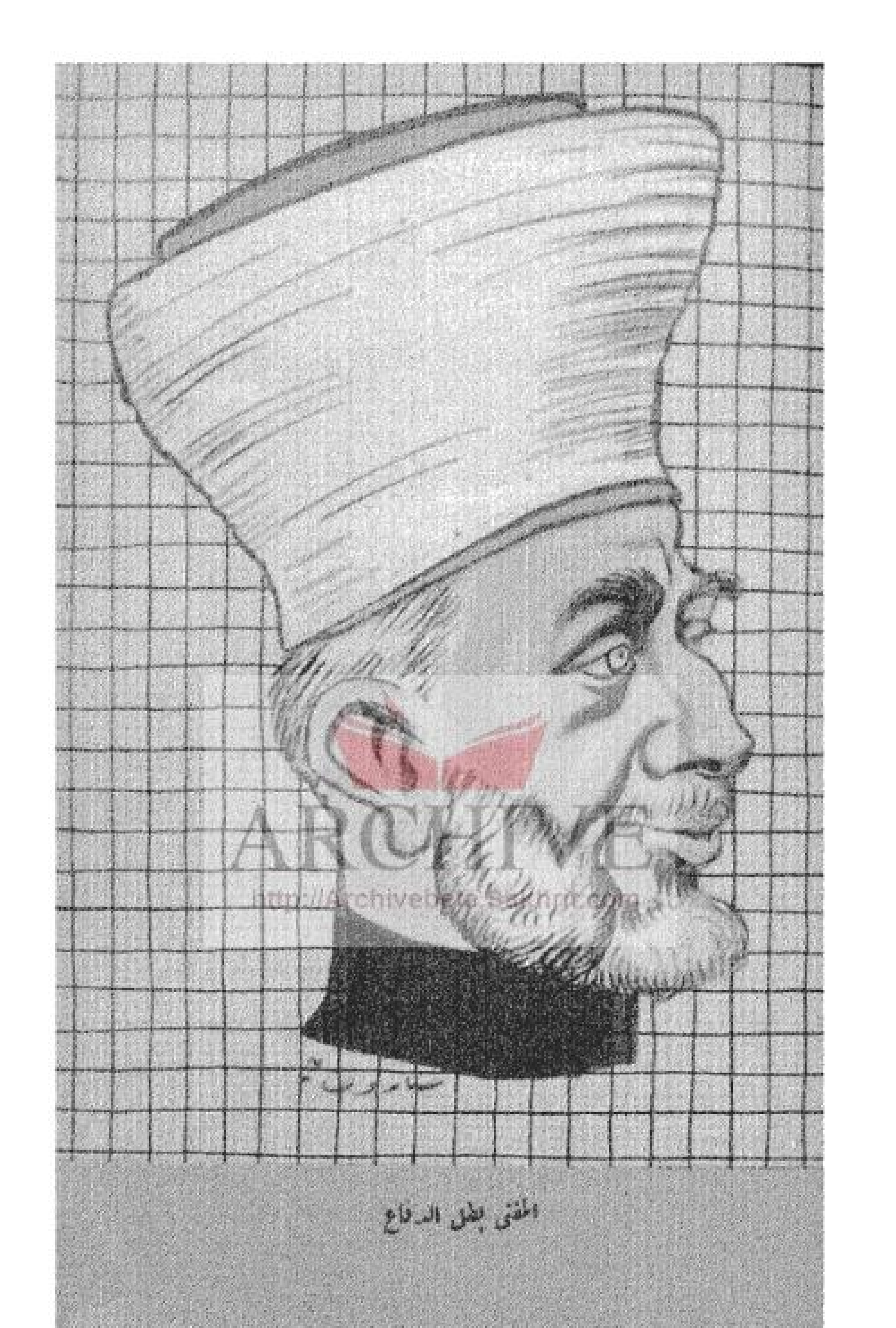
ولعلهم لم يكذبوا فى شيء قط كما كذبوا فى اتفاقهم على اباحة الكذب أول ابريل كأنهم يحرمونه فى غير هذا اليوم !

والواقع أن « مقطوعية » الكذب فى أول ابريل لا تزيد كثيراً على « المقطوعية » اليومية فى سائر الأيام والشهور

ولكنهم يقولون انهم يكذبون يوماً واحداً ليقولوا انهم يصدقون سائر الأيام وسائر الأيام على هذا أكذب من أول ابريل ..

عباس محمود العقاد





المفتي بطل الدفاع

من مختارات الهلال

تحية الربيع

بقلم الآنسة ى

الليل يقصر والنهار يطول .. قليلا قليلا ، تنقشع الغيوم ، فتنجلي زرقة السماء ، وتلتمع الاشعاع والأضواء . رحراح الابتسام يتفقد الكائنات فيتطلع كل منها الى المرح والضحك والحبور

الصبح ينشق عموده مكللا بلألاء الفجر الحنون . والمساء تترامى ظلاله مفعمة بأشواق الغرام . ويحلك الليل فتصغي النجوم الى الصوت الرهيب المجهول — صوت البقاء — مازجا في فلوات اللانهاية

أليست هذه بشائر قدومك أيها الربيع ؟

* * *

الطبيعة تختلع مشرقة وتترنح ثملى لاستقبال الموسم الفتان هو ذا مارس .. اذ تجصحص البراعم ، وتنور الكمائم ، وابريل .. ذو الطلعة المجلوة الوضاحة ومايو .. نجي الورود وأليف العطور ، ويونيو .. خلاق الفل والياسمين بين الوهج واللواعج — في موكب الشهور الحبيبة

أو ليست هذه شهورك أيها الربيع ؟

* * *

الشاب ينتظرك ليزيد شعورا بشبابه . الفتاة تنتظرك ليشرق فيك جمالها . الكهل ينتظرك ليستوعب لذة المناعة . الشيخ ينتظرك لتعود اليه حيا الشباب

الغرسة تنتظرك لتنمو . الزهرة تنتظرك لتزدهر . الصخر ينتظرك ليبدو الحنان عشبة خضراء في جفوته . الطير ينتظرك ليسبح ويشدو . الشجرة تنتظرك لتصبح وجودا مورقا ظليلا وموطنا لأعشاش المغردين

الأرض تنتظرك لتعج أحشاؤها بفيض الحياة . الأثمار والبذور تنتظرك لتخرج على وجه الأرض خيرا وغلالا . الشمس تنتظرك لتختال في ايوان الأفق مجردة من الاقتاع والحجب . المنظومة الشمسية تنتظرك متمما لانتظام المظاهر في حياة كائنات السماء

* * *

لقد دار الفلك دورته ، وقامت الشمس والأرض وسائر السيارات الشمسية بحتوم رحلاتها ، فتعاقبت الفصول خريفا بعد صيف ، وشتاء بعد خريف ، ريثما يحين موعدك . وها أنت ذا الينا آئب

لن تنتظرك الطبيعة عبثا ، ولا عبثا ينتظرك الانسان ، انك ، أيها الربيع ، على مواعيدك أمين !

صرعى ...

بقلم الدكتور طه حسين بك

أتذكر قول زياد رحمه الله فى خطبته المشهورة لأهل البصرة : « وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى»

فان هذه الجملة الخالدة لم يعرب بها زياد عن ذات نفسه ، ولا عما كان بينه وبين أهل العراق من صلة ، ولا عما كان قد رسم لحكمه من سياسة عنيفة ، ولا عما كان قد فرض على نفسه من الحزم والعزم فى تدبير أمور الناس وحملهم على الجادة راضين أو كارهين . لم يعرب زياد بهذه الجملة عن هذا كله فحسب ، وانما أعرب بها عن شيء أعم وأشمل من سلطانه ، وأبقى وأخلد من سيرته ، عن شيء يتصل بحياة الناس جميعا ، ويؤثر فى أعمالهم جميعا ، بل فى آمالهم جميعا ، عن شيء وجد منذ وجد الانسان ، وسيبقى ما بقى الانسان ، ولن يزول حتى يرث الله الأرض ومن عليها . عبر زياد عن هذا الغرور الذى يدفع الناس الى أن يعملوا ، ويدفع الناس الى أن يأملوا ويفسدوا على الناس أعمالهم وآمالهم ، ويرديهم آخر الامر فى هوة عميقة غير ذات قرار من البؤس واليأس والقنوط

لست أدرى أيهما استعار من صاحبه هذه الجملة الخالدة التى تصور الموعظة البالغة . أترى أن زيادا قد استعارها من الغرور الذى كان يلقيها على الناس وظل يلقيها على الناس فى كل لغة وفى كل بيئة وفى كل عصر ، وفى كل جيل ؟ وأية غرابة فى ذلك فالخطباء المتفوقون ، والكتاب المبرزون ، والشعراء الملهمون ، تتصل أسبابهم بأسباب المعانى الخالدة ، فيستعيرون منها ما يشاءون ويستهدون منها ما تنطلق به ألسنتهم وتجرى به أقلامهم ، فيبقى بقاء الدهر ويتصل اتصال الزمان ، أم ترى أن الغرور كان يحظ الناس كما يستطيع ، ثم أتيحت له هذه الجملة الخالدة من خطبة زياد فاتخذها لنفسه رمزا وساق فيها موعظته الخالدة الى القلوب والنفوس والعقول

ومهما يكن من شيء فلم يعرب أحد عن حديث الغرور الى نفوس الناس كما أعرب عنه زياد . والغريب ان الناس استمعوا لزياد فامتلأت قلوبهم خوفا وروعا واشفاقا . وأشفق كل امرىء منهم أن يكون من صرعى زياد، ولكنها أيام أو أسابيع أو شهور تمضي واذا الناس ينسون الخوف فيما ينسون ، ويجهلون الروع فيما يجهلون، ويعرضون عن الاشفاق فيما يعرضون عنه ، واذا هم يسرعون الى الهول أو يسرع الهول اليهم واذا صرعى زياد يكثرون ، تمتلىء ببعضهم السجون، وتمتلىء ببعضهم القبور ، لان الناس لم يكادوا يسمعون حديث زياد حتى نسوه . وهم كذلك يسمعون حديث الغرور الى قلوبهم ونفوسهم وعقولهم . ثم ينسون هذا الحديث . فيسرعون الى الخطر أو يسرع الخطر اليهم ، ويساقطون في الشر كما يساقط الفراش في النار، ويصبحون من صرعى الغرور وقد حذرهم الغرور مع ذلك أن يكونوا من صرعاه . ذلك ان الغرور يتحدث الى الناس حديثين مختلفين. فيما بينهما أشد الاختلاف . يسوق أحدهما الى ما في الناس من تهالك وضعف ، والى ما فيهم من طمع وطموح، والى ما فيهم من حب للطيبات وايثار للعافية ونزوع الى ما يرضي الحاجة ويقنع اللذة ، ويتملق الحس ويخادع الشعور ، ويخدع العقل عن حقائق الأشياء.

يسوقه الى استعدادهم للاستجابة للاغراء حين يوجه اليهم الاغراء . يخيل اليهم ان الحياة قصيرة فيجب أن تنتهز، وانها انما منحت للناس ليحيوها هادئة ناعمة ، ولينة باسمة ، ومشرقة راضية تتحقق فيها الآمال وترضى فيها الكبرياء.

ويسوق أحدهما الآخر الى ما في نفوس الناس من قوة وجلد وصبر على المكروه وثبات للخطوب ، وتعمق للأشياء ونفوذ الى حقائقها وايمان بأن الحياة لم تخلق عبثا ولم تمنح للناس سدى ، وبأن الفرد لم يخلق لنفسه وانما خلق لمواطنيه ، وان الامة لم تخلق لنفسها وانما خلقت للانسانية ، وان الحياة قصيرة فيجب أن تنتهز لتحقيق النفع وتعميم الخير وترقية الحضارة واقرار العدل . ذلك أحرى أن يمد قصيرها ويصل منقطعها، ويجعل زائلها خالدا وباطلها حقا والمنقضي منها متصلا

بهذين الحديثين يتحدث الغرور الى الناس دائما، يمدهم ويمنيهم، ويطمعهم ويغريهم، ثم يعظهم ويحذرهم ويدعوهم الى الروية والاعتبار

فاما أكثر الناس فتستخفهم الوعود وتزدهيهم الأماني وتذهب بأحلامهم الأطماع ويعبث بعقولهم الاغراء، واذا هم من صرعى الغرور . واما أقلهم أو الأقلون من أقلهم فلا

يستجيبون للنعمة الكاذبة التي غربها من دونهم رياح الصيف كما يقول الشاعر القديم . وانما يملكون على نفوسهم أمرها ، ويصبرونها على ما تحب وعلى ما تكره ، ويوجهونها الى ما يسرت له من الخير فينفعون وينتفعون وينجون من عبث الغرور بهم، وتسلطه عليهم ويأمنون أن يكونوا من صرعاه

وابتسم ياسيدي ما شئت أن تبتسم، وأغرق في الضحك ما طاب لك الاغراق في الضحك ، وسل نفسك أو لاتسلها، عن هذا الحديث .. ما مصدره وما غايته وما معناه ؟ فليس لهذا الحديث مصدر الا ما أنت فيه ، وليس لهذا الحديث غاية الا ما أنت فيه ، وليس لهذا الحديث معنى الا ما أنت فيه . والناس يهنئون أصدقاءهم كما يستطيعون ، ويهدون اليهم من التحية ما يملكون . فهذه هي التهنئة التي استطعت ان أسوقها اليك ، وهي التحية التي أملك أن أعرضها عليك ، فاقبلهما انشئت وارفضهما انأحببت، فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، والله لا يحمل الناس على ما لا يطيقون

أتذكر تلك الأيام البعيدة المسرفة في البعد حتى كاد ينساها الزمان ، القريبة المسرفة في القرب حتى ما استقبل الصباح ولا استقبل المساء ولا استقبل عملا من الأعمال بينهما الا كنت لها ذاكرا وفيها مفكرا وبها حفيا ؟ لقد بعدت تلك الأيام منك حتى كأنها لم تمر بك أو كأنك لم تمر بها ، وحتى كأنك تخلق في كل يوم خلقا جديدا ينسيك اليوم الذي قبله ، كما ينسى الناس عادة ما يمكن أن يكون قد اختلف على نفوسهم من الأحداث والخطوب قبل أن يدفعوا الى هذه الحياة . ولقد قربت هذه الأيام مني حتى كأني لم أخلق الا لأعيش فيها. وكأنها لم تخلق الا لتأخذ على طرق الحياة فلا أستطيع أن أخرج منها ولا تستطيع أن تنأى عني ، وانما وقفت على ووقفت عليها ، وقيل للزمن الا يتقدم حتى لا أتجاوزها والا يتأخر حتى لا أرد عنها ، فأنا سجينها ، وهي سجينتي، قد أكرهنا على أن نصطحب، فلن أجد منها مخرجا ، ولن تستطيع عني انصرافا

أتذكر تلك الأيام ؟ .. انفق شيئا من الجهد لعلك تستحضر منها ظلالا ضئيلة ان أمكن أن تكون للأيام ظلال. انفق شيئا من الجهد حين تخلو الى نفسك ان استطعت أن تخلو الى نفسك ، واستحضر بعض تلك الأيام التي كنا نستقبلها باسمين لها، وكانت تستقبلنا باسمة لنا ، وكان في ابتسامنا وابتسامها هدوء مطمئن يملأ القلوب ثقة ورضى وأمنا . لم تكن نطمع في شيء الا أن نعلم في كل يوم يقبل علينا أكثر مما كنا نعلم في كل يوم يدبر عنا

وكان ذلك الينا وحدنا لا يستطيع أحد أن يردنا عنه أو أن يرده عنا ،

انما هو حب للمعرفة واقبال عليها والحاح فى طلبها واستمتاع بهذا الالحاح وتزيد من هذا الاستمتاع

* * *

أتذكر تلك الأيام ؟ .. لقد كانت لنا فيها آمال عجيبة الى نفوسنا أثيرة فى قلوبنا متواضعة تواضع العلم ، متعالية تعالى العلم ، لا يستطيع أحد أن يصدنا عنها ولا يستطيع أحد أن يصدها عنا . لم نكن نريد الا أن نهتدى الى الحق ونهدى اليه ، لم نكن نريد الا أن نصل الى الخير ونوصل اليه ، لم نكن نريد الا أن نملأ قلوبنا علما ان أمكن ان تمتلىء القلوب ، ثم ننشر العلم من حولنا ما وجدنا الى نشره سبيلا . كانت أمامنا من الجهل والغى والسخف صورة بشعة منكرة ، ولكنها لم تكن تخيفنا ولا تروعنا وانما كانت تدعونا الى نفسها ، لا لنحبها بل لنبغضها ، لا لنبقيها بل لنلغيها

أتذكر تلك الأيام ؟ . لقد كانت قلوبنا فيها نقية نقاء الشمس ، رخية رخاء النسيم ، عذبة عذوبة الماء الذى صفا، فلا يشوبه كدر ولا يفسده رنق، أتذكر تلك الأيام ؟ لقد كانت آمالنا نقية نقاء قلوبنا ، رخية رخاء طباعنا ، صافية صفاء أمزجتنا . فى تلك الأيام البعيدة القريبة آمنت نفوسنا ، لأن الاصلاح وحده هو الذى سيستأثر بها وبما تملك من قوة وجهد ، ومن غير القوة والجهد مما تملك النفوس

فى تلك الأيام ساق الينا الغرور حديثه ، ساق الينا حديث الاغراء فأعرضنا عنه اعراضا ، وساق الينا حديث الاباء فأقبلنا عليه اقبالا . فى تلك الأيام ثبتنا للمكروه وصبرنا على الشر ، وصب علينا الأذى فلم يبلغ منا ، واطاف بنا الكيد فلم يصل الينا . وقامت أمامنا العقاب فلم تردنا عن الغاية ولم تصدنا عن الطريق :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنها وكأنهم أحلام

ما أكثر ماقرأناهذا البيت من شعر، وما أكثر ما تمثلنا به حين كنا نسمع أحاديث بعض الناس الذين كانوا يستجيبون للغرور فيصبحون من صرعاه . وأقسم ما خطر لى قط انى سأتمثل بهذا البيت ذات يوم حين أقرأ الصحف مصبحا أو ممسيا ، فاذا لسانى ينطق وما أردت انطاقه بقول الأعشى :

شتان ما يومى على كورها
ويوم حيان أخى جابر

فرحم الله زيادا وتجاوز له عن خطيئته . أقدر حين ألقى خطبته تلك أنه كان يعرب أحسن الاعراب عن حديث الغرور الى أولى العزم من الناس حين قال : « وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى » !

طه حسين

قد لا توافق على سياسة مستر آتلى ، رئيس الوزارة البريطانية ، ولكنك لا يسعك الا الاعجاب بقرينته

زوجة آتلى

فى اليوم الذى أحرز فيه حزب العمال البريطانى، ذلك الفوز الباهر، فى الانتخابات النيابية ، وبعد ان علم مستر كليمانت آتلى ، زعيم العمال ، بالنتائج الرسمية بساعتين فقط ، دق جرس التليفون فى مركز الحزب بلندن. انها مسز آتلى تطلب ان تكلم زوجها :

ـ أنا سعيدة جدا بفوزك . سأحضر لآخذك بالسيارة

ثم جاءت فعلا فحملته بسيارتها الصغيرة السوداء من طراز « أوستن » الى قصر بوكنجهام ، حيث كان الملك ينتظره ليعهد اليه بتأليف الوزارة

ومسز آتلى تطبق فى حياتها ثلاث قواعد تعتقد انها ضرورية لضمان سير الحياة العائلية على أحسن وجه . وهذه القواعد هى :

١ ـ ألا تتدخل المرأة بحال من الاحوال فى أعمال زوجها

٢ ألا تفكر الا فى بيتها وأولادها

٣ ـ ان تحيا حياة منزلية خالصة فتتجنب بقدر المستطاع ، حفلات الاستقبال الكبيرة والمآدب الفخمة

وهى تقول فى تبرير هذا : «أليس زوجى من حزب العمال ؟ أفلا يجب على من أجل هذا ان أعطى الناس المثل الصالحة ؟ »

مثل راق للمرأة الانجليزية فى حياتها الخاصة

وعند ما انتقلت مسز آتلى الى رقم ١٠ بداونتج ستريت ، وهى الدار المعدة لاقامة رئيس الوزارة ، هالها ما رأته من أسباب للراحة والبذخ، كانت هيأتها من قبلها زوجة تشرشل ، رئيس الوزراء السابق ، فى تلك الدار . فبدأت مسز آتلى باعادة كل شىء الى مستوى البساطة العادية، فاستغنت عن كل ما لا تدعو اليه الضرورة . وحولت الطابق الأعلى الى مسكن متواضع ، نقلت اليه من بيتها الريفى ، طائفة من قطع الاثاث العائلية العزيزة عليها

وهكذا ، وبسبب هذه الزوجة ، يحتفظ رئيس الوزارة ، بين المشاغل الرسمية ، بما يسميه الانجليز « هوم »



مسز آتلي تطوف بأنحاء البيت ، تضع أزهاراً هنا وأزهاراً هناك

وهي كلمة ترمز الى « البيت العائلي » وفي ذلك « الهوم » لا يشعر الرئيس بأنه في جو غريب عن الجو الذي عاش فيه ، فهو يقيم مع زوجته وأولاده الاربعة في جو لا يمتد فيه الحديث مطلقا الى الشؤون السياسية ، لان زوجة رئيس الوزارة لا تحدثه في السياسة ، ولا تريد أن يتحدث فيها أحد أمامها !

ومسز فيوليت آتلي تكره المجتمعات ، وقليلون جدا هم الزائرون الذين تدعوهم الى تناول الطعام في دارها

وهما يتناولان عادة ، في الساعة الثامنة والنصف صباحا ، فطورا متواضعا ، ثم يخرجان معا في نزهة بحدائق سانت جيمس . وفي الساعة التاسعة والنصف ، يذهب كليمانت آتلي — أو « كليم » كما تسميه زوجته — الى مكتبه ويبدأ عمله

وفي هذه الساعة ، تطوف مسز آتلي بأنحاء البيت ، فتضع أزهارا هنا وأزهارا هناك ، وتنزل الى المطبخ لتعد قائمة الطعام . ولما كان التموين لايزال خاضعا في انجلترا لقوانين الحرب الاستثنائية ، فان مستر آتلي وعقيلته يحرصان على ألا يقدم اليهما على المائدة شيء يشترى من السوق السوداء

وفي الضحى ، تخرج مسز آتلي الى أسواق لندن ، وكثيرا ما ترى في الأحياء الشعبية ، وعلى الخصوص في حي «لامبث» لتقف على أسعار الأغذية

وفي الساعة الواحدة والنصف ، يحين موعد الغداء . ومسز آتلي تراقب

الغداء بدقة وتراقب موعده . وعلى المائدة ، يقدم الطعام أولا لمستر آتلى ، ثم للأولاد ، ثم اليها

ولا تأزف الساعة الثانية ، حتى يكون كل من أفراد الأسرة قد انصرف الى عمله ، اما مسز آتلى ، فانها تبقى فى البيت مع ابنتيها حيث ينصرفن الى مطالعة الكتب والمجلات المصورة ، وتغادر مسز آتلى داونتج ستريت مرة أخرى فى الساعة الخامسة مساء ، فتذهب فى معظم الأحيان لزيارة أسرتها ، ككل انجليزية من الطبقة المتوسطة ، أو تطوف على المخازن الكبيرة . ثم تعود الى البيت فى الساعة السابعة والنصف

وهوايتها الوحيدة سيارتها التى تقودها بنفسها . وهى تحرص دائما على أن تكون فى حالة جيدة ، وقد سألها أخيرا رئيس التشريفات : وهل تريد سائقا لسيارتها ، فأجابت بكل بساطة : « انني أنا سائقة نفسى ، وسائقة زوجي أيضا ! »

ومن وقت الى آخر - عند ماتسمح الظروف - تذهب مسز آتلى بزوجها وأولادها ، فى سيارتها ، الى المنزل الريفى الصغير . وهناك ، وسط الخضرة ، بعيدا عن المتاعب السياسية ، يرى « الوزير الأول لصاحب الجلالة الملك » منصرفا الى تقليم أزهار حديقته والعناية بها ، وقد رفع أكمام قميصه ، ووضع الغليون فى فمه ، بينما تكون مسز آتلى قد انهمكت مع بناتها فى تفصيل الملابس وخياطتها

وعدد الخدم قليل فى الدار التى تسكنها مسز آتلى . فليس عندها غير اثنتين من الخادمات لتنظيف الغرف ، وطباخ ، واثنين من الخدم الرجال . أما فى عهد تشرشل ، فقد كان عدد الخدم ثمانية أضعاف هذا العدد !

وتنام مسز آتلى وأولادها فى أول ساعات الليل . أما « كليم » الزوج فانه كثيرا ما يضطر الى العودة الى مكتبه بعد العشاء ، لكثرة أعماله . وعندها تحرم الأسرة من السهرات العائلية

وفى الساعة العاشرة مساء ، لا يبقى فى ١٠ دوننج ستريت ، غير شخص واحد لم ينم بعد ، هو رئيس الوزارة

فاذا جاء الصباح ، كانت مسز آتلى أول ناهضة من نومها ، فهى لا تلبث فى فراشها بعد السابعة صباحا ، سواء فى الصيف أو فى الشتاء

وتضع مسز آتلى كل اسبوع ميزانية نفقاتها . وهى لا ترضى أن تزيد نفقاتها عن الارقام المقررة لها ، وتقول : « ان كل زوجة ، وكل أم ، يجب ان تعرف الى أى حد تذهب . والا ، فان الخراب يحل بالأسرة ، ويتبعه الخلاف وانهيار البيت على سكانه ! »

تلك هى مسز فيوليت آتلى « السيدة الاولى » فى انجلترا ، بعد الملكة اليزابيث : امرأة بسيطة للغاية ، امرأة كسائر النساء !

[عن مجلة « سد وست الفرنسية »]

هل نحن نبحث في الحب عن أشباهنا أو عن أضدادنا ؟
وهل العامل الأقوى هو التشابه أو التضاد ؟



بقلم اميل لودفيج

النظر هو رسول الحب الأول ، والسمع لا يعدله في ذلك الا في القليل . ثم قد يحب بعض الناس مغنيا أو مغنية ، أو خطيبا ، أو متحدثا في المذياع ، عن طريق الصوت وحده ، ولكن هذا ليس حبا ، بل هو اعجاب بالصوت وصاحبه . أما النظر ، فهو أشد تأثيرا ، وأعظم تمكينا للحب . وقد لاحظ فيلسوف الحب «كازانوفا» ملاحظة طريفة ، هي أننا كثيرا ما نحب شخصا رأينا وجهه ولم نر جسمه ، ولكننا لا نحب شخصا رأينا جسمه جيلا دون وجهه

ومما يؤيد هذه الملاحظة ان الاديب الايطالي «دانتي» أحب «بياتريس» وقد رأى طرفا من وجهها فقط ، فأكمل رسم صورتها من مخيلته، وجعل منها عذراء فاتنة

ولكن ما هو العامل الاقوى الذي يجذب انسانا الى آخر ؟ أهو التوافق أم التباين ؟ وهل نحن نبحث في الحب عن أنفسنا أم عن سوانا ؟

يبدو ان الامر قد يكون هذا أو ذاك ، وانه كثيرا ما يكون لاحدنا صديقان يعجبه في كل منهما ناحية خاصة ، وهما لا يلتقيان في كثير من الصفات ، وقد يحدث ان يشعر شخص أسمر اللون بميل شديد الى الشقراوات، فاذا وقع في شراك الحب ، كانت حبيبته سمراء اللون سوداء الشعر ! ويلاحظ أيضا ان حب الشبيه للشبيه أقوى وأبقى ، وان عشق الضدين أوهى حبالا وأسرع الى الزوال ، وهو لا يعدو فتنة عابرة

ونحن نجد ذلك في أنفسنا ، اذ نرتاح الى أقرب الناس شبها بنا خلقا وخلقا ، فاذا طرأ علينا ميل الى غير ذلك ، كان ميلا الى أجل ، دافعه ظرف خاص من رغبة أو اضطرار . وليس الحب — كما يقول بعضهم — شبيها بالكهرباء ، اذ ينجذب الموجب للسالب ، فطبيعة الامرين مختلفة

* * *

والغزل ضرورة لتمام الحب ، وقد

تعاقبت الازمنة ، واختلفت الاحوال، وتباينت الطبائع ، ولا يزال الغزل وسيلةالناس الى بعث الحب أو اذكائه.
وليس الغزل مقصورا على الادباء من الشعراء والكتاب وأهل الفنون ، بل يعرفه كل انسان على طريقة تلائم بيئته وطبيعته ، فهناك الغزل البسيط، والغزل المعقد المتكلف ، وهناك الغزل الحزين الباكي ، والغزل الضاحك الساخر . وفي ميدان الحب تزول الفوارق بين الانسان العادي والشاعر الموهوب . فقد يذهب الحب بخيال الرجل العامي مذاهب تفوق ما يذهب اليه خيال العباقرة ، وقد قيل ان الحب هو الفن الوحيد الذي يجيده أو يتذوقه كل انسان ولو مرة في حياته
ولقد كان لاهل الاجيال السابقة، من فسحة الوقت ، وفراغ البال ، ويسر الحال ، ما زاد في أنواع الغزل، فعرفوا التغزل بالشعر ، وبالحديث ، وبالرسائل ، وجعلوه فنا ، له هواته ومحترفوه والمتخصصون فيه ، حتى ان أحدهم ليشهد الحفل العام ، فلا يحجم عن مغازلة احدى حاضراته علانية . وربما أعجبت به صاحبته فكافأته عن غزله علانية أيضا ، بالتحية الخالصة، أو الايماءة الخليعة ، أو القبلة تبذلها له ، دون توقر أو احتشام

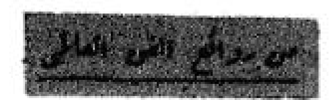
* * *

يقولون ان الرجل أكثر ما يبدأ التفكير في الحب ، حين يكون في مطلع الحياة وعنفوان الشباب بين سن العشرين والثلاثين ، في تلك الفترة التي لا يزدحم فيها وقته بالدأب في سبيل العيش ، وان المرأة أكثر مايبدأ تفكيرها فيه ، حين تكون بين الخامسة والثلاثين والخمسين ، وعلة ذلك انها تكون قطعت فترة الحيرة والبحث عن المعين . واذا اقترن محبان في سن واحدة ، كانت عاطفة الرجل أفعل وأقوى وأحد شبوبا ، حتى اذا تطاول الزمن بهما ، خفت حدته ، وفترت عاطفته ، لازدياد شواغله ، وكثرة صوارفه

* * *

وكذلك قد يكون الوفاق بين فتاة وزوج لها يكبرها بأعوام عدة ، فان اعجاب الفتاة بالرجل المكتمل المجرب واطمئنانها اليه ، يشعرها بالسعادة والتوفيق ، على أن ذلك ليس حبا خالصا ، بل هو مزيج من الحب والاعجاب والشعور بالامن والحماية، والعنصر الاخير أقوى تمكينا للرابطة، لان طلب الأمن والحماية من طبيعة المرأة . أما ما يذكره العامة من ايثار المرأة الرجل الذي يسودها ويستعبدها فليس حقا على اطلاقه ، فهي في الواقع تؤثر الرجل الذي يسود سواه . وليست هناك امرأة تحب رجلا سائدا متفوقا لمجرد رغبتها في الخضوع والاستسلام

[عن «خواطر في الحب» لاميل لودفيج]



مصرع بارا

للرسام الفرنسي ويرتس

فى سنة ١٧٩٣ كانت الحرب الاهلية فى فرنسا سجالا بين قوات الحكومة الجمهورية وبين الجماعات الملكية الباقية على ولائها لاسرة بوربون فى مقاطعة الفانديه. وذهب الجنرال « ديار » على رأس فرقة من جيشه لشد أزر القوات التى سبقته الى تلك المقاطعة ، وكان معه فتى يدعى «جان بارا» عهد اليه بأمر جياده. وكان بارا فى الرابعة عشرة من عمره ، فألبسه القائد لباس فرسان الهوسار وقلده سيفا ، وجعل يصحبه حيث رحل وحيث حل فى السفر أو فى القتال

وحدث مرة ، أن تفرقت الكتائب التى يقودها الجنرال لمطاردة الفلاحين الثائرين بالقرب من « سوليه » . وانفرد جان بارا عن الجيش ومعه الجياد ، فاحاط به فريق من العصاة ، وصاحوا به أن يسلم نفسه ويتخلى عن الجياد ، ولكن الفتى كان مخلصا لسيده وأمينا له ، فأبى ان يستسلم وحاول الدفاع عن نفسه وعن الامانة التى فى عنقه ، فتكاثروا عليه وأوسعوه طعنا بالسيوف والمناجل حتى مات وهو يهتف : « لتحى الجمهورية ! »

وتسامع الناس بهذه الواقعة ، حتى لقد خطب « روبسبيير » زعيم الثورة وسيد فرنسا فى ذلك الحين ، مشيدا بوطنية ذلك الفتى وبطولته ، واعلن أمام ممثلى الشعب فى الجمعية الوطنية ، ان جان بارا قتل بأيدى الفلاحين الملكيين ، اذ رفض ان يهتف بحياة الملك مؤثرا الهتاف بحياة الجمهورية

ومنذ ذلك الحين أصبح اسم جان بارا رمزا للبطولة والتضحية والوفاء . وتناول الكتاب سيرته بالتفخيم والتعظيم ، حتى أصبحت قصته على كل لسان . وحذا حذو الكتاب سائر أهل الفنون ، فوضع المثالون والرسامون عشرات التماثيل والرسوم التى تمثل ذلك الفتى فى مختلف الاوضاع

ومن الرسوم الفنية البديعة التى خلفها الرسام « جان جوزيف ويرتس » رسمان رائعان لذلك الفتى البطل ، يعد أحدهما وهو الذى تنقله على الصفحة المقابلة ، أبدع الرسوم التى تمثله ساعة مصرعه



هركولانوم

للرسام الفرنسى لورو

هركولانوم مدينة رومانية قديمة ، يقال ان هرقل أنشأها قبيل انشاء مدينة « تروادة » بستين عاما ، ولذلك نسبت اليه . ولقد تداولت امتلاكها شعوب كثيرة حتى أصبحت للاغريق ثم من بعدهم للرومان ، وكانت ابان الجيل الاول عقب الميلاد مقصد أعيان الرومانيين ، ومصيف أهل روما المختار

ولكنها على جمالها ووجاهتها كانت مبعث خطر دائم لاهلها ، لانها تجاور بركان فيزوف الذى كان يتهددها بين الحين والحين بثورة جائحة مدمرة . وقد دمر جزء منها بسبب هزة أرضية سنة ٦٣ ب.م ، وفى سنة ٧٩ ثار البركان ثورة عاتية دفنت المدينة تحت ركام من الحمم والحجارة واللهب

لم يبق للمدينة بعد تلك الكارثة من أثر ، وان ظلت أنباء ما اصابها حديث السمار والرواة ، حتى كشفت اعمال الحفر والتنقيب عن آثارها فى سنة ١٧١١ فتجدد الحديث عنها وعن مثيلتها مدينة « بومبيى » التى لقيت المصير نفسه

وقد اتخذ الفنانون وكتاب القصص من حادث تدمير هركولانوم وبومبيى ، موضوعا شائقا للتسجيل والوصف ، فترك الرسامون والمثالون طائفة من الرسوم والتماثيل يعد معظمها من روائع الفن ، وترك الكتاب طائفة من الروايات التمثيلية والاقاصيص ، تدور وقائعها حول هاتين المدينتين التعستين

ومن المشاهد التى سجلها الفن يوحى من ذلك الحادث ، رسم محفوظ فى متحف لكسمبورج بفرنسا للرسام الفرنسى « هيكتور لورو » ، هو عبارة عن لوحة تحمل اسم تلك المدينة البائدة « هركولانوم » ، وهو كما يرى فى الصورة يمثل ثلاثا من الفتيات الخادمات فى المعابد ، وقد فزعن من هول النيران الى تل خارج المدينة ، فألقت احداهن بنفسها فى مقعد ، وجثت الثانية الى جانبها ووضعت رأسها على صدر صاحبتها ، بينما وقفت الثالثة مذعورة يائسة تنظر الى اللهب المتصاعد من البركان وهو يلتهم المدينة ويسدل عليها ستارا داكنا . وقد هرعت ثلاث فتيات أخريات من المدينة يحاولن اللحاق بصواحباتهن



وحش كاسر!

« الخوف خادم نافع ولكنه سيد جبار . فلنطع العبد فيما ينفع ، ولنعص السيد فيما يجبر »

بقلم الدكتور احمد زكى بك

كانت قرية من قرى أوربا ، تلك التى حللت بها فى تلك الليلة القمراء ، واصطفت المنازل فى القرية ، وغطت سقوفها وحدائقها وشوارعها الثلوج ، فتراءى كل شىء فيها أبيض ، لولا ظلال رقدت عند جذوع الشجر ، وأخرى لاذت بالحوائط والأسوار .
وانبعثت من نوافذ البيوت أضواء تنبىء بما انضمت عليه من أهل وأنس ، ومن دفء ونار . وخرجت من بيت من تلك البيوت ، وقد تطوعت لأهله فى قضاء حاجة لهم ، وما رددت الباب ورائى ، ونظرت أمامى ، حتى اعترتنى وحشة من تلك الطرقات المقفرة ، وهذا البياض الشامل ، وحتى من ذلك البدر فى كبد السماء يصب ما يصب على الأرض من فضة فى صمت وسكون

ومشيت على الثلج ، وليس على كتفى غطاء ، ولكنى لم أحس البرد ، ولم أفطن لهذا التناقض . وما بعدت عن البيت حتى اتسع أمامى الطريق وانفرجت المنازل ، واذا بى أرى على مدى بعيد ظلا أسود ، يتحرك على الأرض البيضاء ، ثم اذا به يهدف ناحيتى . واقترب ، فتبينته ، فاذا به سبع يمشى الى على حذر . سبع يمشى فوق ثلج ! تناقض آخر لم أفطن اليه أيضا ، لأنى شغلت بعملية الدفاع . ولكن أين أداة الدفاع ! وأتحسس ظهرى فاذا بندقية فوقه اختطفتها اختطافا . وقلت أطلق للارهاب ، فما نفع ارهاب . وأتابع الطلقات فيزداد السبع نحوى عدوا حتى حسبت أنى أطلق لكل عدوة من عدواته طلقة . فلما هم أن يفتك بى ، صحوت من نومى على قلب يدق كأنه المطرقة على السندان . وملأنى الخوف بما لم يكن ملأنى قط على الصحو فى الحياة

وما كدت استرد وعيى حتى ملأنى خجل شديد . أمثلى فى سن الرجال حلمه أن يخاف وأن يفزع ؟! ولكنها النفس تحررت من ضوابط اليقظة ، وكوابت اليقظة ، فخافت وسعها . خافت كما يخاف الصبى فى غير مداراة ولا استحياء

عندئذ سألت نفسى : أيكون فى الخوف ما يخجل منه صبى أو شاب أو كهل أو شيخ ؟
ان الخوف غريزة من غرائزنا نحن بنى الانسان ، بل نحن بنى الحيوان ،

وما عبثا تخلق الغرائز وتوهب . ان الفأر يرى القط فيطلق سيقانه الأربع للريح . والطفل يرى الكلب ضخما عظيما،ويرى منه وجها متجهما ونابا، فيصرخ غير حافل ، لانه لم يتعلم بعد أن يحفل وأن يخفى وأن يكبت وأن يرائى كما يرائى البالغون . والرجل البالغ المرائى ، اذا جئته بغير سابق انذار فعل ما يفعله الطفل الساذج فظهرت طبيعته الحبيئة فصرخ وبكى وجرى

كنت أسير فى الريف مع رجل كهل، يبس الروماتزم عضلاته وجدها . وأبطأت من خطوى ليتفق مع خطوه . وكان يتحدث ، على البطء والوقار ، فيما يجمل بالناس وما لا يجمل . وتطرق الحديث الى الشجاعة فقسمها صنوفا ، فمن شجاعة جسمانية هى شجاعة الحرب والجلاد ، الى شجاعة أدبية هى شجاعة الكاتب والصحفى ، الى شجاعة .. وبتراءى لنا فى تلك الساعة من جانب الحقل حيوان يعدو . ثور يركض الينا فى ثائرة ، أثاره اياها لا شك معطف صاحبى وكان من فرو . فوجدت صاحبى ، ذا العضل اليابس والمفاصل الجامدة ، ينسى ما فى هذا من يبس وما فى هذه من جمود، ويستعير طراوة أرجل الصبى وليونة مفاصله ، فيعدو خيرا مما عدا الثور، ويستقر على حائط الحقل قبل أن أبلغه وأستقر عليه

ولست أدرى ان كان صاحبى هذا شجاعا أو غير ذلك . ولكن الذى أدريه ان الشجاعة لاتكون بغير خوف، وأن الرجل الذى لا يخاف لا يمكن أن يكون شجاعا . انما الشجاعة ان تحس الخوف ثم تحكمه . والحرب ، وميدانها هو الميدان التقليدى لاظهار الشجاعة، سموا يومها يوم الروع ، أى الخوف

انا لنرخص يوم الروع أنفسنا
ولو نسام بها فى السلم أغلينا

وأبطال الحروب يعترفون بالخوف، ولا يرون فيه المعرة ، انما يرون المعرة فى أن تأذن للخوف ان يتملك ويسيطر

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو طلبت مزيد يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع

وحديث الشاعر هنا الى نفسه

ان الخوف لم يخلق عبثا .. انها الغريزة تدرأ عن الحياة وتدفع . وهى ليست ظاهرة نفسانية فحسب ، انها جسمانية أيضا . فالذى يحدث فى الجسم عند الخوف شىء عجيب ، يذكر المرء بصرخات الحرب عند الأمم والتنادى للدفاع . ففى الخوف ينشط المجموع العصبى ليمد الجسم بكل ما أدخر من طاقة لوقت الحاجة، فضربات القلب تزيد ، ويزيد العرق ، ويزيد ادرار الكلى، كل هذا تخلصا من النفايا

التى تعوق الكتلة الجسمانية من أن تصل على أكفى حال . والمخزون من السكر فى الكبد ، وقد كان يخرج الى الدم بمقدار وعلى أقساط ، يرفع عنه هذا التقدير وهذا التقسيط، فيزداد الخارج منه الى الدم استعدادا لزيادة الحريق فزيادة القدرة التى لا يكون الكر والفر الا بهـا . وبينما تنشط فى الجسم تلك الاجزاء التى تتصل بأحداث الطاقة العاجلة للحرب العاجلة ، تخمد فيه تلك المناشط الأخرى التى ليس للدفاع حاجة بها عاجلة . ومن ذلك المعدة وجهاز الهضم . فالمعدة تبطىء الهضم وكل ما اتصل به من الافرازات وغدد تفرز ، كلها يتعطل أو يكاد. ومن ذلك جفاف الريق . واختصارا يصبح الجسم فى حالة روع ، أو حالة حرب ، تتجند فيها كل الوظائف وكل المرافق لهذه الحالة الطارئة

ويحدث أكثر هـذا بسبب مادة تفرزها الغدد الكظرية ، وموضعها عند الكلى ، وهذه المادة هرمون يدور فى الدم ، فيدور على الجسم كما يدور صارخ الحرب فى أحياء المدينة يعلن الناس بقيام « حالة حرب »

فكيف أخجـل اذن من الخوف ، وكيف تخجل ، والخوف أسسه ثابتة ضاربة هكذا فى الصميم من كيـان الانسان

وهى أشد ضربا فى كيان المجتمع وفى معاملات الناس . بل هى هكذا فى كل تقدم يكون واصلاح يتحقق ، فالخوف من الجوع هو الذى يدعو الى العمل ، والخوف من الرزق القليل هو الذى يدعو الى الاحسان . وحاجة كاسب العيش الطيب فى الناس هى التى تدعو الى الخوف من سوء السمعة بين الناس . لذلك تجد الأغنياء أقل احتفالا بالناس ، وبآرائهم ، وبالذى يتحدثون فيه فى أصباحهم وأمسائهم . وعندئذ يتضح الغنى بالذى فيـه كما ينضح الاناء ، فقد يكون استقلال فى الرأى محمود ، وقد تكون غلظة تقف عند حدود ، خشية من الناس أيضا

وخـوف المرض هو الذى يحمل الرجال على اتباع قواعد الصحة ، وخوف الموت هو الذى يحمل المرضى على الذهاب الى الطبيب ، وعلى أجره ما يشتهى لا ما يشتهى المرضى

وفى الشباب الباكر تحمل خشية الاخفاق فى الحب على التنظف والتزين والتأنق والتهندم، وقد تحمل على سهر الليالى فى طلب المجد أو طلب العلا ، « ومن طلب العلا سهر الليالى »

والخوف صفة محمودة تتطلبها فى كثير من الناس فتقبل عليهم ، لانهـا تدعو الى الحذر. وتعوزهم فتنفر منهم. فمن ذا الذى يقبل على جراح يقال ان الخوف لا يدخل قلبه

ولولا خشية الناس القانون لفسدت الأرض . ولا تقل لى ان الناس تعمل الخير للخير ، وتتجنب الشر للشر ،

فتلك دعوى لا تجوز على ولا تجوز عليك ، لا نقولها لأنفسنا اذا خلونا اليها، ولكن نقولها للناس اذا خرجنا اليهم ، وبسبب الخوف أيضا . والا فكم من الناس من يتورع عن سرقة اذا أمن ان تختفى سرقته ، وتختفى الى الأبد . وكم من الناس من يتورع عن اغتصاب الحقوق فى سبيل الغنى ، وانتهاك الحرمات فى سبيل اللذة ، والقتل عن غل والفتك عن حسد

ان الأنانية، وان الشره، وأساليب الشر كلها تقمع فى الطفل بالعصا ، فيرتد عنها خوف العصا . ثم هو يألف الطريق المستقيم بالعادة . والعادة قشرة تختفى وراءها النوازع الحيوانية الجامحة . وهى قشرة قد ترق وقد تسمك ، ولكن يأكل متنها المبرد العاتى ، أو قد ينسفها ما اختبأ تحتها من غريزة تهيىء لها الظروف أن تتنزى لتحدث انفجارا

على أنه ما القانون ؟ هو عهد بينى وبينك ألا أعتدى وألا تعتدى ، حملك على توقيعه والرضى به ، أو حملنى ، خشية أن تكون عندك القوة ويكون عندى الضعف . ولو أنى أمنت أن تكون القوة الى جانبى ، وأن تظل دائما الى جانبى ، ما حفلت بتوقيع عقد أو خضوع لقانون . ثم أليست هذه هى حال الدول فيما بينها ، تتهرب من العقود ومن القوانين ما كانت لها القوة ، وما ارتفع عنها الخوف . وهى لا تطالب بعدل ، ولا تتمسح باسم العدالة والحرية والمساواة الا عند الضعف ، وعند الخوف

ليس على من بأس ان أخاف ، وليس عليك من بأس أن تخاف . . أن تخاف الطبيعة الجامدة فى عتوها ، وأن تخاف الطبيعة الحية فى جورها ، وأن تخشى نفسك وتخشى الناس وتخشى الله

ان الخوف صديقى وصديقك ، وهادينى فى الحياة وهاديك ، وهو خادم نافع ولكنه سيد جبار . فلنطع العبد فيما ينفع ، ولنعص السيد فيما تجبر ، والعاقبة للمتقين

احمد زكى

التفكير قبل التقدم

قال الشاعر :

إذا ما أردت الأمر فاذرعه كله	وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالماً من ندامة	فلا خير فى أمر أتى بالتندم

رجل .. وامرأة .. وكتاب

بقلم أنطون الجميل باشا

تقولون : « ان فى حياة كل انسان ملحوظ رجلا وامرأة وكتابا ، كان لهم الأثر الأول فى تكوينه أدبيا وخلقيا » . واستنادا الى هذه القاعدة، تسألونى عن هؤلاء الثلاثة الذين كان لهم الأثر الأكبر فى تكوينى

وأنا أقول تمهيدا للرد على هذا السؤال : انه مهما تنتشر المبادىء الديموقراطية ومهما تتعدد المحاولات لتوطيد اللامركزية ، يظل الانسان ميالا الى « التركيز » فيما يتعلق بغيره كما يظل نزوعا الى الأثرة فيما يتعلق بذاته . فاذا كانت كلمة « أنا » تبقى عنوان الفرد ، فان الفرد يبقى عنوان الجماعة

فالولايات المتحدة الامريكية فى نظر الناس عامة هى اليوم «ترومان» كما كانت بالأمس « روزفلت »

وبريطانيا اليوم « بيفن » كما كانت فى أثناء الحرب « تشرشل »

وروسيا اليوم « ستالين » وكانت قبلا « لينين »

وفرنسا كانت فى أيام المقاومة « دى جول » وهى اليوم « بيدو »

هذه النزعة الى التركيز بادية فى كل شىء ، كما هى بادية فى السؤال الذى توجهونه الى ، اذ تضعون قاعدة وهى « ان فى حياة كل انسان رجلا وامرأة وكتابا كان لهم الأثر الأول فى تكوينه » وتطلبون الى تطبيقها على نفسى

والقاعدة صحيحة الى حد ما فقط . لان تكوين الانسان خلقيا وأدبيا نتيجة عوامل شتى لا يجمعها الحصر .. منها ما هو ظاهر معروف ، ومنها ما هو خفى مجهول، كالوراثة والبيئة والتربية والصحة أو المرض، وما الى ذلك من الحوادث والظروف القريبة والبعيدة . فرب حادثة شهدناها عرضا ، أو كلمة سمعناها اتفاقا، كان لها أثر فعال فى تكويننا أو

توجيه مجرى حياتنا ، كما يعرف ذلك كل من عكف على نفسه بين آونة وأخرى ، يدرس ميولها ، ويحلل نزعاتها

ومهما يكن من الأمر ، فانى عملا بقاعدة التركيز أجيب عن سؤالكم فى نطاقه الضيق فأقول :

«ان الرجل الذى أثرفى تكوينى الأدبى هو الأستاذ الذى كان يدرسنا البيان والبلاغة يوم كنا طلبة ، فقد أثار فى نفوسنا الفتية تذوق روائع المعانى وبدائع التعبير ، وراض أفكارنا على الترتيب والتنسيق فى التأليف



أنطون الجميل باشا فى شرخ الشباب

« واما المرأة التى كان لها الأثر البالغ فى تكوينى الخلقى فهى أمى ، وقد علمتنى الجلد والتسامح ومعاملة الناس بالحسنى . فاذا كان لى شىء من الفضل فمرجعه اليها

« واما الكتاب فان المثل اللاتينى يقول « أخشى رجل الكتاب الواحد » أى أن الرجل الذى ينقطع الى دراسة كتاب واحد يتمكن من موضوعه ويصبح فيه حجة . ولكن عهد « الكتاب الواحد » قد مضى وانقضى ، وصار المرء ولا غنى له عن الالمام بشتى العلوم والفنون . ولعل خير كتاب يفيد منه الانسان هو « كتاب الناس » .. فان فصوله متصلة الصفحات ، ويستطيع الانسان من معاشرة مختلف طبقات « الناس » ان يقتبس كل يوم فوائد لا تعد ولا تحصى اذا كان له شىء من دقة الملاحظة وحسن التحليل

أنطون الجميل



يحدث أحيانا ان يعتدى كلب على أحد المارة ، فتحكم المحكمة بأعدام الكلب فضلا عن تغريم أصحابه

ويذكرنا هذا الحكم بما كان يصدر من أحكام ضد الحيوانات فى أوربا ابان القرون الوسطى . ولم تكن تخص الكلاب وحدها ، وانما شملت كل حيوان يسىء الى المجتمع،فالخنازير كان يؤذن لها ان تنطلق فى الطرقات لتجمع طعامها حيثما وجدته ، وقد حدث أكثر من مرة ، ان بعض هذه الخنازير هاجمت أطفالا لم يكن يحرسهم أحد فقضت عليهم . وكان المتبع فى مثل هذه الحال ان تقوم النيابة ، أو ما كان يقوم مقام النيابة عند ذلك باتهام الخنزير ، فيقبض عليه كما يقبض على الرجال ، ويعين له محام ، ويظهر مع محاميه أمام المحكمة ، فاذا ثبتت ادانته حكم عليه بالشنق،وعندها يلبسونه ملابس الرجال ، ويشنق كما يشنق المجرمون من الآدميين . وقد نرى فى ذلك سخافة ، وقد أرى مثل ما ترى ، حتى اذا علمت ان هؤلاء الناس كانوا لا يتهمون الكلب أو الخنزير ، ولكنهم كانوا يتهمون الشيطان الذى تقمصه ، ويشنقون الشيطان الذى حل فيه ، اذا علمت ذلك لم تجد فيما صنعوه سخفا، ولكنه الامر الطبيعى الذى ينتج عن مثل هذه العقيدة

والحال بين الحشرات ، مثلها عند ذوات الأربع من الحيوان. والحشرات تعتدى على الانسان ، وهذا معروف مشهور ، ولكن الذى ليس معروفا ولا شائعا انها تعتدى على ذات نفسها، وتخرق القانون فيما بينها . خذ مثالا لذلك النحل . فالنحل كالرجال ، منه ما يبدأ الحياة مسالما ، ويتخذ طريقه نحو الحصول على الرزق كسبا، ومنه من يسأم العمل فيخرج على النظام، فيؤلف من بين أشباهه جماعة للسلب والنهب ، تغزو خليات النحل ، فتصد الى حراسها فتقتلهم أولا ، ثم تدخل الخلية فتنهب ما فيها من عسل

وقد ذكر « بوخنر » ، وهو مختص بدراسة النحل، ان الطريقة التي تهاجم بها هذه العصابة وأمثالها الخلية ، تدل صراحة على انه نهب مقصود يأتيه النحل وهو على علم به ، وعلى يقظة منه . وذكر أيضا انه يستطيع ان يقلب المواطن المسالم في جماعة النحل الى قاطع للطريق نهاب ، بأن يطعمه العسل مخلوطا بالكونياك، فعندها تقل شهوته للعمل ، فيطلب الرزق من طريق الشيطان

وما أسرع ما ترتكب الطيور القتل اجراما اذا حفزها الى ذلك حافز شديد، وقد روى الرواة فيما رووا قصصا عدة عن مهاجمة صنف من الطير صنفا غيره ، فأخرجت من عشه ، وقذفته ببيضة ، واحتلت البيت الجديد غصبا . وحدث مرة ان هذا الطير المتصوب الطريد ، عاد من بعد ذلك في جماعة من جنسه ، فصنعوا صنيعا غريبا لا يكاد يصدق ، جاءوا بالطين في مناقيرهم وسدوا مدخل العش على من فيه فجعلوا من البيت المسلوب قبرا

وطير « اللقلق » ويسمى عنز الماء، تحمله الغيرة على خرق القانون ، وهو في هذه الحالة لا يقتل الذكر المنافس، ولكن يقتل أنثاه هو نفسه على خيانتها بتشجيعها غريبا على التغزل بها . ويعرف أهل أزمير ذلك عن هذه الطيور ، فيتخذون من هذا موضوعا للمزاح الثقيل ، فيضعون في عش هذا الطائر بيضا من بيض الدجاج ، فاذا عاد الذكر ووجده،ظن بأنثاه الظنون . وهم عندئذ يجمعون الأهل والأصدقاء ليروا مايقوم بين الطائر الزوج وزوجه من معركة تنتهي بقتل الأنثى الضعيفة

ومثل الحشرات والطير ، صنوف الحيوان التي تقرب في مراتب المملكة الحيوانية من الانسان . خذ مثلا الغورلة والشمبانزي . ففي الكنغو الغربية تتسلل هذه الحيوانات الى منازل أهل القرى فتغزوها وتسرق ما فيها من دجاج وبيض وأناناس ولكنها لا تغزو القرى هجوما من غير تدبير ، فهي تدبر كل شيء قبل ان تبدأ الغزو ، بل هي تقوم بالتجربة قبل الغزو لتستيقن من مقدار نجاحها، فاذا جاء أوان الغزو تسلل الغزاة فاصطفوا صفا واحدا ينتهي طرفه الى البيت المقصود . ثم يناول الواحد أخاه ما يسرق ، وهذا يناول من يليه فمن يليه ، فتجري السرقة في سكون لا يحس به أحد من أهل القرية

ان الاجرام خلق مع الحياة ، فحيثما تكن الحياة يكن الاجرام . وبالذكاء يخلق القانون ، وبه أيضا يخلق الاجرام . والحيوانات لها حظ من الذكاء لا شك فيه ، فهي لذلك لها نصيب من هناءة الأمن على المسالمة ونصيب من الشقاء على الاجرام

[عن مجلة « ليبرتي »]

الى الشباب

بقلم على الجارم بك

أهبتُ بالشعر أن يعودا الى الصبا ناعماً رغيدا
يذكرُ . مرَّ من عهودٍ لله ما أنضرَ العهودا !
فى كل يوم أرى فتاء وهو يرى حوله خلودا
طار حثيثاً بكل أفق لما مشت خطوتى وئيدا
وصوّحت دوحتى ومالت ولم يزل مادحاً غريدا
يأخذُ ما أبقت الليالى ويبتغى فوقه مزيدا
تجارى الباكياتُ عادت تجرى بأوتاره نشيدا
فى حكمة الشيب لى عزاء وكم وعيد حوى وعودا
كادت أياديه وهى بيض تُنسى حُلىّ الشباب سودا

***

علوتُ طود الزمان حتى رأيتُ من فوقه الوجودا
وبان ما لم يَبِنْ لغيرى وكان عن عينه بعيدا
كان شبابى رفيق عمرى فعشتُ من بعده وحيدا
غاب فلما مضى وولّى جعلتُ شعرى له بريدا
أبثّ بالشوق كل يوم ويبعثُ الهجر والصدودا

وكم محوتُ السطور لثماً ... أحسبها للصِبا خدودا

يصوّر الحبّ في إطار ... فأبصر الغيد فيه غيدا

ويرسُم الماضيَ المولّي ... كعهده باسماً سعيدا

ألمحُ شخصي به كأني ... ألمح شخصاً به جديدا

أين ورودي وأين كأسي ... ماذا دهى الكأس والورودا ؟

لم يبق مني سوى لسان ... يجيد ما شاء أن يجيدا

وفكرةٍ صُوّرت نضاراً ... وحكمةٍ نُظّمت عقودا

***

فيا شبابَ البلاد صونوا ... شرخَ الصِبا قبل أن يبيدا

يعود في الكون كلُّ شيء ... وذاهب العمر لن يعودا

إن اشتكى النيلُ مسّ ضيم ... فحرّموا حوله الورودا

تجارة الرق قد تولت ... فما لنا نلمح القيودا ؟

قد ذهب العمر في جدال ... كنا لنيرانه وقودا

لا يدرك السُؤْلَ غيرُ عزم ... مثابر يقرع الحديدا

فأيقظوا مصرَ من جديد ... فإنها ملّت الرقودا

لا ترسموا للطموح حداً ... فالمجد لا يعرف الحدودا

العلم أمضى من المواضي ... فجردوا نحوه الجهودا

مصرُ تريد السماء وثباً ... وأول النُجح أن تريدا

علي الجارم

ما أكثر الغفلة فى العالم وما أقل العقل !

المغفلون

بقلم أحمد أمين بك

فى كل جمعية — مهما ارتقت — نسبة مئوية من المغفلين ، تختلف باختلاف الأمم فى التربية والثقافة والاستعداد الطبيعى ، ولكنها نسبة عالية على كل حال وفى كل أمة

وتلعب هذه الغفلة فى حياة الافراد والشعوب أدوارا خطيرة وكثيرة ومتنوعة

انظر ما تعمله الغفلة فى باب الحب ، فقد يكون المغفل الرجل وقد يكون المرأة وقد يكونان معا . هذا رجل ينظم قصائد المديح فى المرأة ويتغزل فى جمالها وأخلاقها ، ويذوب وجدا فى حبها ، ويشكو الضنى من هجرها وصدها ، فتصدق المرأة كل ذلك ثم تتكشف المسألة عن غفلة منها مطبقة . وهذه امرأة تتظاهر بالحب والهيام ، وتصور أجمل الصور للسعادة فى الزواج ، حتى اذا تمت حيلتها انقلب البيت كله جحيما ، واذا الأمر كله لم يعد ان يكون خداعا من المرأة وغفلة من الرجل . وكم فى الحب من صنوف وألوان ومآس ، كلها مضرب المثل فى الغفلة ، وكم للرجال من ألاعيب على النساء ، وللنساء من ألاعيب على الرجال ، كلها تصوير للغفلة تكفل بالحديث عنها كتاب « ألف ليلة وليلة » فى القديم، وآلاف القصص فى الحديث.

وفى المعاملات المالية من بيع وشراء، وإيجار ورهن، وما إلى ذلك، ضروب لا عداد لها من الخداع من جانب والغفلة من جانب ، حتى ان كثيرا من ثراء الأثرياء منشؤه الخداع ، وكثيرا من فقر الفقراء منشؤه الغفلة

ومن أكبر مظاهر الغفلة فى الأمم انتشار الخرافات والأوهام ، فالفقير المسكين ينذر النذور ينتفع بها الأغنياء المترفون ، هذا ضرب من الغفلة . والمريض يسلم نفسه للدجالين ضرب من الغفلة ، والاستسلام لفاتحى البخت وقراء العزائم والمنجمين ومحضرى

الأرواح وأمثال هؤلاء ، ضرب من الغفلة

ان هؤلاء المغفلين فى كل أمة مرتع خصيب للمشعوذين من رجال الدين، والدجالين من السياسيين ، والنصابين من رجال المال ، والمهرجين من أرباب الأعمال يستخدمونهم لمنفعتهم ، ويستغلونهم لمصلحتهم ، ويستنزفون أموالهم لشهواتهم ، ويضحكون على عقولهم كما يضحك « الحاوى » الماهر على جمهرة المتفرجين

وكلما كثر المغفلون فى أمة كان الناجحون فيها هم المشعوذين فى الدين لا المصلحين ، والسياسيين المهرجين لا السياسيين المعقولين ، ورجال المال والاعمال المهوشين لا الصادقين ، وعاش المخلصون الجادون فى عناء ، وعاش المزيفون الهازلون فى رخاء ، ذلك لأن المغفلين لا يستطيعون ـ لغفلتهم ـ ان يدركوا ماوراء الابتسامة من مأساة ، ولا الباطل مغلفا بطلاء من الحق ، ولا اليد الحديدية فى قفاز من حرير . وهم ـ لغفلتهم ـ يتأثرون أكبر أثر بالشيء التافه ، ولا يتأثرون أثرا ذا بال بعظائم الامور ، كالرجل يثور لاستلاب قرشه ، ولا يثور لامتهان نفسه ، يلتفون حول الحادثة فى الشارع يتقصون الاسباب، أكثر مما يفكرون فى انقاذ المصاب

ونأتى بعد ذلك الى أهم الفصول فى رواية المغفلين ، وهو فصل « الغفلة فى الحروب » فنرى على المسرح حفنة من الرجال زعموا لأنفسهم كبر العقل وبعد النظر وصدق الوطنية ، ودفعوا أممهم الى الحروب فسالت الدماء ، ويتمت الاطفال ، وخرب العمران ، وانتشر الرعب ، وهلعت القلوب، وعم الجوع والبؤس والشقاء

وكان الظن بالعقلاء ان يكون فى هول ما حدث عبرة للمعتبر ، وعظة للمتعظ ، وان يدركوا ان ما يناله حتى المنتصر لا يساوى ما خسر، وان النتائج لا تساوى المقدمات ، وان خسارة العالم كله فى الانفس والاموال أضعاف أضعاف ما ربح من حربه

ولكن ما ظنك بقوم يرون هذه النتائج كلها ولا يتعظون بما حدث مرة ومرتين وألفا ، ثم يرون ان الحرب اليوم غير الحرب أمس ، فقد أصبحت عالمية بعد ان كانت محلية ، وصارت حرب شعوب بعد ان كانت حرب جنود ، وأصبحت فى السماء والارض بعد ان كانت فى الارض فحسب ، وهددت المخترعات الحديثة بفناء الملايين والقضاء على الحضارة ، ومع ذلك كله نرى أن لا عظة ولا اعتبار ، ونرى بذور الحرب القادمة تبذر من اليوم، وتغذيها الخصومات ، وضيق النظر .

حتى لتنذر أن تكون شجرة ملعونة ، فيندلع لهيب الحرب من جديد، ويحدث ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن

أليس هذا كله – بحق – أعظم فصل فى رواية المغفلين ؟

اننا نحكم بالغفلة على من أهمل فأحرق بيته ، فكيف لا نحكم بالغفلة على من تعمد فأحرق العالم ؟

ونحكم بالغفلة على من لدغ من جحر مرتين ، فما ظنك بمن لدغ ألف مرة ولا يزال يمد يده للجحر ؟

ونحكم بالغفلة على من رمى شيئا من ماله فى البحر ، فكيف بمن رمى ماله ومال قومه ومال العالم فى النار والبحر ؟

ولكن من المغفل فى الحقيقة ؟ أهم هؤلاء الزعماء الذين يقودون الشعوب للهلاك طمعا فى مجد زائف وباسم الوطنية الكاذبة ، أم هى الشعوب المغفلة التى تسمع لهذا النداء الهراء، ولا تدرك خديعتهم ولا تكشف لعبتهم؟ الحق ان هؤلاء مغفلون وهؤلاء مغفلون

وما أكثر الغفلة فى العالم وما أقل العقل !

وقد منحت الطبيعة أكثر الناس عقلا كعقل الطائر ولكن لم تمنحه جناله

احمد امين

حياتنا ..

○ هـذا تاريخ البشر : ولادة وزواج وموت ، ثم ولادة وزواج وموت ، ثم ولادة وزواج وموت ، ولكن فى فجر كل عهد من سلسلة أجيال خالية إلا من الزواج والولادة والموت ، يظهر فى الأرض مجنون ذو فكرة غريبة ويقص على البشر حلماً رآه فى عالم غير هذا العالم، وبين مخلوقات أرقى من سكان هذه الأرض الذين لا يرون فى أحلامهم سوى الولادة والزواج والموت !

○ الحياة امرأة ساحرة حسناء تستهوى قلوبنا ، وتستغوى أرواحنا، فان مطلت أماتت فينا الصبر ، وان برت أيقظت فينا الملل

○ كلنا محارب فى معركة الحياة ، ولكن بعضنا يقود ، وبعضنا يقاد !

○ ليست الحياة بسطوحها ، بل بخفاياها ولاالناس بوجوههم بل بقلوبهم

○ انما نراه بأعيننا ليس بأكثر من غمامة تحجب عنا ما يجب أن نشاهده ببصائرنا ، وما نسمعه بآذاننا ليس إلا طنطنة تشوش مايجب أن نستوعبه بقلوبنا

○ لم أجد فى الحياة سوى حقيقتين أوليين هما : الجمال ، والحق. أما الجمال ففى قلوب المحبين ، وأما الحق ففى سواعد العمال

[عن جبران خليل جبران]

تعلم كيف تسوس الناس!

معاملة الناس فن يحتاج الى خبرة ودراسة . فنفوس الناس أبواب مغلقة لا يمكن النفاذ اليها إلا بالفطنة ، وحسن الدراية ، والمران . وفى هذا المقال أمثلة لبعض الأشخاص الذين استطاعوا فتح هذه الأبواب ، وكانت سبيلا لنجاحهم فى الحياة ..

دزرائيلى يكسب خصومه

انه يمضى أكثر يومه ساكنا منزويا، ولكنه يقول فى نفسه : غدا يكون صوتى هو أعلى الأصوات ، ويكون مكانى فى طليعة الصفوف

ذلك ان هذا الشاب الذكى ، اللبق ، تبين ان خير وسائل النجاح ان « يستر نبوغه » فيسدل عليه ستارا من السكوت ، والانزواء ، بل من الغباء المصطنع . لكيلا يثير عليه خصومة الأعداء ، وليحملهم على ان يتركوه وشأنه ، فلا يضعوا فى طريقه العقبات، ولا يرصدوا دونه الأبواب ..

حتى اذا وجد الطريق أمامه ممهدة والباب مفتوحا ، ووجد خصومه فى غفلة عنه لا يقيمون له وزنا ، تحرك من مخبئه ، ورفع الستار المسدول ، وبرز للأعين فجأة بخطبة فذة ، رنانة، مثيرة ، تخير لها الوقت المناسب ، وتخير لها « الحالة النفسية » المؤاتية، فاذا باسمه على كل لسان ، وفى كل اذن ، واذا به — بعد قليل — وزير بريطانيا الأول ، وأحد ساسة أوربا المبرزين

وهكذا كسب دزرائيلى الناس ، بأن تظاهر بأنه رجل ضعيف، بسيط، خامل ، لا يخشى بأسه ، وكان فنه هذا معقولا ، فقد سبقته الى مجلس العموم أقاويل وشائعات ، جعلت خصومه يتأهبون للقائه فى قسوة وعناد، فالناس يتحدثون عن هذا الشاب ، الذى يتألق ذكاء ويفيض بيانا، والذى يسخر من خصمه ، فيثير الناس ضحكا عليه ، ويقسو عليه ، فيهيجهم حقدا عليه ، والذى لا يقيم للتقاليد وزنا ، ولا يحسب لأقدار الرجال حسابا !

وتبين دزرائيلى هذا . فكان عليه ان يسلك مسلكا جديدا ، كان عليه ان يثبت ان هذا الذى تصوروه وهم من الأوهام . فها أنذا أمامكم :

شخص ساذج بسيط ، لا أكاد أفتح فمى بكلمة ذكية بارعة ، بله كلمة ساخرة قاسية ، ولا أكاد آتى عملا يدل على فهم وحذق ، دعوا عنكم المكر والدهاء ..

وبهذه الوسيلة استطاع دزرائيلى ان يطوى أجنحة الخصوم ، بعد ان كانوا متهيئين للانقضاض عليه ، واستطاع ان يسقيهم مخدرا يحول بينهم وبين النهوض لمقاومته ومشاكسته

حتى اذا هدأ خصومه ، وألقوا السلاح ، ظهر دزرائيلى على حقيقته ، سياسيا داهية يحار فى أمره الناس

والمغزى انه ينبغى ألا تثير خصومة الناس قبل ان تتمكن منهم وتسيطر عليهم . بل جارهم ، وهادنهم ، حتى اذا أمنتهم ، خرجت عليهم بما أوتيت من كفاية ، وبما أعددت من أعمال .

العامل الذى صادق العظماء

لما كان ادوار دلوك ، محرر جريدة السيدات المنزلية » ، صبيا فى الثالثة عشرة ، استرعى أنظار عدد كبير من عظماء أمريكا وسيداتها ، منهم الجنرال جرانت ، أبرز شخصية أمريكية فى مطلع هذا القرن ، ومنهم رذرفورد هييز الذى غدا فيما بعد رئيسا للجمهورية ، ومنهم زوجة ابراهام لنكولن ، ونفر كبير من رجال الصناعة ، والسياسة ، والجيش

فكيف استطاع هذا الصبى الناشىء الذى كان عندئذ يعمل « ساعى بريد » أن يظفر بصداقة هؤلاء العظماء

انه ابتكر طريقة كان فى وسع كل امرىء ان يبتكرها ، فقد أرسل لكل منهم رسالة فى موضوع يهمه

أخذ ادوارد يقرأ ما كتب عن هؤلاء العظماء من التراجم التى تقع تحت يديه ، وهى تراجم فى متناول اليد ، اذ يستطيع ان يستعيرها من دار الكتب أو يشتريها . ثم قرر ان يتأكد من صحة ما فى هذه الكتب من الأنباء ، ولماذا فعل هؤلاء العظماء كذا ولم يفعلوا كذا

وبدأ فكتب رسالته الاولى الى أحد قواد الجيش ، يسأله عن صحة حكاية قرأها فى كتاب عنه ، فعنى القائد بأن يجيب عن سؤال هذا الصبى المعنى بأمره ، المهتم بتحقيق حوادث حياته ـ فكتب اليه رسالة ضافية يذكر له صحة الامر ، ويثنى عليه لأنه ليس كغيره من الصبيان ، الذين يكتبون اليه يطلبون صورته أو توقيعه ، بل كتب اليه ليتعلم شيئا جديدا

راح ادوارد بعد هذا يكتب مثل هذه الرسائل الى كثير من رجال أمريكا وسيداتها ، فكان يتلقى منهم ردودا طيبة تشكر له حسن فهمه وجميل عمله ، ودعاه بعضهم لزيارته عند ما يهبطون المدينة التى يقيم فيها .

وكثيرا ما رأى الناس بعض عظماء أمريكا عند ما يفدون الى هذه المدينة يسألون عن الصبى « ادوارد بوك » الذى يعمل ساعى بريد !

ان الطريقة التى اتخذهـا الصبى ادوارد فى فتح قلوب العظماء ، انه لم يسألهم ان يؤدوا له خدمة ما ، أو يصنعوا معه جميلا ما ، بل أخـذ يسألهم فى أمور تعنيهـم وتهمهـم ، ليتعرف وجه الصحة فيهـا والداعى اليها ، وليس أحب الى المرء من ان يرى الناس يهتمون بأموره وأنبائه ، ويريدون ان يتعرفوها على وجه الدقة

لو ان ادوارد بوك أرسـل ألف خطاب الى عظمـاء أمـريكا ، يطلب صورهم وامضاءاتهم لما أجاب أحد منهم ـ ولكنه وقد أرسل اليهم يسألهم عن أشياء تتصل بحياتهم وتشعرهم بأهميتهم فقد وجد من كل منهم صدرا مفتوحا للقائه ، ولرعايته

وقد أفاد من هذا فى مستقبله ، فعندما صار صحفيا ، وأنشأ « مجلة بروكلين » كتب فيها صديقه القـديم رذر فورد هييز ، رئيس الجمهورية حينذاك ، فكان نصرا صحفيا لم تبلغه أية جريدة كبرى ، وكانت هذه المقـالة كفيلة بنجاحه فى الميدان الصحفى

الصحفى الذى انطق هوفر

كان الرئيس هربرت هوفر رجلا سكوتا صمـوتا ، يكاد يمضى الساعة والساعات ، بين الناس ، دون ان ينبس بأكثر من « نعم » أو « لا »

فكيف اذن استطاع الصحفى الامـريكى « بول ليتش » ان يغريه بالكلام ساعتين متصلتين ، فاض فيهما هوفر بالحديث المتشعب هنا وهناك ، حتى خرج منه بحديث صحفى كان له دوى فى أمريكا جميعها ؟

كان هوفر مسافرا فى قطاره الخاص ومعه رتل من الصحفيين ليصفوا مشاهد الرحلة ، دون ان يطمع واحد منهم فى ان يظفر منه بحديث لجريدته

وكان بينهم بول ليتش ، مندوب جريدة « شيكاغو ديلى نيوز » .. وقد أتيح له ان يدخل العربة الخاصة بهوفر ، فقال فى نفسه : انها فرصة ذهبية حقا لو ان هذا الرجل ينطق بشىء !

ولكن هوفر جلس فى مقعده ، لايكاد يتحرك ، ولا يرجى منه ان يتكلم ، فلا دخـول ليتش الى العـربة ، ولا جلوسه على مقربة منه ، استدعى منه كلمة أو التفاتة !

وراح ليتش يحاول ان يفتح هذا الفم المطبق المغلق ، فتحدث فى موضوع تلو موضوع ممـا يعنى هوفر ، فى حياته السياسية مرة ، وحياته الخاصة مرة أخرى .. دون ان يوفق الى ان يثير فى هذا الرجل أى اهتمام بالتعليق على كلامه ، بأكثر من ايماءة من رأسه أو اشارة من يده !

ان ليتش يواجه مشكلة يواجهها كل منا فى حياته اليومية : مشكلة الرغبة فى التأثير فى رجل أكبر منا سنا ، وأعلى قدرا ، اذا كان هذا الرجل غير مكترث بنا

فماذا يصنع ليتش ؟ انه يقول :

« كدت أيأس من الظفر بحديث معه . ولكن خطر لى خاطر غريب . أيظل هذا الرجل صامتا ، جامدا ، اذا ذكرت بعض الاخطاء ، والاكاذيب ، فى موضوع يعرفه هو تمام المعرفة ؟

« وكان القطار يجتاز حينذاك منطقة نيفادا . وهى منطقة يعرفها هوفر خير معرفة . فقلت ، وأنا أتعمد الخطأ ، ان هذه المنطقة ما تزال بكرا لمن يريد ان يستغلها ويغتنى فيها

« واذا بهوفر يلتفت الى ، ويقول : انك مخطىء ، فهذه منطقة استنفدت خيراتها .. واذا به يتكلم ، ويفيض ، عن مناجم الفحم ، وآبار البترول ، وخطوط الطيران ، وهذا وذاك من المواضيع المهمة .. واذا به لا يكف عن الكلام ساعتين متصلتين »

لقد كان فى العربات الأخرى جماعة من أكبر الشخصيات الامريكية ، وكان ينتظر هوفر حينذاك كثير من العمل الذى يقتضيه الاستجمام والتفكير ، ومع ذلك فقد أعرض عن هذا وعن ذاك ، وانصرف ساعتين كاملتين يتحدث الى هذا الصحفى الشاب الذى لا يعرف عنه شيئا ..

لأن هذا الشاب أتاح له فرصة يظهر فيها معارفه العلمية الكاملة ، الدقيقة ، عن مرافق الانتاج وشؤون الصناعة

ان هذا الصحفى لم يلق عليه أسئلة يريد الجواب عنها ، ولو فعل هذا لخرج من عنده صفر اليدين .. ولكنه تعمد ان يخطىء فى أمر يعرفه هوفر معرفة تامة ، فأتاح له بذلك ان يتكلم ليصحح له خطأه ويظهر للملأ معارفه

ليدى استور تعلن عن فندق

« ايفى لى » أشهر « مستشارى الاعلان » فى أمريكا ، تقصد اليه المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى تستشيره فيما تريد توجيهه من حملات الاعلان ، وقد كان من عملائه « شواب » ملك الحديد ، و « روكفلر » ملك البترول

فما هو « الفن » الذى اتخذه حتى بلغ هذه الدرجة العالية فى ميدان الاعمال ؟ انه « فن الاقناع » الذى يبدو فى القصة التالية :

سافر « لى » الى انجلترا ليقنع « ليدى استور » ـ احدى الشخصيات البارزة فى انجلترا ، وأول سيدة تدخل مجلس العموم ـ بأن تعود معه الى أمريكا لتتولى وضع حجر الأساس لفندق « والدورف أستوريا » فى نيويورك

فلما عرض عليها هذا أجابته مغضبة : لا . ان هذا أمر يمس كرامتى . أتريد منى أن أكون اعلانا عن فندق ؟

فأجابها « لى » مندهشا : نعم . هذا ما أريده منك ! فأى شىء فى هذا؟

واستطرد «لى» يتكلم فقال : «اننى أعلم أنك تريدين تحقيق أشياء جليلة، ان فى ذهنك كثيرا من الافكار تريدين ان تبلغيها عقول الناس »

قال هذا ــ فرآها تقبل عليه تستمع منه ، بعد ان كانت معرضة عنه ، فأخذ يبين لها كيف ان مثل هذه الحفلة التى ستذاع باللاسلكى فى أرجاء أمريكا (كان هذا فى سنة ١٩٣٠) ستجعل اسمها على كل لسان ، فأى مقـال تكتبه ، وأية خطبة تلقيها ، بعد هذا ستجد من القراء والمستمعين ، ومن المهتمين والمعجبين ، أكثر مما كانت تجد من قبل

فأدارت ليدى أستور الأمر فى عقلهـا ثانية ، ولم تلبث ان أجابت الدعوة

وتتبين من حديث «لى» معها أمرين:

أولهما ــ انها حين غضبت ، ظنا منها ان الأمر يمس كرامتهـا ، لم يتراجع «لى» عن موقفه، بل جابهها فى صراحة بأنه يريد منها حقا ان تكون اعلانا عن فندق ، ولو انه تراجع لكبر فى ظنها ، بل لاستقر فى يقينها ، ان الأمر يمس كرامتها فعلا . أما وقد جابهها بحقيقة ما يريد فقد حملها على ان تعيد التفكير فى الأمر من جديد ، فما يمكن ان يصر الرجل على طلبه لو ان فيه ما يسىء الى سمعتها

ثانيهما ــ انه أبان لها ان الفائدة التى تعود عليها ليست مبلغا من المال تتقاضاه ، ولا هدية ثمينة تقدم اليها ــ بل هى فائدة تتصل بالاغراض التى ترمى الى تحقيقها ، اذ ان مثل هذه الحفلة الباذخة ستجعل الناس أشد اقبالا على قراءة ما تكتب ، واستماع ما تقول ، وهذا هو ما تريده لتستطيع ان تنشر لآرائها فى أوسع نطاق

[عن كتاب « فن معاملة الناس » لادينسج وب وجوب مورجان]

معرض حمير !

من أكاذيب « ابريل » المشهورة ، أن صحافياً فرنسياً أراد أن يطلع على الناس بكذبة يكون ضحيتها أكثر من واحد ، فأعلن فى صحيفته أن معرضاً للحمير سيقام فى أول ابريل فى مكان عينه بالذات ، وأن الدخول مباح للجمهور

وفى اليوم المعين ، والساعة المحددة ، تقاطر الناس على مكان المعرض ليشاهدوا الحمير المعروضة ، فلم يجدوا هناك غير أنفسهم ، وتنبهوا بعد فوات الوقت الى أن المسألة لعبة خبيث فى أول ابريل

بقع المداد تصور نفسيتك

انظر الى الرسوم المشوهة مع هذا المقال . انها ليست الا بقع مداد تلوث بها الورق ، ومع هذا فان ما تراه في هذه البقع يكشف عن درجة ذكائك ، ومدى خيالك ، ومبلغ طموحك ، ويبين عما فيك من روح مرح طليق أو طبع مكتئب حبيس ، ويدل على مبلغ ارادتك من القوة والضعف ، ونصيب تفكيرك من النضوج والفجاجة ، وعما أوتيت من موهبة فنية ومن طبع اجتماعي

ان هذا يبدو أمرا لا يعقل ولا يصدق . أليس كذلك ؟ ولكن تحليل ما يتراءى للناس في بقع المداد صار علما مقررا ، بعد أن تداولته ومحصته بحوث العلماء ربع قرن من الزمن

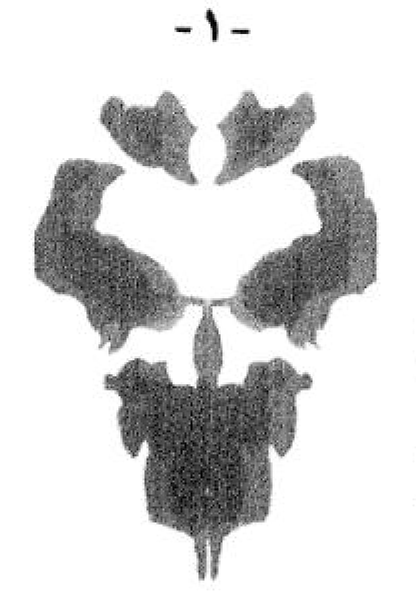
وتسمى هذه الطريقة في التحليل النفسي «اختبار رورشاخ "Rorachach" نسبة الى العالم السويسري الدكتور هرمان رورشاخ الذي ابتكرها . وكثيرا ما تتخذ الآن في تبين أي طريق في الحياة يحسن بالمرء أن يسلكه ، وأي نحو من انحاء النشاط يجمل به أن يتجه اليه ، ليستثمر فيه مواهبه وكفاياته وكثير من « ادارات المستخدمين » يلجأ الى هذا الاختبار لامتحان من يتقدم اليها من الرجال والنساء ، وتوجيههم الوجهة التي تتفق مع استعدادهم الطبيعي . وكذلك يتخذها الجيش الامريكي في اختيار الأشخاص الذين توكل اليهم مهام تتطلب استعدادا معينا

وقد اعتمدت عليها محكمة نورمبرج في تحليل نفسية من حاكمتهم من زعماء النازي ، فاستطاعت بها أن تحسر الستار المسدل على طوايا نفوسهم

وصار « اختبار رورشاخ » مادة من مواد البحث في جامعة كولومبيا ، حيث أنشئ معهد خاص بهذا البحث اختير رئيسه ، الدكتور دوجلاس م. كيلي ، كبيرا لعلماء التحليل النفسي في محاكمة نورمبرج ، فاختبر بطريقته هذه زعماء النازي أمثال : جورنج ، وهيس ، وربنتروب ، ولي . وقد أسفر اختبار « لي » بطريقة بقع المداد عن تقرير بأنه مصاب في عظام الجبهة اصابة تنحرف بتفكيره انحرافا معينا . فلما انتحر « لي » وشرحت جثته وجد أنه مصاب فعلا في هذه العظام . .

كيف تكشف بقع المداد عن نفسية الانسان ؟ هذه أربع بقع ، اثنتان منها

في الصفحة التالية ، يمكن أن يرى فيها الانسان صورا شتى . فانظر اليها أولا - قبل أن تقرأ المقال - وقيد ما يتراءى لك فيها من الاشكال ، ثم قارنها بما يلي :



- ١ -

الصورة الاولى

تتراءى فيها أشياء سوداء مكتئبة كالخفافيش أو الفئران . جمجمة نخرة عيناها في الكهفين الخاليين . الجزء الأسفل يشبه السلحفاة . صورة بكتيريا كما تبدو تحت الميكرسكوب بأرجلها وذيولها . رسم من رسوم بوتشيلي فيه ملائكة تحوم هنا وهناك



- ٢ -

الصورة الثانية

تتراءى فيها زهور ذات سوق وأوراق . الجزء الأسفل يبدو فيه مخلب بارز الأسنان . الجزء الأعلى يشبه خريطة امريكا الشمالية . تتراءى فيها صورة دم مراق انفجرت به بعض الشرايين . امرأتان عجوزان على رأسيهما قبعتان فيهما زهرتان . الصورة الجانبية لجنديين من جنود نابليون . حيوانات بحرية وقطع من الأسفنج

الصورة الثالثة

تبدو كأنها لطخ من الدم المراق . أو شظايا قنبلة متفجرة . ويبدو في الوسط حيوان خفيف كالثعلب . وتتراءى فيها صورة قردين يواجه

-٣-

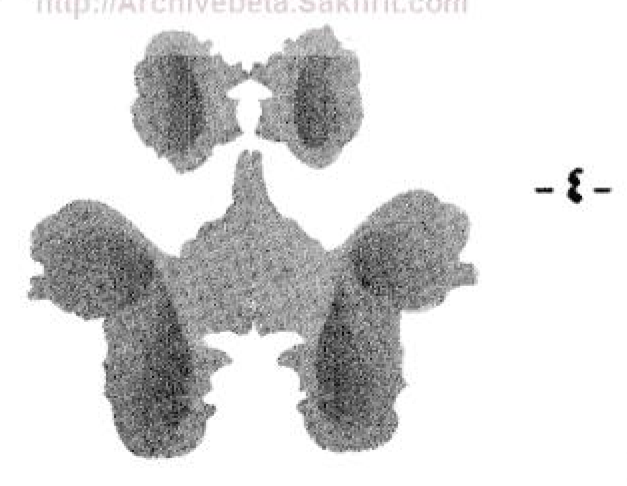


احدهما الآخر . أو حملان صغيران أو ما يشبههما من الحيوان ذى الفراء . وفى الجزء الأعلى ما يشبه باقتين من الزهور . وفى لونهما الأحمر ما يوحى بأنها عروق انبثق منها الدم

الصورة الرابعة

فى الجزء الأعلى ما يشبه كلبين يواجه كل منهما الآخر . وفى الصورة ما يشبه آثار حوافر دب كبير . أو ما يشبه سيارة « جيب » تحمل شخصين . وفيها صورة سيارة متجهة اليك زاحفة عليك . وفيها صورة نبيل فرنسى على رأسه قبعة من الفراء وعلى جانبى وجهه لحية مرسلة ممشطة . وفى الجزء الأعلى صورة عينى بومة جافة تنظر الى الدنيا نظراتها المشئومة . وفى الوسط صورة ناطحة سحاب ، وفى أعلاها صورة زنتين

-٤-



هذه بعض الأشكال التى تتراءى فى هذه الرسوم ، ولعلك تبينت شيئا منها ، وان كان هذا لا يهم كثيرا فى « اختبار رورشاخ » . وانما الذى يهم هو « عدد » و « نوع » الأشياء التى تراها ، ومدى ما تثيره هذه الرسوم فى ذهنك وخيالك ، والطريقة التى تستجيب بها لما فيها من أشكال وألوان

فالشخص العادى يتبين فى كل رسم شيئين الى خمسة أشياء . أما اذا تبين فيها عشرة أشياء أو اكثر ، فان هذا يدل على أن أبرز صفاته هى صفة الطموح .. أما اذا قلت الاجابة عن شيئين ، ولا سيما اذا كانت الاجابة غامضة مبهمة ، فان هذا يكشف عن شخص ضيق التفكير ، محدود الخيال ، لا يجد ذهنه مجالا رحبا يتطلق فى أرجائه

وقد لا تشتمل الاجابة الا على أشياء قليلة ، ولكنها واضحة تمام الوضوح ، محددة أدق التحديد ، وفى هذه الحالة يمكن أن يستنتج منها أنه شخص عملى ، سديد التفكير ، نافذ النظرة ، واثق بنفسه ، يستطيع أن يعالج ما يعترضه من المشكلات فى سرعة ، ومهارة ، واقدام : فهو الشخص الذى يعرف ما يريد ، ويسعى وراءه فى طريق مستقيم ، حتى يبلغ هذا الذى يريد

وخبراء هذه الطريقة من التحليل يفرقون بين شخصين : الشخص الذى يلقى نظرته على الصورة كلها ويستنتج منها شيئا معينا ، والشخص الذى يحصر نظرته فى جزء معين منها ويهتم بما فيها من جزئيات وتفاصيل ولا يستطيع أن يلم بها كلها المامة شاملة . وأولهما هو الذى يسمى فى الحياة العامة « الرجل الكبير » .. أى هذا الطراز من الرجال الذى يهدف دائما الى أغراض ضخمة عظيمة ، وله شخصية واضحة مسيطرة تمكنه من بلوغ هذه الأغراض ، وتحقيق هذه الاهداف . أما ثانيهما فهو « الرجل الصغير » الذى قد يحسن الاشياء الدقيقة ويبرز فيها ، ولكنه يقصر دون جلائل الأمور . انه يصلح أن يكون « كاتب حسابات » بارعا دقيقا ، ويستطيع أن يكون « مفهرسا » فى مكتبة فيحسن تنظيمها وتبويبها ، ولكنه لا يستطيع أن يكون مدير شركة ولا رجل سياسة

واذا تبينت فى هذه البقع ما يدل على الحركة فان هذا يكشف عن طباع فيك تغاير طباع من لا يرى فيها الا ما يدل على السكون

فان من يرى فى الصورة الأولى « ملائكة تحوم هنا وهناك » ، وفى الثانية « عجوزين أو جنديين » وفى الرابعة « سيارة جيب تحمل شخصين » — أى من يرى فى هذه الصور أشياء متحركة — فانه من هذا الطراز الذى يتميز بالسعادة والرضى ، والذى يقبل الدنيا كما هى ، ويبتهج بها على علاتها .

ثم هو من هذا الفريق الذى يتميز بصفة « الأكتفاء الذاتى » ، فهو

يستطيع أن يعيش مع الناس ويستطيع أن يعيش بدون الناس ، واذا كان معهم شعر بالبهجة ، واذا لم يكن معهم لم ينقص هذا من بهجته

وهذا على نقيض الشخص الذى لا يتبين فى هذه الرسوم الا أشياء جامدة، واقفة ، لا حركة فيها ولا حياة ، فانه من هذا القبيل الذى لا يستطيع أن يقبل على الحياة ويغتبط بها ، والذى ان عاشر الناس ضاق بهم ونقم عليهم، وان اعتزلهم ضاق بنفسه وسخط عليها

وليست «الحركة» من نوع واحد، فالذى يتبين فى بقع المداد حيوانات تتحرك، كالسلحفاة فى الصورة الأولى، والثعلب والقرد والحمل فى الثالثة ، هو شخص ما يزال يحن الى الطفولة، ويؤثر الحياة الساذجة البسيطة ، انه شخص بدائى الغرائز، فج العواطف، انه لم يكتمل نضوجه الذهنى والعاطفى

أما حركة الأشياء الساكنة ، كالقنبلة التى تنفجر فى الصورة الثالثة، والسيارة التى تجرى فى الصورة الرابعة ، فهى تدل على أن الشخص يعيش فى دنيا من الرغبات يريد أن تتحقق أى أنه لا يقبل الدنيا كما هى ، ولا هو يريد أن يغيرها بيديه ، بل هو ناقم على الدنيا المحيطة به ، ويتمنى أن تتغير وفق ما يريد ، دون أن يبذل من نفسه جهدا ليغيرها حسبما يشتهى

واذا كانت هذه الحركة عنيفة صاخبة ، كانفجار قنبلة ، أو سيلان دماء ، فان معنى هذا أنه فى خبايا نفسه رغبة فى أن يحطم البيئة الراكدة الهامدة التى يحيا فيها لينتقل الى بيئة حافلة بالأحداث والوقائع ، كرغبة المدرس الريفى الذى يريد أن يظفر ببطولة العالم فى الانزلاق على الجليد ، أو كرغبة سيدة البيت التى تود أن تذهب الى غابات أفريقيا تصطاد فيها الأسود . أنها رغبة فى الانتقال من أقصى طرف الى أقصى طرف ، ولا سبيل الى هذا الا حركة عنيفة تبلغ فى عنفها انفجار القنابل واراقة الدماء

أما الحركة الهادئة الرفيقة، كأوراق الشجر حين تتساقط ، أو مجرى الماء حين ينساب ، فانها تدل على رغبة من نوع آخر ، رغبة فى حياة هادئة مستقرة ، آمنة ، يخلص فيها المرء مما يعانيه من متاعب الحياة وأخطارها

* * *

ولكن لماذا تكشف بقع المداد عن نفس الشخص وما استكن فى طواياها من الأسرار ؟

ان بقع المداد لا تدل على شىء ، وانما الذى يدل على كل شىء هو ما تراه فيها . لان هذا الذى تراه لا يأتى من هذه البقع . فهى لا تصور شيئا معينا، وانما يأتى منك أنت مباشرة: مما يجيش فى ذهنك من الآراء والخواطر ، وما يضطرب فى نفسك من الرغبات والميول، وما ينطلق اليه خيالك من الآفاق

[«عن مجلة « ومانزهوم كمانيون »]

فلسفة جديدة تدعو الى الكسل والخمول لا يبعد أن يكون لها فى المستقبل القريب شأن كبير

هواة التشرد

بقلم الدكتور أمير بقطر

لا أعرف بلدا كأميركا يجد فيه المرء لكل مبدأ ، وكل عقيدة ، وكل مذهب ، وكل فلسفة — اجتماعية كانت أو دينية أو اقتصادية — أنصارا وأعوانا وأتباعا . ولا أعرف أمة كالأمة الأميركية نبغ أفرادها فى فن التنظيم والتنسيق ، فبلغوا فيه أقصى الحدود ، سواء أكان الغرض منه اجتماعيا أم اقتصاديا أم رياضيا ، أم لمجرد التسلية وقضاء أوقات الفراغ

والجماعة المنظمة التى سأزف مبادئها الى القراء اليوم ، من أغرب الجماعات المنظمة فى العالم غرضا ، وأعجبها فلسفة ، وأوضحها هدفا ، وأشدها تواضعا وزهدا وعوزا وافلاسا . ووجود هذه الجماعة فى بلاد كأميركا ، يتنافى وما اشتهر به أهلوها من فرط النشاط ، وعبادة الثروة ، والجرى وراء « الريال » ، والافراط فى حب العمل ، والنظر الى الأشياء من نواحيها العملية دون النظرية

هذه هى جماعة المتسولين والمتشردين أعداء العمل والنشاط والسرعة ، وأنصار الراحة والكسل والخمول والزهد فى الحياة ولذاتها ، ومسراتها وأطايبها ، وعباد الافراط فى القناعة والاطمئنان الى الحياة ، وكراهة كل ما زاد عن حاجات الانسان الضرورية من ملبس ومأكل ومأوى ومشرب ، وجميع وسائل الحياة الحديثة وحضارتها ، التى تزيد أعباء العيش ومطالبه ، فتزيد الحياة تعقدا على تعقدها

هذه هى جماعة « الهوبو » Hobo كما يسمون أنفسهم . وأعضاؤها تتفاوت أعمارهم — فمن الذكور والاناث فى سن الحلم ، الى الشيوخ والعجائز من الستين فصاعدا . ولكن صفة واحدة تجمعهم ، وتوثق أواصر الزمالة بينهم ، وهى الاستخفاف بالعمل ، والمناداة بالراحة ، والاسترخاء والنوم ، والخمول والكسل . وهذه الجماعة منتشرة الفروع فى جميع مدن أميركا الكبرى ، ولهم أحياء خاصة فى كل مدينة ، يتجمعون فى ميادينها ، ولهم مؤتمرات دورية يعقدونها ، وحفلات عامة يقيمونها ، وليال ساهرة يحيونها ، ولجان يكونونها ، واجتماعات يستعرضون فيها جداول أعمالهم ، ويتفقون فيها على قراراتهم . ولهم مجلات دورية خاصة بهم .. أشهرها مجلة « الهوبو » التى تحمل اسم الجماعة ، ومجلة « بورى نيوز »

Rowery News التى تحمل اسم الحى البوهيمى الشهير فى نيويورك ، الذى اتخذوه مقرا رئيسيا لاجتماعاتهم وملتقياتهم . وطالما طالبوا عمدة نيويورك وأولى الشأن فيها بأنشاء فنادق متواضعة خاصة بهم ، وبناء كلية لهم يربون فيها بنيهم وبناتهم ، تربية تلائم فلسفتهم ومبادئهم . وهذه هى أهم هذه الفلسفات والمبادىء :

(١) لم تقصد الطبيعة ان يعمل الانسان أكثر من ساعتين فى كل ٢٤ ساعة ، أو ثلاث ساعات على أكثر تقدير

(٢) اذا استطاع امرؤ ان يعيش بغير ان يعمل على الاطلاق ، فهذا خير له وأبقى . وحسبه فى هذه الحالة ان يكون عالة على سواه من « المغفلين » أنصار العمل وعبيد المال والجاه والثروة،وحسبه ان يتسول ويستجدى بشرط ألا يزيد دخله اليومى عما يسد به رمقه من أبسط أنواع الطعام ، وما يستر به بدنه من أحقر أنواع اللباس وأبخسه ثمنا ، وأقله كمية ، وأبسطه زيا .

(٣) يستغنى تماما عن كل ما يلزم من حاجات الحياة اليومية ، كرباط الرقبة ، والياقة ، والسترة صيفا ، وما يزيد عن حاجة الجسم من طعام وشراب وغطاء ، وبالايجاز العودة الى الحياة الفطرية السليمة الساذجة

(٤) ينبغى ان يكون الانتقال من مكان الى مكان ، أو من بلد الى بلد، سيرا على الاقدام ، أو ركوبا مع أحد « المغفلين » أصحاب السيارات

(٥) كلما راعى الناس المبادىء السالفة ، واعتنقوا مذاهب الجماعة ، قلت أمراضهم البدنية أو انعدمت

(٦) جميع العلل النفسية — أو أكثرها على الأقل — وجميع الاضطرابات العقلية والأمراض الشخصية ، وما يسمونه العقد النفسية ، كالشعور بالنقص والضعة ، وعلى الأخص العقد الجنسية — كلها نتيجة الانهماك فى العمل ، واقتناء الثروة ، وحب المال، والعناية بالكماليات ، والموازنة بين الفرد وجيرانه وزملائه وأقرانه ، وحب الجاه والسعى وراء الترف ووسائل الحضارة الحديثة ، وقضاء الشبان والفتيات زهرة العمر بين القلم والمداد والقرطاس فى معاهد التعليم من كليات وجامعات ، مما يضطرهم أحيانا الى العمل ساعات يوميا فى غسل الاطباق، والقيام بشتى الاعمال ، علاوة على الدراسة ، توفيرا لأموال تعينهم على دفع ماتقتضيه الحياة الجامعية من نفقات . هذه وأمثالها سبب شقاء الأفراد والجماعات والعالم بأسره

(٧) المحافظة على الاخلاق وتجنب ايقاع الأذى بأحد

* * *

وقد تتبع كاتب هذه السطور جماعة « الهوبو » منذ أول عهده

بأميركا ، وكان في كل مرة يزورها يظن ان جماعة كهذه لا بد ان تكون قد انحلت أو ان الحكومة قد طاردتها . وكنت في هذه الزيارة هذا العام أكاد أؤكد ان الحرب العالمية قد قضت عليها ، الى ان حضرت منذ شهور قليلة اجتماعا هاما لهم في حي « البوري » في نيويورك ، وشاهدت ممثلي الصحف الكبرى ومخبريها ومصوريها يتزاحمون على التقاط أخبار الجماعة ، وتصوير نواحي النشاط فيهم . ولعل هذه الصحف ، كالحكومة الاميركية ، تعد هذه الجماعة وسيلة من الوسائل التي يتسلى بها الجمهور ، فلا تطارد أفرادها ولا تنتقدهم ، خصوصا وأنهم لا يلحقون بأحد أذى . والصحف الاميركية ومنها كبرياتها ، لا تتوانى في نشر خطبهم ووصف حفلاتهم وملء أنهرها بصورهم

وكان هذا الاجتماع الاخير خاصا بما يسمونه الغرفة التجارية لجماعة الهوبو ، وكان قد تقاطر اليه الاعضاء من كافة الولايات لحضور الجلسة الشهرية .. فسدت لهم في مكان ما ، مائدة أكل عليها الدهر وشرب . ولما ان فرغوا من تناول الطعام ، وقف رئيسهم خطيبا ، فأسهب في منافع التسكع والتشرد والتسول ، وتباهى بأعضاء الغرفة وعراقتهم في فن الراحة والخمول ، والسير على الاقدام أو الركوب مجانا عشرات الألوف من الاميال ، تنقلا من مدينة الى مدينة . ثم دارت بعد ذلك مناقشات حادة بين لغط اللاغطين ، ووقوف الواقفين وجلوس الجالسين ، وكان في جدول الاعمال المطالبة بانشاء كلية الهوبو ، واختيار « الزوايا » الدافئة التي تصلح لأن يلجأ اليها « الهوبو » ليلا اتقاء البرد ، وانتخاب موظفي العام الجديد وتتويج فتاة جميلة ملكة على الهوبو للعام الجديد ، وهي من مواليد تورنتو بكندا ، وعمرها ١٩ سنة . ومما امتازت به أنها قطعت ٢٤ ألف كيلو متر سيرا على الاقدام ، أو ركوبا مع الغير مجانا ، متنقلة بين كندا وأمهات مدن أميركا . ولما تقدمت الى المنصة ليتوجها الرئيس ، سئلت عما تعرضت له من سخافة السخفاء ، الذين ركبت معهم في سياراتهم الخاصة ، فأجابت : المسألة بسيطة . كلما طلب أحدهم قبلة أو حاول ان يطوقني بذراعه ، تحايلت عليه . بالقاء بعض القصائد من نظمي ، والشاد البعض الآخر . وكلما استأنف الطلب ، أرجأت الاجابة الى ان أنشد قصيدة أخرى ، وهكذا دواليك الى ان أعلن رغبتي في النزول ، شاكرة له لطفه

وقد اختير مدير تحرير جريدة « الهوبو نيوز » رئيسا للغرفة ، بعد ان رشحته امرأة من الاعضاء ، كانت تلبس سروالا عتيقا وقميصا رثا ، وتدخن لفافة كبيرة من التبغ . ثم

اختاروا عمدة الهوبو سكرتيرا ، وشحاذا من أشهر شحاذى « وول ستريت » (وهو حى المال فى نيويورك) أمينا للصندوق . وختمت الجلسة بخطبة بليغة من شيخ طاعن فى السن قدموه للحاضرين باسم « شيخ الشحاذين » ، استعان فيها بفلسفة سبنوزا وكارل ماركس

وأفاض فى القول بأن للراحة والكسل والاسترخاء والنوم أصولا وفنونا ، ينبغى أن يتلقاها النشء عن أربابها . كذلك الطهى بأسهل الطرق وأبسطها، والاستلقاء فى العراء واستجداء الأطعمة والمأكولات من الأبواب الخلفية ، وانتقاء الأماكن التى تصلح لتسكع هواة التشرد فيها، والمدن التى تتوافر فيها هذه الاماكن

وللهوبو فى بعض المدن فنادق متواضعة ، هى فى الواقع « عنابر » للنوم تزدحم فيها أسرة تكاد تكون عارية مجردة الا مما عليها من خليط الفراش والغطاء ، وأجرتها زهيدة تكاد تكون اسمية . ولهم أندية وجماعات فرعية تختلف أغراضها باختلاف المدن ، مثال ذلك جماعة الهوبو الدولية ، وهى مؤسسة يحاول أعضاؤها نشر مبادئهم فى جميع أنحاء العالم رغم قصر أيديهم وعجزهم عن الاتصال بسواهم خارج أميركا .
ولعل أقوى وسيلة لديهم لنشر مبادئهم وفلسفاتهم ، هى الخطب التى يلقيها زعماؤهم فى الميادين والشوارع التى لا يحرم البوليس عليهم الخطابة فيها ويلجأون فى ذلك الى طريقتين ، فاما ان يحتل الخطيب منصة أو كرسيا فى ميدان ، كما هو الحال فى هايد بارك المشهورة فى لندن ، أو ان يستعير سيارة مفتوحة يقف بها فى أى مكان يتاح له الوقوف فيه، ويأخذ فى المناداة بمذهب الهوبو . وفى كلتا الحالتين يبدأ فى الخطابة قبل ان يوجد أمامه مستمع واحد ، ولكن حب الاستطلاع يجذب المارة شيئا فشيئا الى ان تتزاحم لسماعه الجماهير ، فتقاطعه وتناقشه ، ويتخلل ذلك عادة الكثير من المزاح ويختلط الهزل بالجد . أفليس من الغريب ان يكون هذا فى بلد كأميركا ، بلاد الجد والعمل والنشاط والاسراف فى تكديس الثروة ورفع مستوى العيش

أمير بقطر

لكل نقيصة فى المرء عار ... وشر نقائص المرء القمار
هو الداء الذى لا برء منه ... وليس لذنب صاحبه اغتفار
موائد لا يود المرء فيها ... اخاه ولا يراعى الجار جار

[الشيخ نجيب الحداد]

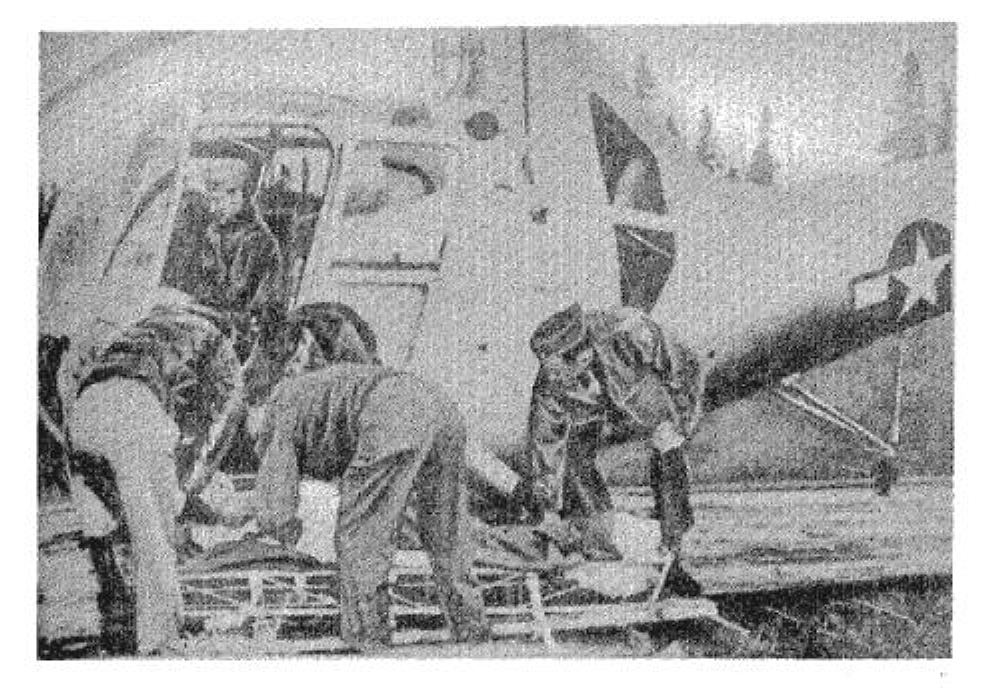
التاكسى الجويّة

لن يمضى وقت طويل حتى نشهد طائرة التاكسى الجوية شائعة الاستعمال كوسيلة رخيصة من وسائل النقل ، بعد أن انتهى دور التجارب وأصبحت تستخدم فى أمريكا لتوزيع البريد . وشرع المزارعون فى الانتفاع بها فى نقل محصولاتهم السريعة التلف الى الاسواق . وتوسلت بها فرق الاسعاف لانقاذ الأحياء الناجين من حوادث سقوط الطائرات وأشباهها . وبدأت شركات النقل العام «الاوتوبيس» تفكر فى تخصيص خطوط سريعة لتسيير «الهليكوبتر» الى المناطق النائية . ويستعين بها الآن أحد المتاجر الكبيرة فى مدينة بوسطن فى إيصال السلع والبضائع الى زبائنه

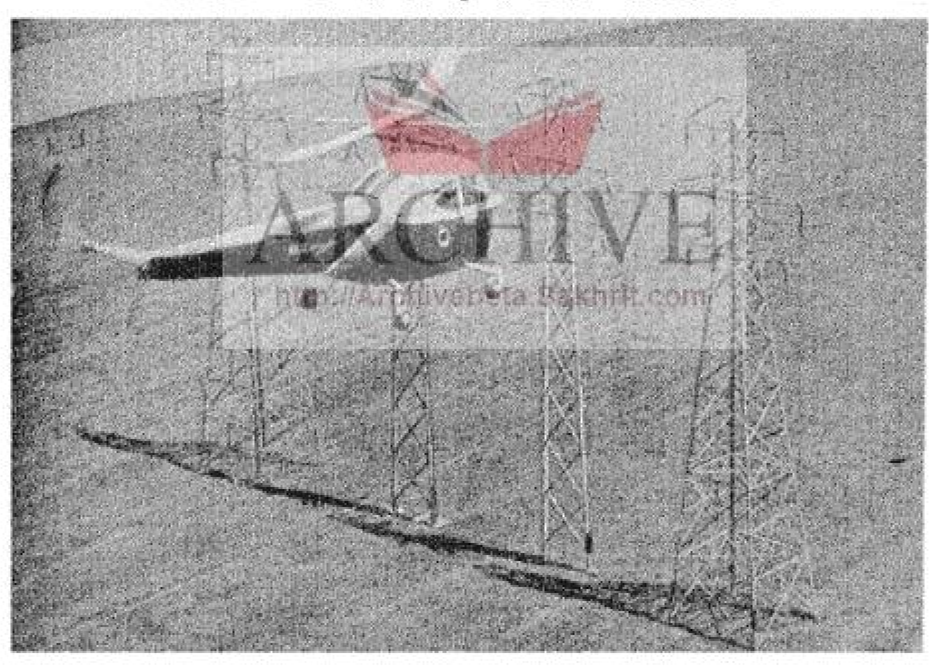
وتمتاز الهليكوبتر ـ التاكسى الجوية ـ بأنه فى الامكان أن تطير الى أعلى ، أو الى الأمام ، أو الى الوراء ، أو الى الجنب على حد سواء ، وتستطيع أن تسير بسرعة مائة ميل فى الساعة ، وتقف عن الحركة وهى فى الفضاء . كما أنها لا تحتاج فى القيام والهبوط إلا الى مدى أكبر قليلا من عرض جناحيها الدائرين . ويقولون إنه ينتظر أن تتحسن أساليب بنائها كثيراً فى السنوات الخمس القادمة ، ويتسنى إنتاج مقادير وفيرة منها حتى يصبح ثمنها رخيصاً يغرى الناس باقتنائها . ويقال إن مئات منها ستخرج الى السوق فى هذا العام ، وإن شركة بل وحدها تأمل أن تنتج من خمسمائة طائرة الى ألف خلال العام المقبل

***

وقد جربتها ادارة البريد فى شيكاغو، فثبت أن فى وسعها نقل البريد بأسرع من أية وسيلة سواها ، وأجريت أيضاً تجارب استغرقت عشرة أيام فى معرض الطيران بكليفلاند فتبين أنها لا تحتاج الى مهبط ـ أكثر من الحيز ـ لا تتعدى مساحته ثلاثين قدماً مربعة فوق سطح إدارة البريد ، كما ظهر أنها يمكن أن تطير وسط العمارات والمبانى الشاهقة بسرعة ٤٥ ميلا فى الساعة



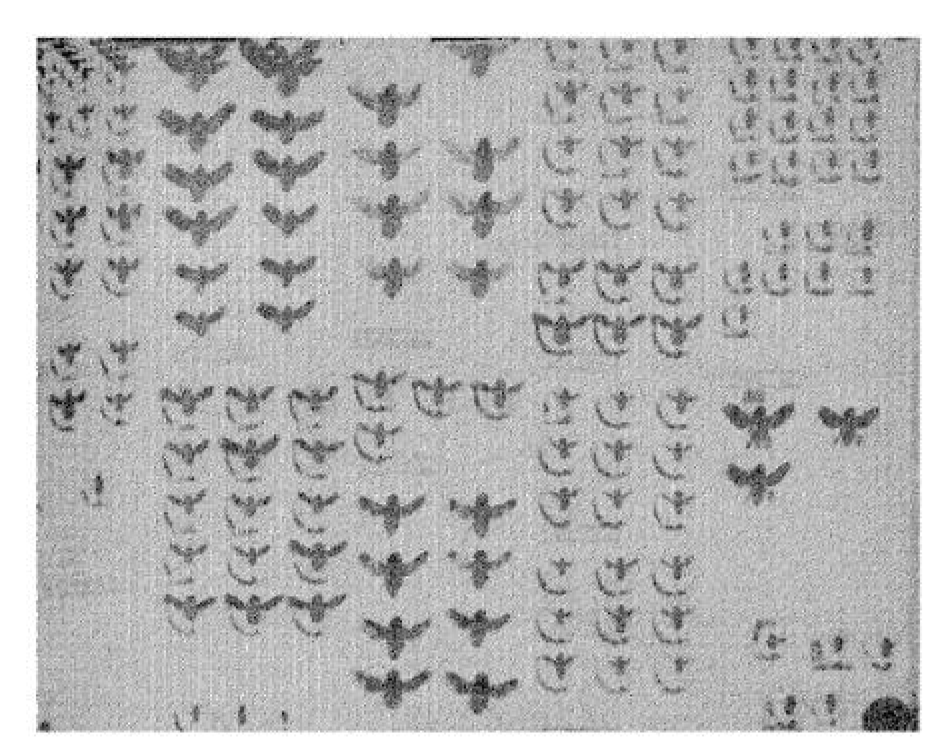
طائرة الهليكوبتر وهى تحمل الركاب الذين نجوا من طائرة سقطت فى حادث



فى وسع راكب الهليكوبتر أن يقترب من الأسلاك، ولذلك يستخدم فى فحصها واصلاحها



تحمل الهليكوبتر اللبن من القرى الى المدن ، كما ينتفع بها المزارعون فى نقل محاصيلهم



مجموعة كبيرة من الحشرات المختلفة جمعها حسن أفلاطون بك من الصحارى الشرقية والغربية والواحات المصرية وشبه جزيرة سينا ووادى النيل



ان أربعة أخماس المملكة الحيوانية يتألف من الحشرات ، الضار منها والنافع . ولو أننا عرفنا ان خسارة الانسان بسبب الحشرات الضارة تبلغ ملايين الجنيهات سنويا ، لأمكن ان نقدر مبلغ ما يجب علينا من الاهتمام بدراستها ، خصوصا اذا تقصينا مبلغ ما تنتجه اضرارها من خسارة فى الأرواح، والماشية، وفتكبالمحصولات والفاكهة والغلال المخزونة ونحوها ، مما يحملنا على مكافحة الضار منهما بمختلف أسباب الوقاية ، أو تسليط بعضها على بعض

على ان ما لبعض أنواعها من جمال الخلق ، وتناسق الألوان والأعضاء، فضلا عما أسلفت من أسباب ، كان من حوافز اهتمامى بالحشرات منذ سنة ١٩١٦ أيام دراستى بانجلترا ،



أفلاطون بك يفحص حشرة بالميكرسكوب

حيث وجدت فيها مادة للبحث والدراسة

وقد كونت مجموعتي الحشرية من الصحارى المصرية، الشرقية والغربية، فيما بين البحر الابيض المتوسط وحدود السودان • ومن الواحات المصرية وشبه جزيرة سيناء وغيرها من بقاع وادي النيل .. واني لاعتز بهذه المجموعة اعتزازا كبيرا ، لانها نتيجة جهد شخصي استنفد ربع قرن من الزمان، ولكونها سندا علميا للبحوث التي اضطلعت بها ، فضلا عن كونها مرجعا للاجيال القادمة

وللحشرات غرائب كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ ــ يقوم النمل الابيض بنقل حشرة المن من شجرة الى أخرى تمكينا لهذه الحشرة من أسباب التغذية ، ثم يستدر منها العسل الذي تفرزه ، كما يستدر الرضيع لبن أمه

٢ ــ تقوم مملكة النمل الابيض « الأرضة » بالعناية الواجبة للملكة، مذ كانت تضع بيضها بمعدل بيضة في كل ثانية ، وتظل على ذلك خمس سنوات دائبة ليلا ونهارا حتى تتكون المملكة بذكورها وأناثها وجندها « وشغالتها » ، فاذا قصرت الملكة في هذا ، طلبوا غيرها لتقوم به

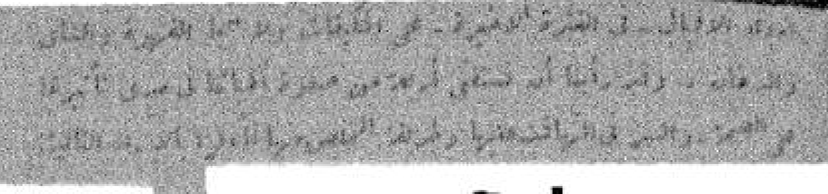
٣ ــ يوجد نوع من الذباب السارق صغير يعرف « بالقناص » ويعرف كبيره بقاطع الطريق • وهو يكمن بين الاعشاب على طريق الحشرات ، فاذا مرت به هجم عليها ولقحها في بعض مراكزها العصبية بمادة مخدرة من فيه ، بحيث تفقد الحركة تماما في بضع ثوان ، ثم يتخذ عصارتها الحيوية غذاء له ، وربما كانت أكبر منه حجما بعشر مرات

٤ ــ وهناك حشرة تعرف « بأبي العيد » وهي تتغذى وتعيش على البق الدقيقي الذي يضر بأشجار الفاكهة والأشجار الخشبية وغيرها

هذه أمثلة قليلة من أنواع الحشرات المتطفلة ، لم نتمكن من معرفة خواصها الا بالدرس والبحث، ولاتزال أمامنا طريق طويلة في مضمار العلم ، حيث نعثر في كل حين على شيء جديد

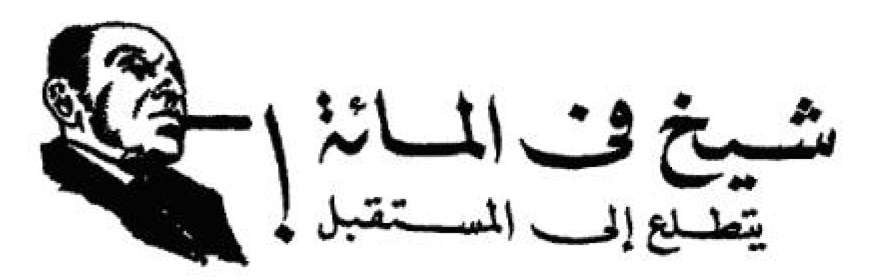
استفتاء الهلال : المكيفات وتعاطيها

المشتركون في الاستفتاء	سليمان عزمي باشا وزير الصحة سابقاً	أحمد عبد النبي مدير مستشفى فؤاد
— ١ — هل يمكن الاستغناء عن جميع المكيفات ؟ وهي الدخان والقهوة والشاي والمخدرات والخمور ؟	— نعم ، وقد رأيت بعيني آلافاً من الناس لم يتذوقوا في حياتهم شيئاً منها ، كما أني أعرف كثيرين كانوا يتعاطونها ثم أقلعوا عنها ، ولم يحدث لهم ضرر	— لا أعتقد أن هناك عادة يستعصى إبطالها والاستغناء عنها .. ولا شك في أن ذوى النزعة الصادقة يستطيعون الاستغناء عن جميع المكيفات
— ٢ — لماذا يقبل الناس على تعاطي المكيفات ؟	— هذا سؤال يوجه الى علماء النفس والاجتماع ، لأنه يدخل فيه التقليد الأعمى والمحاكاة ، وتأثير البيئة وضعف إرادة الشخص ، وقوة إرادة من يؤثر عليه ، ومتاعب الحياة	— يقبل الناس على المكيفات لأسباب كثيرة ، أهمها أولا : التقليد ، ثانياً : سوء [illegible] المعاشرة ، ثالثاً : ضعف إرادة الشخص
— ٣ — ما هي المكيفات النافعة وما هي المكيفات الضارة ؟	— كلها ضارة ، وانما تختلف درجة ضررها حسب نوعها ودرجة تعاطيها . والمكيفات الثقيلة مثل الكوكايين والأفيون والحشيش أضر بحالة الشخص النفسية والجسمية	— القهوة والشاي والدخان اذا أخذت بمقادير معتدلة فانها تفيد ، أما الافراط فيها فقد يحدث أثراً سيئاً ولاسيما الأنواع الرخيصة منها ، أما المخدرات فهي ضارة على طول الخط
— ٤ — ما هي أحسن طريقة لتخلص متعودي المكيفات منها ؟	— بعض أنواع المكيفات يمكن التخلص منها بقوة ارادة الشخص وبإرشادات طبية وعلاجه العادي ، ومنها ما يحتاج الى العلاج بالمصحات بواسطة الأطباء الأخصائيين	— قوة الارادة .. أما المدمنون فيفضل علاجهم في مصحات خاصة وأعتقد أن إبطال المكيفات دفعة واحدة قد يؤدي الى عكس المطلوب ولذا فاني أنصح بإبطالها [illegible]



الخلاصة

محمود سليمان بك مدير مستشفى الملك	عبد الرءوف حسن بك مدير مصحة فؤاد سابقاً
— يمكن الاستغناء عن جميع المكيفات ، وان كنت اعتقد أن الدخان يحتاج الى ارادة غير عادية من جانب المدخن للاستغناء عنه	— نظرياً ومن الوجهة الفنية يبدو ممكناً . ولكن الخبرة بطبائع الناس واتجاهات المجتمع الحديث تدلنا على أن هذا أمر غير ممكن عملياً ، والتسليم بالأمر الواقع خير من المكابرة والجدل
— يرجع الاقبال على المكيفات : أولا الى البيئة التي ينشأ فيها الشخص ، وثانياً الى استهتار البعض بالقيم الأخلاقية وعدم مراقبة الآباء لأبنائهم ، ولا سيما في دور المراهقة	— يبدأ تعاطي المكيفات بالتقليد ثم يصبح بالتكرار عادة ، ثم تتمكن العادة حتى تصبح إدماناً ومدى خضوع الشخص لهذه المؤثرات يتوقف على شخصيته وخلقه وثقافته وبيئته وعقيدته
— لا أعتقد أن هناك مكيفاً نافعاً أبداً ، اللهم إلا الشاي والقهوة على شرط أن يؤخذا باعتدال تام سواء كان ذلك من ناحية القدر الذي يؤخذان به أو الطريقة التي يصنعان بها .	— تعاطي الشاي والقهوة باعتدال ، وكذلك التدخين ، بشرط ألا يكون المدخن مصاباً بمرض صدري أو بعلة قلبية قد لا يؤذي . أما الخمور والمخدرات فضررها أكيد
— قوة إرادة الشخص ، وانه ليحزنني أن أرى حكومة إسلامية — كحكومتنا — تسمح بوضع إعلانات « مضاءة » عن الخمر . لأن في هذا تحريضاً لا تستقيم معه دعوة محاربة الخمور وإدمانها	— يجب أن تعالج الحالات علاجاً فردياً كل منها بحسب ظروفها الخاصة . ولكن إدمان الخمر والمخدرات الأخرى حالة مرضية خطيرة تستدعي رعاية إخصائي في معهد خاص .



شيخ فى المائة يتطلع إلى المستقبل!

تعاجل الشيخوخة الكثيرين فى بلادنا وهم فى ربيع العمر، ويبادرهم الكبر، قبل أن يطووا أيام الشباب ، بينما نرى الشيوخ فى الغرب يتمتعون بنشاط الشباب ، وقوة العزيمة، ويتطلعون الى مستقبل الايام بالآمال والاحلام

وتلك قصة شيخ يقال له هنرى ليتون من مدينة شيكاغو ، شهد فى عمره الطويل اربع حروب ، وخمس أزمات اقتصادية عالية ، واعتزل العمل ولكنه اضطر أن يعود اليه وهو فى السادسة والثمانين ، لينقذ متجره من الافلاس بسبب احدى هذه الازمات ، وهو لا يزال قويا الى اليوم ، مقبلا على عمله ، يقول — وهو فى ختام سنته المائة : « ينبغى أن نتطلع الى المستقبل، وننظر دائما الى الامام »

وهو الآن يملك أكبر متجر فى شيكاغو ، أنشأه صرحا باذخا من ثمانى عشرة طبقة . وهو يعتزم حين تتيسر مواد البناء ، أن يقيم متجرا آخر فى قلب المدينة

وقد كانت حماسته لهذه الفكرة الجديدة بالغة ، يوم عيد ميلاده المئوى، فجلس فى متجره جلسة النشاط والشباب ، نافذ النظرات ، متوقد العزيمة ، ثم نهض من مقعده فمشى صوب النافذة وأطل على الشارع ، ثم انثنى يقول : « لست شيخا ، وما أنا بعجوز ، لاننى لا افكر تفكير العجائز، ولا انظر الى الحياة نظر الشيوخ ، بل انى لاعتقد أن المستقبل زاهر ، وقد حضرت عهود كساد كثيرة ، وسمعت صيحات الجزع من حولى ، ترتفع قائلة ان البلاد لن تنجو من أزماتها، وكنت أعرف يومئذ انها صيحات كاذبة ، صيحات الضعف واليأس ، ولا أزال أعرف ان الحياة لا تقف عن المسير أبدا ، وان القافلة ماضية فى طريقها، وأنا مسافر معها الى النهاية ، غير مستضعف ولا متخلف »

وعلى الرغم من أن ليتون هذا قد بلغ المائة ، فهو ما يزال يباشر العمل فى ادارة هذا المتجر الكبير ، يقرأ تقارير البيع،وينظر فى أحوال السوق، وينتقل بين مستخدميه وزبائنه ناصحا، أو مستمعا للشكاوى ، أو مشجعا . وقد يلقى مستخدما جديدا فى المتجر ، ليقص عليه قصة نشأته فيقول له : « كنت وأنا فى الرابعة عشرة أعمل

ساعيا فى مكتب أحد المحامين فى نيويورك ، ولم يكن مرتبى يومئذ يتجاوز نصف دولار فى الاسبوع ، فكنت أعيش منه وأقتصد أيضا ، فصدقنى أو كذب . والآن هل تقتصد أنت شيئا يا بنى ؟ ان الشباب يجب أن يقتصد ، ولست أعنى بالاقتصاد التقتير ، وانما أعنى أن تنتهز كل فرصة تسنح لك ، فالحياة فرص وسوانح ، والعيش اقدام وشجاعة لا تعرف الاحجام » !

وقد عرف هذا الشيخ الشاب معنى ما يقول ، وجربه وخبر ثماره ، فهو يقوله عن علم وتجربة . انه فى سنة ١٨٥٦ عمد الى بيع الاحذية للجنود العائدين من الحرب ، حتى اذا جمع قدرا كافيا من المال ، أنشأ متجرا ، وبدأ يبتكر وسائل طريفة للاعلان ، اكسبته شهرة بالغة ، واعانته على فتح متجر آخر ، أوسع نطاقا من سابقه

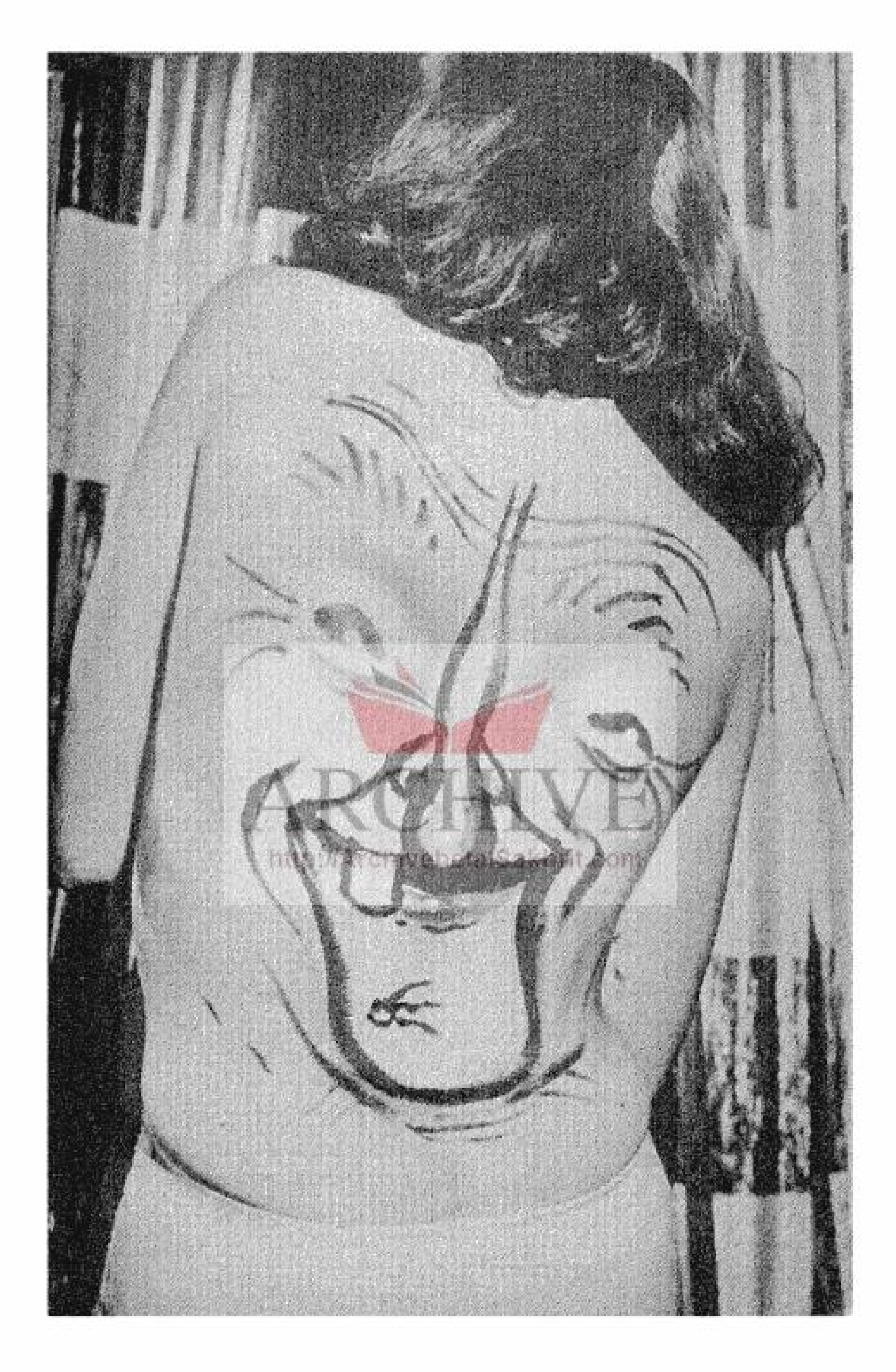
واستحكمت فى سنة ١٨٧٣ أزمة مالية مروعة ، كادت تذهب به ، فلم يتمكن من دفع ديونه كلها ، فوفى منها الثلث ، وجاهد حتى تمكن بعد عشرين سنة من الوفاء بديونه كلها ، وفى هذه المدة عمل مديرا فى متجر للملابس ، ثم انتقل الى ادارة مخزن آخر مثقل بالدين ، فعالج شأنه ، واصلح من أمره ، حتى انقذه بعد ثلاث سنين

وعندئذ أقدم على عمل مستقل ، ولم يكن رأس ماله يتجاوز اثنى عشر ألف دولار فى ذلك الحين ، فغزا شيكاغو بهذا القدر من المال فى سنة ١٨٨٧ وجعل ينشر اعلانات جذابة فى الصحف ، عن قرب افتتاح متجر جديد ، حتى لقد انفق ثلث رأس المال فى تلك الاعلانات ، ولقد واتاه التوفيق فى الحال

وفى سنة ١٩٢٨ توطد مركزه فترك العمل لولده ، واخلد الى الراحة ، ولكن لم يلبث الكساد أن حل فى عام ١٩٣٠ وعاجل الموت ولده يومئذ ، فعاد وهو فى السادسة والثمانين الى العمل ، يغالب العاصفة ، ويعالج الخطب حتى نجح ، وهو اليوم يشتغل بتجارة لا تقل عن تسعة عشر مليونا من الدولارات أى نحو اربعة ملايين من الجنيهات

وهو يقول اليوم : « احمد الله على أن قدر لى أن أعود الى العمل وأنا فى السادسة والثمانين ، اذ لولا ذلك لشاخت روحى ، انى لا أحسب الفرص تتفتح أمام الشباب مثل تفتحها فى هذه الايام . وهذه القيود المفروضة اليوم على الاعمال التجارية ، بسبب ظروف الحرب وأعقابها ، ليست الا تحديا لهمة الشباب . فاذا وثق الشاب من نفسه ، وأوتى روح الاقدام ، فقد يحلق فى آفاق بعيدة جديدة ، لم نكن نحلم بالتحليق فى مثلها فى أيامنا الحالية .. »

[عن مجلة « أمريكان ويكلى





وجوه في ظهور

كان الوشم عادة قديمة من عادات القبائل والشعوب البدائية ، فغدا اليوم فناً جميلا تبتكر فيه أمريكا « التقاليع » والطرائف . فهذا فنان يتخذ من ظهور فتيات الملاهي لوحات يرسم عليها « وجوها » كاريكاتورية ، ثم يغطي رؤوس الفتيات بقبعات وسيقانهن بملابس تلائم الرسم ، فيخيل للناظر الى ظهورهن أنها شخصيات في أوضاع مضحكة يستمتع برؤيتها رواد الملاهي والمسارح الأمريكية . وترى في الصورة العليا أربع حسان من بنات العم سام . . راح الفنان يجري ريشته على ظهورهن برسومه الهزلية

الى اليمين صورة وجه ساخر وقد بدأ بسماته المضحكة . . على ظهر بنت جميل !



بعد أن أتم الفنان رسم الوجوه ، أخذ يغطي رؤوس الفتيات بقبعات من تحتها قطن يبدو كالشعر الاشيب المنفوش ، كما غطى أبدانهن بملابس تناسب هذه الوجوه ، وفي الصورة السفلى أربع شخصيات هزلية لا يظن من يراها أنها ظهور أربع فتيات جميلات



الشيوخ الشبان

بقلم محمد توفيق دياب بك

اذا اجتمع للشباب فروة فتوة السن فتوة العلم الحديث ، وفتوة الخلق المتين ، فهو أصلح للحكم من الشيوخ

لأستاذنا لطفي السيد باشا كلمات فياضة بالحكمة . من ذلك ان متحدثا صحفيا سأله منذ شهور عن الشباب والشيوخ : أيهما أحق بأن تلقى اليه مقاليد الأمور في البلاد ؟ فأجاب أستاذنا الحكيم بجواب يحضرنا معناه، ويكاد يحضرنا مبناه ، قال : « عهدنا بالأحزاب السياسية والمبادىء الاجتماعية ، ان تكون حزب أحرار أو محافظين مثلا ، أو تكون ديموقراطية أو دكتاتورية ، رأسمالية أو اشتراكية. اما أن يكون الشباب حزبا من حيث هم شباب ، ويكون الشيوخ حزبا من حيث هم شيوخ ــ فذلك ما لم نعهده قط في أى طور من أطوار الجماعة »

* * *

جواب واسع المغزى ، بعيد المرمى على ايجازه . فقد يكون الفتى بسنه ، شيخا برجعيته ؛ وقد تبلغ أنت السبعين أو تعلوها ، وعزمك ما زال ينتزي الى التقدم والاصلاح على ان الاصل ان يكون الشباب أشبه بيومهم وأصلح لغدهم من الشيوخ . ولكن على شروط : هي ان لا يقصروا حجتهم على حداثة الأسنان، وفراهة الأبدان، فهذه هبة عابرة من الفطرة لا فضل فيها لانسان فتى على غصن فتى أو وردة فتاة ؛ وانما يتميز المرء في شبابه اذا تعمق معنى الشباب وتوسع فيه، فتجاوز به مجرد السن المديدة والعود الرطيب ، الى فكر يلتمس جدته من جدة العلم الحديث في شتى فروعه وأبوابه ، وشتى كشوفه وآفاقه ، وشتى آماله وأهدافه ، حتى اذا ولى شؤون البلاد ، هدى واهتدى بضياء رأس ، شبابه المعرفة ، فهو قادر على التفكير والتدبير ، مركب في جسم ، شبابه العافية ، فهو مضطلع بأعباء يومنا المجاهد ، وغدنا الطموح

* * *

واذا تميز الشباب باعتدال القوام

فلا انحناء فيه ولا عوج ، فليتميزوا كذلك باعتدال النفوس واستقامة الأخلاق . والا فعلومهم ومعارفهم نبات قد يزكو، ولكن لخير أشخاصهم، لا لخير الوطن. والأثرة المسلحة بالعلم أنكى من الأثرة المجردة منه . لكن اذا اجتمع لشبابنا المتطلع الى تولى شؤون بلاده فوق فتوة السن ، فتوة العلم الحديث ، وفتوة الخلق المتين ، رجونا لبلادنا العزيزة على أيدي أبنائنا، ما لم تستطعه تحت آبائهم الحاضرين أو الغابرين

* * *

تلك شروط يجب ان يستوفيها الجيل المتحفز ، قبل ان تصير اليه المقاليد ، اذا أراد ان يجارى الطبيعة على سنة التطور والارتقاء ، فيأتى الخلف أصلح من السلف ، والجديد من الرجال والاعمال خيرا من القديم

اذا اتخذ الأبناء عدتهم لهذا المستقبل القريب — وحسب الآجال كفيلا بأخلاء الطريق من الآباء — ان لم يبادر بأخلائها منهم تقاعد العجز وأوصاب الهرم ، فانهم عما قريب منقذو بلادهم ومسعدوها ، بل معيدوها الى مجد أثيل طال مغربه ، وآن له ان يشرق من جديد

* * *

على ان شبابنا يشكو فى غير شكاة فالوزراء منهم يكثرون فى الزمن الأخير . الا ان يكون الشاب فى مصطلحهم انما هو خريج الجامعة هذا العام أو عام أول . وما تحسبهم يريدون الطفرة من مقعد الطالب الى مقعد الوزير . هذا ونظامنا البرلمانى درج على اختيار الوزراء من بين الشيوخ والنواب ، ويجب وفقا لدستورنا ان لا تقل سن الشيخ عن أربعين ، ولا سن النائب عن ثلاثين . فان يكن ولا بد للشباب ان يحكم منذ تخرجه ، فليطالب بتعديل سن النيابة فى حدها الأدنى ، فهى فى انجلترا احدى وعشرون سنة للرجال والنساء على السواء . وهى فى الولايات المتحدة خمسة وعشرون عاما للنائب ، وثلاثون عاما للشيخ ، وخمسة وثلاثون لرئيس الجمهورية

وما أقول قولى هذا على سبيل الاغراء . اذ قل ان ينتخب نائب هناك دون الثلاثين ، أو ينتخب أو يعين شيخ دون الاربعين . ذلك ان تجاريب السنين عنصر حيوى من عناصر التكوين . والناخبون حتى البسطاء منهم يدركون هذه الحقيقة .. ولو أحسن شبابنا العاملون لجنبوا أنفسهم شهوة المناصب ، فما أكثر فتنتها للعقول ، وأقل جدواها على البلاد . ورب عالم فى مختبره ، أو كاتب بقلمه، أو طبيب فى مستشفاه ، أو صاحب صناعة تسد ثلمة من مفاقر الناس ، أو صاحب تجارة شريفة تزيد الرخاء

العام – أكثر نفعا لبلاده ، وأبعد أثرا فى بناء مستقبلها من جهود وزير يمضى ووزير يجىء ، أو جهود نائب ينوب أو شيخ يتشيخ !

* * *

لكن لا تظلموا ذوى السن من رجالكم أيها الشباب. أو على الأقل، لا تظلموهم كلهم الظلم كله . فان من آبائكم – بل من أجدادكم –. وما زال بعضهم أحياء يعملون ، أو أشباحا واهنين ينتظرون ساعة الرحيل – من أشقى أيامه لتنعموا ، ومن دعاكم أجنة فى الغيب ، وأطفالا رضعا فى المهد ، وصبية دارجين فى البيت ، وغلمانا ناشئين فى المدرسة ، وفتيانا فى الجامعة تستقبلون دنيا العلوم ودنيا الحياة . فلا تتبرموا بهم كثيرا . ولا تضيقوا بمكانهم من الأحكام أو من الأعمال ، الا ان يقصروا أو يسيئوا – فاما ان يكون ذنب الشيوخ الى الشباب : انهم شيوخ – فمغفرة وعفوا كريما . فكذلك أراد الله : ان يكون للأبناء آباء ، وللحفداء أجداد !

* * *

واذكروا ان الموهبة يجب ان تعمل ما دامت الموهبة . كم سن أتلى؟ وكم سن تشرشل ؟ وكم سن بيفن ؟ وماذا كانت سن روزفلت ؟ وما هى سن ستالين ؟ وما سن غاندى؟ أولئك قليل من كثير من رجالات الأمم الذين احتكموا ويحتكمون فى مصائر الانسانية دون ان تتبرم بهم بلدانهم لبلوغهم سن الكبر ، ودون ان يهتف بهم هاتف الشباب : الى الوراء أيها الشيوخ !

* * *

وفى عالم الآداب والفنون ، كم للعباقرة المعمرين من أياد بيض دام بياضها فى حياتهم أجيالا . واليك شواهد تنطق بأن الانتاج الرفيع ليس وقفا على الشباب :

لم يجف القلم فى يد أناتول فرانس حتى مات فى الثمانين من عمره ، ولا فى يد جوتى حتى مات فى الثالثة والثمانين ، ولا فى يد فولتير حتى مات فى الرابعة والثمانين ، ولم تنقطع عن الابداع ريشة بلليني حتى مات فى السادسة والثمانين ، ولا ريشة ميكيل انجلو حتى مات فى التاسعة والثمانين ، ولا ريشة تيسيانو حتى مات فى التاسعة والتسعين

فيا شبابنا الكريم . دعك من العكوف على قسمة الأمة الى شباب وشيوخ . واذكر أن أولئك العباقرة عاشوا فتيان العقول ، فتيان المواهب والعزائم ، حتى دعاهم الله الى خلده فى الملأ الأعلى ، بعد ان خلدوا بآثارهم فى الملأ الذى نمائيه .

عاش شبابنا حتى يكون منه شيوخ فتيان ، خالدون ، من هذا الطراز

محمد توفيق دياب



نساء غير جميلات يتحكمن فى الرجال !

هذه المرأة الدميمة ، كيف اتفق لها كل هؤلاء العشاق ؟ وتلك المفتقرة الى فتنة الجمال ، كيف علق بها ذلك الرجل العظيم ؟!

هكذا تتساءل السيدات اذا اجتمعن وجرى بينهن ذكر العلاقة بين بعضهن وبين الجنس الآخر ، واذا قيل ان تساؤلهن هذا راجع الى الغيرة والحسد فان الرجال أيضا يتساءلون هكذا فيما بينهم !

ان كليوباترة ــ كما يقول المؤرخون ــ لم تكن رائعة الجمال ، وكان لها أنف كبير كأنف ابن حرب ، ومع ذلك علق بها يوليوس قيصر ، واستولدها طفلا ، وذهب بها الى روما ، فلما عادت الى مصر ، هويها مارك انطونيوس ، وضيع نصيبه فى تركة قيصر بسببها .. ذلك الى عشاقها الآخرين

وكان أكثر معشوقات الملك لويس الرابع عشر ــ زعيم العشاق ــ يفتقرن الى الجمال ، بل ان احداهن وهى الأميرة هنرييت ، زوج أخيه ، وشقيقة ملك انجلترا ، كان فى عينيها قبل لم يبلغ أن يكون حولا ، وفى كتفيها عوج رفع أحدهما عن الآخر ، وكان وجهها لا يخلو ــ زمن الصيف ــ من بثور دامية ، لا تمت الى الجمال بصلة ، ومع ذلك فقد كان لها عشاق كثيرون !

وهنالك من عشيقات لويس الرابع عشر ، الآنسة لافاليير ، وهى أولى حظياته ، وكانت احدى رجليها قصيرة عن الاخرى ، فهى تظلع فى مشيتها ، وكانت كبيرة البطن ظاهرة الكرش اذا أكلت ، دائمة السعال . ولكن الملك أحبها واستولدها أربعة أطفال غير شرعيين ، واتخذتها الملكة صديقة لها ، حتى اذا هجرها الملك ولزمت الدير ، دأبت الملكة على زيارتها فيه

وحين اكتهل الملك وشاخ ، لم يتبدل ذوقه ، فأحب مدام دى منتانون وتزوجها ، وقد ترهل جسدها ، وثقل شحمها تحت ذقنها ، وفى أسفل ساقيها ، على حين كانت أجل غادات فرنسا لا يترددن فى الارتماء عند قدميه ! ولقد تعقبها زمنا طويلا ، فامتنعت عليه ، وتأبت ، وقدمت النصح والمعاذير ، فلما رضيت به ، طار الى وزيره « لوفوا » ــ وزير الحربية ــ ليقول له « ان المرء لا يجد النصر فى الحرب وحدها »

ولم يكن حفيده لويس الخامس

عشر ، خيرا منه ذوقا ، اذ كانت أشهر حظاياه الدوقة دي بومبادور ، وضيعة المنبت ، قبيحة الصورة ، حتى قال أحد رجال البلاط « أين كان عقل هذا الملك عند ما وجد هذه المرأة ؟! »

وكان نابليون أحسن اختيارا من سابقيه ، غير انه لم يعشق عشقا عميقا غير ماري لويز زوجته الثانية ، وقد قال الذين عرفوها ، انها المانية ثقيلة تغطي جسمها البثور ، ولا تصلح الا للنسل .

وكذلك الحال في غرام ادوارد الثامن ملك بريطانيا السابق بمسز سمبسن دوقة وندسور الآن ، وهي ليست ذات فتنة وجمال بارع . وقد



لم تكن « جورج صاند » جيلة ، ولكنها رغم ذلك أسرت قلوب كثيرين من العظماء

ضحى من أجلها بامبراطورية

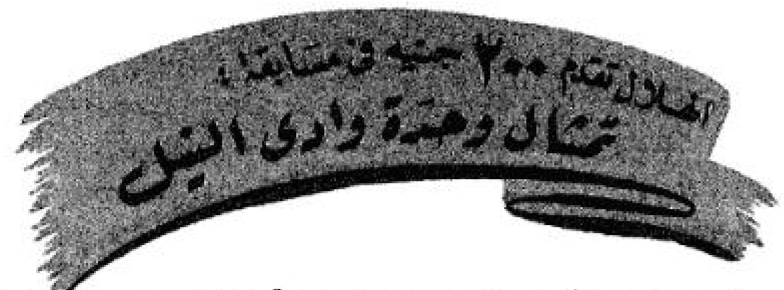
وهناك الكاتبة المشهورة جورج صاند، عشقها «موسيه» أعظم الشعراء، « وشوبان » أعظم الموسيقيين ، ولم تكن جيلة ، بشهادتها عن نفسها ، اذ قالت : لو ألبسوني ثياب الغلمان لكنت غلاما حسنا أكثر مني فتاة جيلة ..

ولقد حاول الناس ان يجدوا لهذه الظاهرة تعليلا ، أو يعثروا لها على قاعدة ، فأعياهم ذلك . وان كانت العلاقة بين الرجل والمرأة ترجع في الغالب الى العامل الجنسي . فالرجل حين تستهويه الأنثى ، انما يكون سلطان أنوثتها أقوى من سلطانه على عقله ، وهو لا يعدو ان يكون حيوانا، قبل ان يكون رجلا صقلته المدنية ، لأن أساس هذه الحيوانية كامن فيه، يحفزه الى بقاء النوع

وقد يكون هناك عامل أدبي أو عقلي ، اذ تتسلط امرأة ذكية على رجل أقل منها ذكاء ، وذلك شر أنواع التسلط ، الا ان تكون متمتعة — الى جانب ذلك — بنصيب من الانوثة

لقد كشف علم النفس عن كثير مما لا يؤبه له في العلاقات الجنسية ، وهو في الواقع جوهري في تقارب الزوجين أو تباعدهما ، فليس الجمال وحده هو الرابطة بين الزوجين ، وانما هناك عوامل جنسية ونفسية أخرى

[عن مجلة ايل الفرنسية]



الآن وقد اتجهت الجهود لتحقيق وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى ، ترى مجلة الهلال أن تسجل هذه الحركة المباركة بالدعوة الى صنع تمثال يرمز لهذه الوحدة . وقد أقدمت على إقامة هذه المسابقة بين الفنانين المصريين والسودانيين ، بعد أن استشارت طائفة من الكبراء ورجال الفن فحبذوا الفكرة . وستقيم الهلال معرضاً خاصاً فى دارها بشارع المبتديان لعرض تماثيل المتسابقين للجمهور ، وستمنح جائزتين للفائزين الأولين :

الجائزة الاولى ١٥٠ جنيهاً ، الجائزة الثانية ٥٠ جنيهاً

الشروط

١ — يجب أن يكون المتسابقون فى صنع هذا التمثال من أبناء وادى النيل (مصر والسودان)

٢ — لا يقل ارتفاع التمثال عن ستين سنتيمتراً ، ولا يزيد ارتفاعه عن مائة سنتيمتر — وللمتسابق الحرية فى اختيار المادة التى يصنع منها التمثال ، كما أن له حرية اختيار لونه

٣ — يجب أن تكون فكرته مبتكرة ، ويرمز الى وحدة وادى النيل بشكل واضح

٤ — لكل متسابق الخيار فى صنع قاعدة تمثاله أو عدم صنعها وفى حالة صنع القاعدة يلاحظ أن تكون مناسبة للتمثال

٥ — مدة المسابقة ستون يوماً — تبدأ من أول ابريل الى ٣٠ مايو ١٩٤٧ — وعلى كل من يريد الدخول فى المسابقة أن يبعث باسمه وعنوانه ومؤهلاته الى مدير التحرير لقيده بين المتسابقين . ثم يقدم تمثاله الى مجلة الهلال قبل انتهاء الموعد المحدد

٦ — تدفع مجلة الهلال خمسة جنيهات لكل متسابق ترى لجنة التحكيم تعويضه عن تكاليف التمثال ، ويعد حكم لجنة التحكيم نهائياً ولا يقبل مناقشة

لجنة التحكيم

حافظ عفيفى باشا ، هدى هانم شعراوى ، محمد حسن بك ، محمود سعيد بك ، أحمد راسم بك ، مسيو جورج رعون خبير الفنون الجميلة بوزارة المعارف ، الأستاذ عبد المنعم هيكل ناظر مدرسة الفنون الجميلة ، الأستاذ أحمد يوسف ناظر الفنون التطبيقية



بقلم الدكتور نور الدين طراف

[ليس هيناً على المرء أن يتهم طائفة ينتمى اليها ، فان ذلك يعنى أنه يوجه الاتهام لنفسه . وما أشق أن يبرز الانسان عيوبه ويعلن عن نقائصه ، ولكن يشجعنى فيما أنا مقدم عليه أن الأطباء يرحبون بأن تبدو مآخذهم أمام أعينهم ، ويعزينى أن قائمة الاتهام ــ مهما طالت ــ فانها تضؤل وتنكمش اذا قورنت بقائمة الخدمات الانسانية التى تؤديها للمجتمع]

أتهمكم أيها الاطباء

أولا ــ بأن كثيرا منكم لايفهمون الحقيقة التى كان يجب ان تنزل من نفوسكم منزلة العقائد، وهى ان الطب فى أساسه تضحية ، وضريبة يؤديها الطبيب من صحته، ووقته، وراحته ، بل ومن ماله، خدمة للمجتمع، ووقاية له ، وأخذا بيد الفرد لانتشاله من خضم الامراض والعاهات

فلو وعيتم هذه الحقيقة وتفهمتموها وعملتم فى حدودها غير متضررين ولا ثائرين ، لا نمحى فى الحال كل وجه لاتهامكم

* * *

ثانيا ــ أتهمكم بأن « الطب » ينقلب بين أيديكم الى وسيلة من وسائل الاثراء وجمع المال . فالأخصائى الكبير الذى يكدس المرضى فى عيادته ، ثم يكشف عليهم كشفا سريعا سطحيا ، لا يمكنه قطعا ان يصل الى تشخيص الداء بالدقة الواجبة ، وانما هو يرهق نفسه ولا يمكن المرضى من الاستفادة بعلمه وفنه

والطبيب الذى يجعل فى عيادته فئتين للكشف : واحدة أعلى سعرا من الاخرى تسمى « كشفا خاصا » يكون لصاحبها حق التقدم على غيره ، انما يهبط بفنه الى مستوى التاجر الذى يقدم بضاعة جيدة بسعر عال، وبضاعة مزجاة بسعر رخيص ، ويحيل العيادة من مكان روحى لا يجب ان تسيطر عليه الأساليب المادية ، الى حانوت، المنطق فيه للمادة والمال

والطبيب الذى يعلن عن نفسه فى الصحف ، سواء فى صورة شكر من مريض ، أو فى صورة ثناء موجه اليه لبراعته ودقته .. الخ أو فى أية صورة أخرى من صور الاعلان ، انما يجعل نفسه وفنه فى مستوى واحد مع أى طالب مال

والطبيب الذى يستغل شدة الحاجة اليه ، وهو مطلوب مثلا الى حالة اسعاف سريع ، ويشترط أجرا عاليا ودفعا معجلا ، انما يخرج عن كل تقليد طيب لمهنته وينتهك كل حرمة لآدابها

والطبيب الذى يكلف بمكافحة وباء يجتاح بنى وطنه ، فيتخذ من الوباء سببا للاثراء وجمع المال ، بأن يبيع مرضاه علاجه بأفدح الأثمان ، انما هو شر على بنى وطنه من الوباء الذى يجتاحهم

* * *

ثالثا — أتهمكم أيها الاطباء بأنكم تفرقون بين المرضى ، فتبذلون لمرضاكم فى عياداتكم الخاصة جهدا وعناية ، لا يعرفها مرضاكم فى المستشفيات أو المستوصفات أو العيادات الخارجية التى تعملون فيها ، وان كثيرا منكم يحاول ان يوثق العلاقة بين عيادته الخاصة ، وبين عمله العام ، الذى يباشر فيه علاج المرضى بالمجان ، بأن يعمل على توجيه المرضى الى عيادته الخاصة . وان كثيرا منكم يسخرون المستشفيات لخدمة مرضاهم الخصوصيين ، بعمل الابحاث التى قد يحتاجونها كالاشعة وغيرها بالمجان ، مع قدرتهم على دفع نفقاتها

* * *

رابعا — أتهمكم بأنكم لا تحرصون على أوقات مرضاكم ، وأنكم لا تحترمون المواعيد التى تحددونها لعياداتكم ، فما أكثر ما يجىء الطبيب الى عيادته متأخرا ساعة أو أكثر ، عن الموعد المدون على لافتة الباب ، تاركا المرضى يتقلبون على جمر الانتظار

* * *

خامسا — أتهمكم بأن بعضكم يؤلفون مجموعات ، كل فرد منها متخصص فى فرع من أفرع الطب ، وأن المريض الذى يذهب الى طبيب من احدى هذه المجموعات يحتم عليه ان يطوف بأفراد المجموعة كلها اخصائيا فأخصائيا سواء أكانت الحاجة لذلك ماسة أو ضعيفة

* * *

سادسا — أتهمكم بأن الكبار منكم والمشهورين فيكم ، لا يقدمون المعونة لصغاركم ولا للناشئين منكم ، فلم يوجد الطبيب المشهور الذى يستعين بطبيب ناشىء فى عيادته ليعمل تحت اشرافه وارشاده ، كما يفعل المحامون

فمظهر التعاون بين كباركم وصغاركم يكاد يكون معدوما ، بل

يضعون العقبات فى سبيل النابغين
ن الناشئين ، بدلا من الأخذ بأيديهم
تمهيد السبيل لهم

* * *

سابعا — أتهم الاساتذة منكم فى
كليات الطب ، بأنهم يقصرون فى
اجباتهم نحو الطلبة،وأنهم لايوجهون
لفنهم ، ما يقتضيه من بحث علمى .
فقليلون هم الذين يجدون من وقتهم
ما يسمح بالتعمق فى البحث ، طلبا
للحقائق العلمية ، أما الكثرة الغالبة

... المرضى والزيارات الطبية ستنفد
من وقتهم ما تجور به حتى على أوقات
الراحة والغذاء

* * *

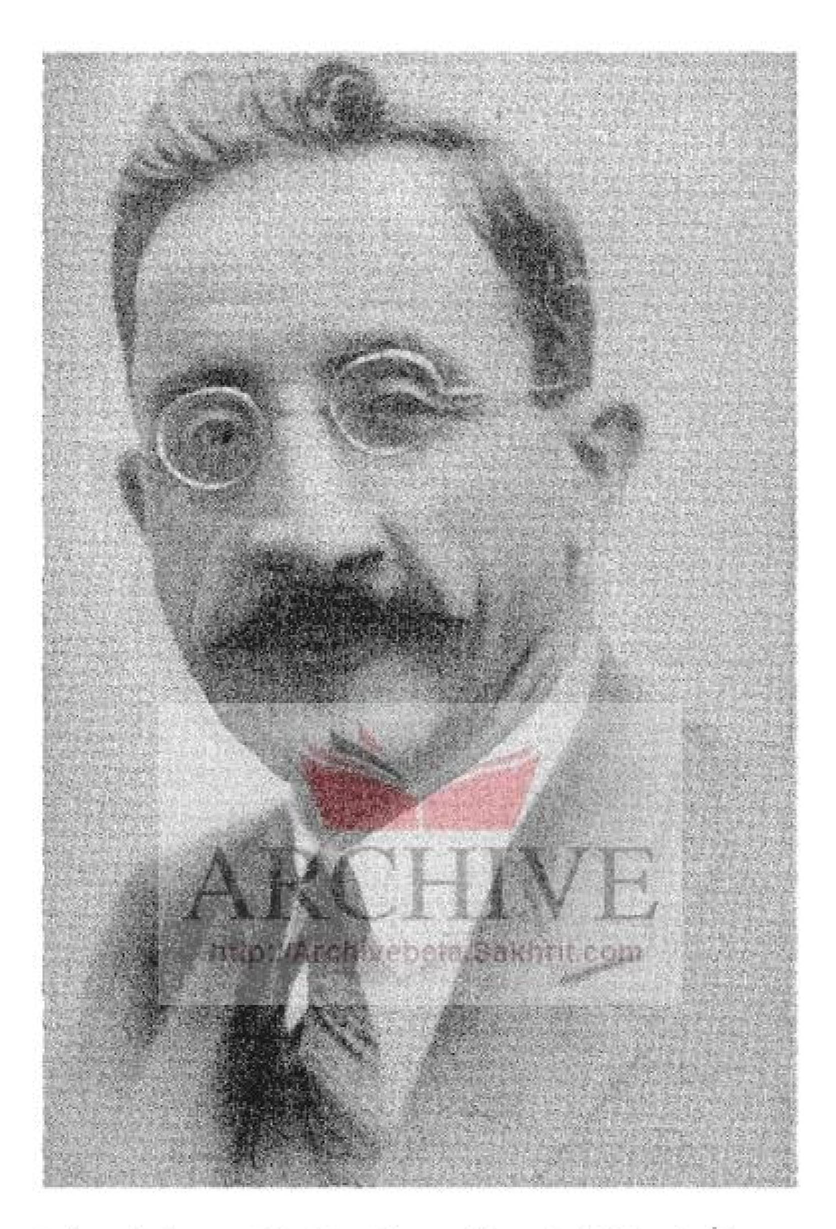
ثامنا — أتهمكم أيها الاطباء أخيرا
بأن البعض منكم يكتب لمرضاه أدوية
لا يؤمن بفائدتها، وأنه يكلف المريض
عناء التردد على عيادته مرات ومرات
لعلاج هو أدرى فى قرارة نفسه بأنه
لا يؤدى الى نتيجة تساوى ما يبذله
المريض من عناء ونفقات

نور الدين طراف

رد لاذع !

بينما كان عازف البيان البولندى الشهير « بادرفسكى » يزور مدينة « بوسطن » منذ سنوات ، اقترب منه ماسح أحذية وسأله : « هل أنظف حذاءك يا سيدى ؟ » .. فنظر بادرفسكى الى وجه الغلام الملطخ بالأقذار وقال له : « كلا يا بنى ، ولكن اذا غسلت وجهك فسأعطيك قطعة نقود ! »

فأجاب الغلام فرحا : «حسنا»، وأسرع الى أقرب نافورة فغسل وجهه وعاد متهللا .. فأعطاه بادروفسكى قطعة النقود التى وعده بها .. لكن الغلام تأمل قليلا رأس الفنان الذى استطال شعره حتى غطى عنقه ، ثم رد اليه قطعة النقود قائلا : « كلا يا سيدى .. الأفضل أن تستبقى نقودك لتقص بها شعرك »



جزى الله قومى كلَّ خير فانهم　　لقد رفعوا قدرى بما جاز تأميلى
وما خِلتنُى فوقَ الذى أنا كُنتهُ　　فقيمَ أرى حيًّا قِيامَ تماثيلى

خليل مطران

يحتفل هذا الاسبوع بخليل مطران الشاعر ، وقد طلبنا من الكاتب - بهذه المناسبة - أن يحدثنا عنه كرجل

خليل مطران .. الرجل

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

جمعني يوما وخليل مطران ، مجلس كان السمر والطرب فيه ، أغلب على الوقار والجد ، وكان واسطة العقد في مجال الدعابة والتفكهة ، رجلا ظريفا متطرفا في دعابته ، فما راعني الا اقبال خليل مطران على ذلك الرجل ، وأنسه به ، وايثاره اياه .

ولقد سألت خليلا في ذلك ، فقال : انني أنظر الى العالم على أنه مسرح يتداول الممثلون الظهور فيه ، فأنا أشاهد كل ممثل وأسمع كل مايقال ، على أن أستخلص من ذلك ما أشاء من العبرة أو الأسوة . فقلت : صدقت ، وان خير الممثلين من عرف كيف ينتزع نفسه من الجد ، ليضحك سواه .

على اني كلما جالست خليل مطران ، تضاعف اعجابي بخلق بارز فيه ، ذلك هو اتساع آفاق نظره الى الأشياء والأشخاص ، ورحابة صدره التي تتسع لكل الآراء والنظريات ، واصغاؤه الى القول التافه ، اصغاءه الى خير ما يقال ، وبراءة نقده من التحامل وجفاء الألفاظ . وهذه الفلسفة هي التي جعلته ينظر الى العالم بعينين ضاحكتين ، فهو أبدا راض عن الناس ، وهم عنه وعن رأيه فيهم راضون

وأنت اذ تقرأ شعره مدحا وغزلا ووصفا وتفجعا وغير ذلك ، تكاد تلمس فيه هذه الفلسفة غالبة على سياقه ، متفشية في روحه ، حتى ليخيل الى انه أدرك جميع حقائق الحياة ، فاستوى عنده حلوها ومرها ، وصفوها وكدرها

ومن كان هذا شأنه فأحرى به أن يزهد الدنيا ، وذلك صحيح الى حد ما ، بالنسبة الى خليل مطران ، فهو زاهد فعلا في الدنيا ، على مقدرته ان يحوز منها الكثير . ولكنه يمتاز بنفس كبيرة ، لا تجد راحتها الا في النجدة والنخوة على أكرم صورهما ، فهو رجل يسعى - ما وسعه الجهد - ويبذل وقته ، وعلمه ، وجاهه ، لتحقيق نفع لأحد الناس ، أو تحقيق غرض نبيل يعود على المجموعة بالخير ، ولذلك أحبه الجميع واحترموه

ذلك أن الاستعداد لخدمة الناس ، والتغاضى عن هفواتهم ، والتسامح معهم فيما هو ظاهر من عيوبهم ، قلما يجتمع لرجل من الرجال ، وهو خلق بارز فى خليل مطران جعله نسيج وحده ، لا يرتفع الى مستواه فى ذلك سواه

ولعله قد يتفق لبعض المفكرين ان ينظروا الى الحياة مثل نظره ، ولكن ذلك يؤدى بهم الى احتقار البشرية ، والانزواء بعيدا عن مضطرب الخلائق. وقديما قال المتنبي :

ومن عرف الأيام معرفتى بها
وبالناس روى رمحه غير راحم

أما خليل مطران ، فقد رفعته معرفة الناس ، الى مرتبة أعلى من هذه المرتبة ، بحيث يتلمس الأعذار عن اخطاء المخطئين قبل حسابهم عليها . فهو بهذا التسامح العظيم يحقق الفضائل الدينية ، ويرضى جميع عارفيه وان اختلفت آراؤهم ومذاهبهم

ونظرية خليل مطران فى فلسفة الصداقة وليدة ما يمتاز به من رحابة الصدر ودماثة الخلق ، فهو يرى ان الصداقة شيء ثمين ، وعلاقة رفيعة ، لا تنعقد أواصرها بين اثنين ، الا بعد تجربة واختبار ، فاذا توثقت الرابطة بينهما على أساسها ، وجب على كل منهما أن يحرص عليها ولا يفرط فيها

فهو يغضى عن الاساءة وعن تكرارها، ويتناسى الهفوات والاخطاء، ويظل اقباله على صديقه لا تشوبه شائبة ، ولا ينتقص منه مأخذ . وهو يقول فى هذا : « ان ما جهدت فى بنائه سنين ، لا ينبغى أن أقوضه فى ساعة وما أنفقت زهرة العمر فى الوصول اليه ، لا أعمل على فقده بيدى »

وهو لا ينسى صديقه وان طال بينهما الفراق ، ولا يسيء الى أحد صديقا كان أم غير صديق . ولقد رأيته مرة ثائرا على أحد الناس البارزين ، يوجه اليه اللوم فى مرارة لم أعهدها فى خلقه الرحب وكلامه الرزين ، فاشتد من ذلك عجبى ، ولكنى عرفت سر هذه الغضبة الشديدة حين علمت ان ذلك الرجل غدر بصديق له ، وخان عهد صداقتهما ، ولجأ الى النفاق والمراءاة !

وانى اذ أعرف خليل مطران شاعرا ، لا يعنينى ذلك الكلام الموزون المقفى ، واذ أشهده كاتبا لا تستوقفنى تلك المعانى التى توحى اليه ، ولكنى أتبين من وراء ذلك كله ، الرجل الذى يسمو بخلقه الى مراتب الخالدين — وهم قلة — والرجل الذى يشعر بأن له رسالة تدفعه الى السمو بالانسانية الى أرفع مكان تستأهله ، بحيث لا يكون لها من هدف الا الحرية والعدل ، وتأمين الخائف ، واطعام الساغب ، ورد ظلامة المظلوم

ولمثل هذه الأغراض الرفيعة ينبغى أن تسمو الحياة

كيف تصير عملاقا ؟

المصارع الامريكي « أنول اركيل » يتحدث عن العمالقة .. كيف يعيشون ، وماذا يأكلون ، وكيف حبتهم الطبيعة بقوة خارقة لا يكاد يصدقها العقل !

العمالقة يولدون ولا يصنعون ، فأمهاتهم فى العادة نساء « عملاقات » وهذا كارنيرا العملاق الايطالى ، كان ثقله عند مولده ستة عشر رطلا ، وكاليكوف ، المصارع الروسى ، كانت زنته عند ولادته اربعة وعشرين رطلا ، ولافالز العملاق الذى قهرته وهو يزن ٤٩٠ رطلا ، كان وزنه حين ولد تسعة وعشرين رطلا . هذا مع أن الوزن العادى للوليد هو سبعة أرطال

ومع ذلك فانه من الممكن « عملقة » الاشخاص العاديين كما حدث لى بالذات . فقد لقينى ذات يوم رجلان ، وتشاجرا معى فطرحانى على الأرض ولعبا الكرة بقبعتى ، والهبا ظهرى بعصاى ، ثم تركانى مخضبا بالدم ملوثا بالوحل !.. وكانت زنتى حينذاك ١١٢ رطلا ، وكنت بطلا من ابطال الرياضة . ولكن هذه الحادثة علمتنى اننى ما زلت شثيلا ضعيفا ، فاسرعت فى صبيحة اليوم التالى الى أحد مشاهير الرجال المعروفين بالقوة والبأس أسأله كيف أصير عملاقا ؟ فاستطاع هذا الرجل أن يضاعف وزنى فيجعله ٢١٠ رطلا ، وان يجعلنى بطل أوربا فى المصارعة

لقد بنيت نفسى ، كما بنى جميع الرجال الأقوياء أنفسهم ، بكميات ضخمة من الطعام رضت نفسى على التهامها . فكنت أجرع من اللبن قدر ما أستطيع ، فاحسى منه فى وجبة الصباح ربع لتر (٢٥٠ درهما) ، ثم ٣٧٥ درهما فى الساعة الحادية عشرة ومثلها فى الرابعة بعد الظهر ، ومثلها فى المساء . وكنت أتناول وجبات ضخمة من شرائح اللحم ، والبطاطس ، والزبد ، وعصيدة الأرز ، ومهابضة أرغفة من الخبز . وظللت على هذا عدة أسابيع ، كنت أحس خلالها أن بجسمى ثورة تفتح خلاياه ، وتنمى عضلاته . على انى — مع هذا — لم أركن الى الأكل والنوم ، وانما كنت أمارس الرياضة طوال اليوم ، بأثقال متزايدة بعضها عن بعض ، أتدرب بها على الحمل ، والدفع ، والجذب ، وعلى كل هذه الأعمال المجهدة التى تجعل الجسم ينضح ويتصبب بالعرق

ومع هذا فلست عملاقا كما ينبغى فان العمالقة يأكلون حقا ؛ فهذا

المصارع المصرى « حمدى مصطفى » يأكل أربعة أرطال من اللحم، ورطلين من البطاطس ، ومثلها من الخضر ، وطبقا كبيرا من اللحم والأرز .. فى وجبة الغداء وحدها ! وكان الى هذا يشرب لترين من اللبن ، ويتناول وجبتين ثقيلتين فى الافطار وفى العشاء !

والواقع أن هؤلاء العمالقة يتناولون فى العادة وجبتين كبيرتين ، الأولى فى الصباح والثانية فى المساء ، ومعهما بضع وجبات اضافية وقت الظهيرة ، وفى الخامسة مساء ، وقبل النوم ليلا

ومن أكثر العمالقة شراهة فى الأكل عمالقة اليابان ، الذين ينشأون فى أسر تتوارث مهنة المصارعة ، فيرغمون منذ طفولتهم على ازدراد كميات ضخمة من الأرز ، تبنى أجسامهم بناء يجعلهم أشد وأقوى رجال العالم ، وقد عرفت واحدا من هؤلاء العمالقة اليابانيين كان يزن ٧١٠ رطلا ..

أما النوم فهو من أهم ما يساعد على بناء الجسم، والعمالقة جميعا ينامون كثيرا وهم يشبون على هذا منذ طفولتهم . ومنهم هذا العملاق الأمريكى الناشىء، الذى طالت قامته الى ست أقدام ومازال فى الثالثة عشرة ، والذى لم يستطع أن يتعلم فى المدرسة لأنه كان ينام فى اليوم تسع عشرة ساعة ..

هذه هى الوسيلة لصنع العمالقة ، أى « لعملقة » الأشخاص، أما الطبيعة فان لها وسيلة فذة فى هذا الباب ، فهى تصنعهم بوساطة غدة لا يزيد حجمها عن حصة صغيرة تنمو فى أسفل المخ . وهذه الغدة اذا نشطت فى أداء وظيفتها ، مدة خمس وعشرين سنة ، فانها تجعل الانسان عملاقا فارعا، فاذا أضاف الانسان الى هذه القوة النشيطة كميات ضخمة من الطعام يلتهمها ، وعملا رياضيا يمارسه ، فانه لا يلبث أن يصير عملاقا جبارا ، من طراز أبطال العالم فى المصارعة . أما اذا أهمل صاحب هذه الغدة فى طعامه ورياضته ، فان قامته تطول وتمتد ، ولكن جسمه يظل ضعيفا متهافتا ، وقد يمتد الضعف الى عقله كذلك

ومع ذلك فان هذه الغدة ، اذا ظلت تعمل بعد سن الخامسة والعشرين فانها تؤدى الى تشويه الجسم، اذ تتمدد العظام ، والجبهة ، بينما يظل طول القامة كما هو . وأشهر مثل على هذا هو المصارع الذى كان يلقب ، من قبيل السخرية ، « بالملاك » . فقد كان عرض رسغه اثنتى عشرة بوصة ، وعرض صدره ست أقدام ، وكانت أصابعه كأصابع الموز الطويلة، وكانت تعلو هذا الجسم العجيب رأس ضخمة كالكرة المتبعجة

كان هذا الرجل فى سن الخامسة والعشرين شخصا عاديا ، ورياضيا بديعا، يزن مائة واربعة وخمسين رطلا . ولكن غدته ظلت تعمل فى نشاط واسراف، فلم تلبث أصابعه،ومعصماه،

وساعداه ، وعطفاه ، ورأسه ، أن صارت ضعف ما كانت ، أو ثلاثة أمثال ما كانت . بينما صار وزنه ٣٢٢ رطلا من العظم والعضل .. وما يزال مستمرا فى تمدده ، وتضخمه، وان كان طوله لم يتجاوز خمس أقدام وثمانى بوصات ، وهو الآن فى الثلاثين من عمره

وهؤلاء العمالقة ذوو قوة خارقة. وأقوى من شهدتهم هو « ماك اسكل » الذى كان فى وسعه أن يحمل مرساة سفينة ، وزنها أحد عشر قنطارا ، ويسير بها نصف ميل وهو يجر وراءه الجنزير الحديدى الذى يربط السفينة بالشاطىء !

وقد رأيت عملاقا آخر يمزق ثلاث مجموعات من أوراق اللعب موضوعة بعضها فوق بعض

ومنهم «هرمان جورنر» الذى كان يكتب اسمه على السبورة بقطعة من الطباشير موضوعة بين خنصره وبنصره بينما تعلق فى ابهامه كيس من الاسمنت وزنه ١١٢ رطلا

وكان هذا الرجل يستطيع أن ينام على ظهره ، ويرفع قدميه الى أعلى ، ثم يوضع عليهما لوح من الخشب يجلس فوقه سبعة عشر رجلا !

وليس هؤلاء العمالقة سواء فى طباعهم ، فبعضهم يثور ويهيج أثناء لعبه أو عند هزيمته ، وبعضهم هادىء وديع لا يكاد يحفزه للغضب حافز

فمن الفريق الأول المصارع البرتغالى فاسكو دى روبيرى ، فعندما هزمته وطرحته أرضا ، واستويت فوقه جاثما ، سمعته يتمتم بألفاظ الثأر والانتقام .. فلما نهض ، اندفع الى يريد أن يمسك بى ، فأسرع اليه نفر كبير من الناس يمنعونه ويدفعونه ، بينما انسحبت مسرعا ، أو هاربا ، الى غرفة الملابس . ولكن فاسكو لم يلبث أن انطلق من بين أيدى هؤلاء الرجال ، واندفع الى الغرفة فحطم بابها بضربة من يده ، كأنها علبة كبريت صغيرة .. ولولا أن وقف بينى وبينه حينذاك ثلاثة من مشاهير المصارعين لدارت بيننا معركة كان لابد وأن يخرج منها أحدنا على الأقل قتيلا

وخلاصة الأمر أن من يريد أن يكون عملاقا فى حاجة الى :

١ ــ أم طولها ينست وثمانى أقدام

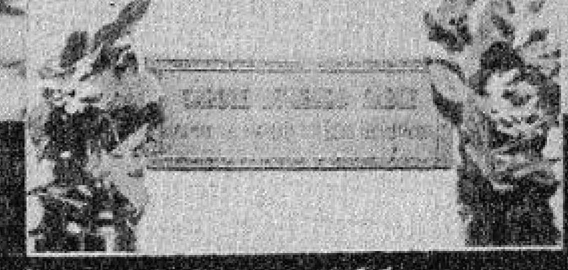
٢ ــ غدة نخامية pituitary نشيطة فعالة فى السنوات الخمس والعشرين الأولى

٣ ــ كميات كبيرة من الطعام المغذى

٤ ــ فترة طويلة من اليوم يقضيها مستغرقا فى النوم

٥ ــ رياضة دائمة عنيفة تجعل الجسم يتصبب عرقا .. وعندئذ يستطيع أن يكون عملاقا يرفع ثورا بيده ، أو يحمل سيارة على قدميه ، أو يصرع عملاقا مثله ويظفر ببطولة عالية

[عن مجلة « انرى بوديز ويكلى »]



ما أقسى الموت .. طوى هذا الكوكب الفنان فى نضرة العمر وربيع الحياة ولم يخلف له من أثر سوى لوحة رخامية نقش عليها اسم « كارول لومبارد » وتاريخ وفاتها

أعجب مقبرة فى الدنيا

هى أكبر مقابر العالم ، واعجبها واغلاها ، هى هوليوود الساكنة الراقدة ، ولكنها أشبه بهوليوود الحية الصاخبة ، تشبهها فى ثرائها وبهائها ، وضخامة مشروعاتها ، وفى انها صفقة تجارية جبارة كصفقات هوليوود ، لها مديرون ، ولها دعاة ، يجوبون البلاد ، ويطرقون الابواب ، يروجون لها ، ويعودون بالمال الوفير ، والجثث الفاخرة

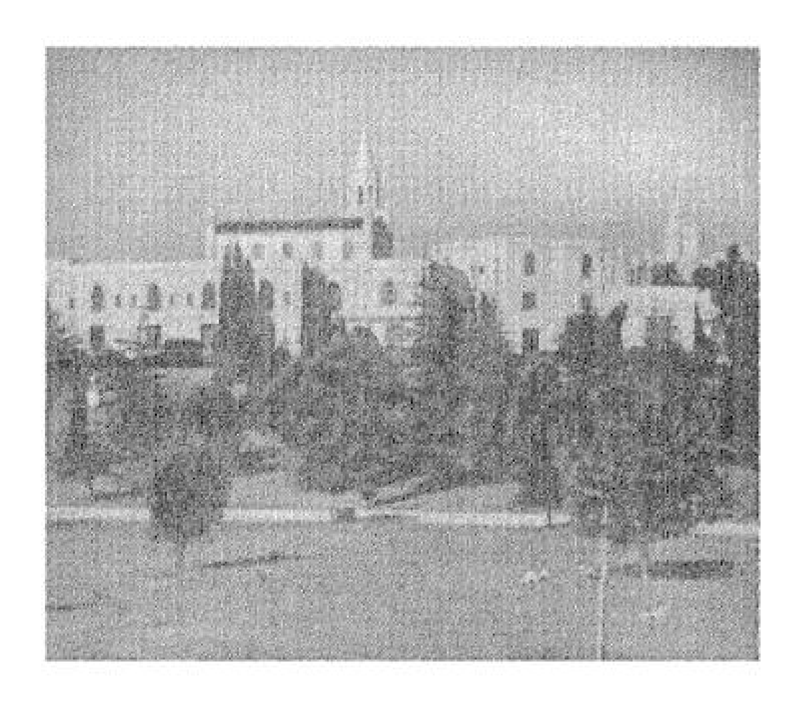
ثلاثمائة فدان، من التلال والوهاد ، تكسوها الرياض، وتظللها الاشجار، وتزينها الازهار ، ومن أجل ذلك سميت « أهنأ مقبرة فى العالم »، وهى فى الحق كذلك، لو أن للاموات وعيا، ولو كان للناس بعد خروج الارواح اشتهاء . وهم — فى أقل الفروض — انما يريدون بهذا الزخرف، أن يقنعوا الناس، وفى طليعتهم نجوم هوليوود، بان الموت ليس هو ذلك الشيء المخيف المريع الذى ترتعد لذكره الفرائص

ليس فيها شيء من علامات المقابر، فاذا رأيتها ظننت أنك ترى قصرا منيفا ، ومغنى جيلا ، ذا أضرحة وقباب ، هى آيات من الفن الجميل ، الى تماثيل رائعة ، كأنما جمت فى متحف عظيم ، هو مقصد الزائرين . وهى أيضا حديقة ذات افنان ، يلتقى فيها المحبون، حيث يسمرون ، ويتناجون، ويشهدون مغرب الشمس فى لجة المحيط الهادى . ويقصدها الدرسون ضحى ومعهم الطلاب يتذاكرون ويتدارسون . ويغشاها الفنانون من الشعراء والمصورون، يستلهمون الطبيعة الفاتنة آيات من الشعر ، ولوحات من الجمال

وقد تسكت فيها عن الكلام ، فاذا بك تسمع نغما حزينا يأتيك خافتا من وراء الشجر ، ومن خلف التماثيل، ومن اركان الزوايا ، كأن هاتفا خفيا يهتف ، وما هى الا مكبرات الصوت أخفيت فى تلك المخابىء ، ولكنك لا تريد أن تبحث عنها ، فقد شغلتك الموسيقى عن البحث ، وألهتك لذة السماع عن الرؤية ، فأنت تخالها سماوية ، وتريدها كذلك

وهذه المقبرة قد طوت من مشاهير هوليوود سبعة ، هم : جون جلبرت، وهو اشهر نجوم السيما الصامتة ، مات فى التاسعة والثلاثين ، وجين هارلو الشقراء الفاتنة التى طلبت

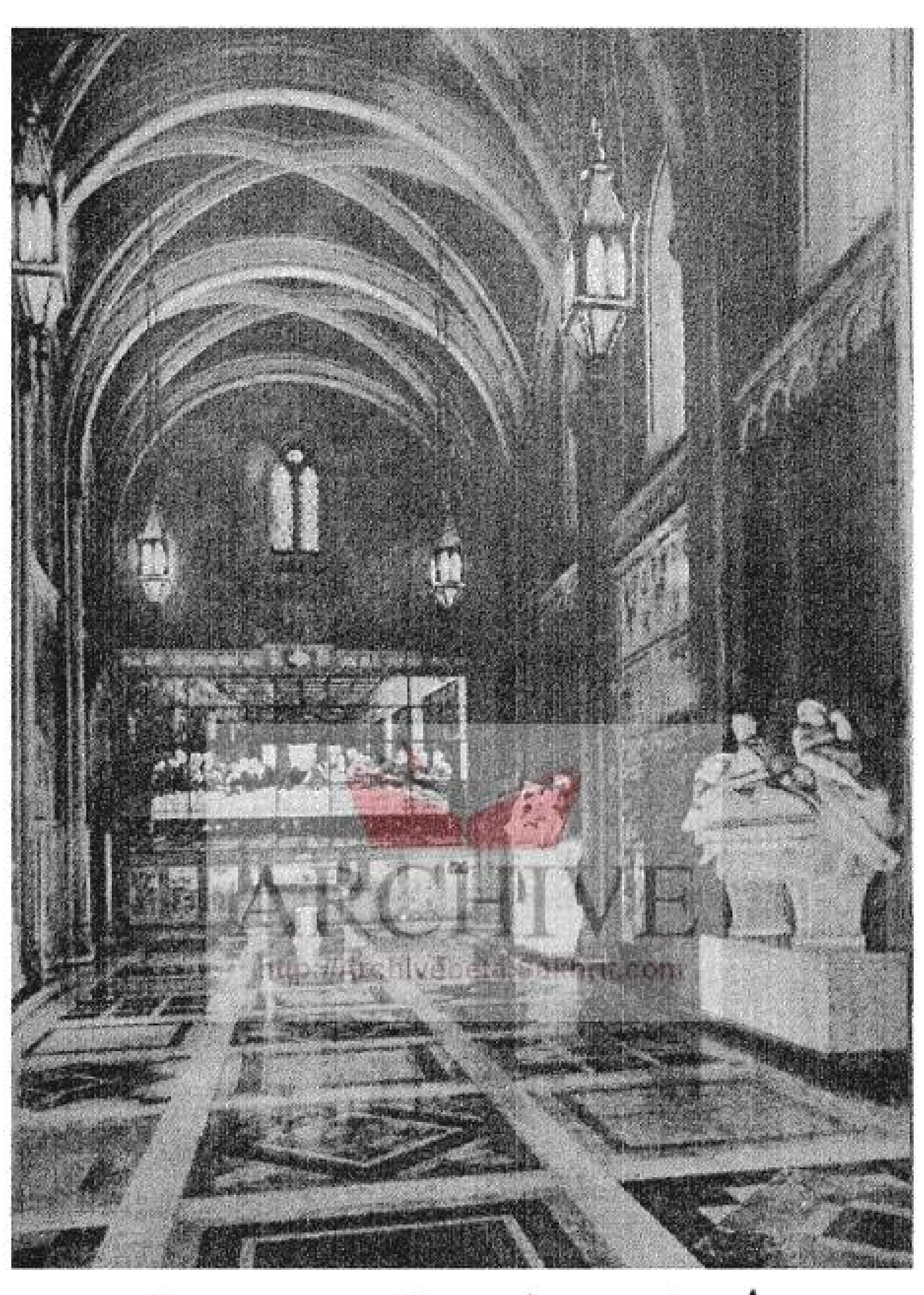




هذه أعجب مقبرة في الدنيا، اذا رأيتها ظننت أنك ترى قصراً منيفاً ومنفى جيلا . في جنباتها ترقد الشقراء الفاتنــة « جين هارلو » التي تبدو في الصفحة المقابلة

سـعادة الدنيا لما نالت الا شقاء ، وكارول لمبارد ، وقد قضت في حادث طائرة ، وسيدة السينما العجوز الوقور ماري درسلر ، وايرفنج تلبرج زوج نورما شيرر ، وتوم مكس ، ممثل رعاة البقر ، بل سيد ممثليهم ، ولون شاني

أولئك جميعا رقدوا فيها ، وهنالك سواهم سوف يرقدون في جنباتها ، فقـد ارتبط من ممثلي هوليوود مائة وعشرة على الاقل بالرقاد الابدي في تلك المقبرة ، أو في تلك « الجنة » . اختاروا مضاجعهم بين مغانيها ، فقد دفعوا جميعا اثمان قبورهم ، دفعة واحدة أو على أقساط ، ولا عجب في دفع الثمن أقساطا ، فقـد يبلغ ما يدفعه أحد الراغبين في المثوى هنالك ١٢٥ ألف دولار ، أي ثلاثـين ألفـا من الجنيهات . وهـو ثمن ضخم لقبر في التراب وضريح وتمثال من الرخام ، ولكنك تراه ضئيلا أو مناسبا ، اذا علمت أن اصحاب هذه المقبرة انفقوا فيها ٥٠ مليونا من الدولارات ، أي نحو اثني عشر مليونا من الجنيهات . وهو مبلغ على ضخامته لا يعدم من يدفعه ، فان اليد الميسورة ، وان كانت جامدة ، تلين اذا نديت العين وجرح



أهو بهو فى قصر منيف أم فى متحف كبير ؟ . . إنه جانب من أعجب مقبرة فى الدنيا . . به أضرحة وقباب وتماثيل تعد من آيات الفن الجميل

الفؤاد لحبيب مضى ، أو حبيب يمضى

وقد تسأل : هل يبقى الحب بعد دفن الحبيب ؟

اذن ، فاعلم ان النجوم كسائر الناس، قد يبقى حبهم ، وقد يضعف، وقد يفنى

خذ مثلا كلارك جابل ، ماتت عنه زوجته كارول لمبارد ، منذ اربع سنوات ، ومع ذلك تراه لا يفتأ يغشى مثواها بتلك الحديقة الفيحاء ، مخفيا عينيه وراء نظارة سوداء ، مخافة أن تنور بلابله،فتنحدر لثورانها مدامعه، وهو اذ يغشى المقبرة يقف لدى شىء أشبه ما يكون بمائدة من الرخام ، وما هى بمائدة ، وانما هى جثة فتاته الفاتنة فى جوف ذلك الرخام ، وقد كتب عليها فى بساطة « كارول لمبارد جابل ٦ أكتوبر ١٩٠٨-١٦ يناير ١٩٤٢» وهى كانت تحب الورد الاحمر،ومن أجل ذلك تراه يضع وردا أحمر فى زهريتين الى جانب القبر ، ثم يجلس أمامه ساعة أو نحوها ، ساهما ، مفكرا ، كأنه يصلى ، ثم يرتد الى الباب ، وئيد الخطا ، لا يكلم أحدا ، ولا يكلمه أحد

ومثل آخر .. فذلك وليم باول ، ماتت جين هارلو منذ تسع سنوات فى السادسة والعشرين، فبنى لها ضريحا فخما ، وحزن عليها حزنا شديدا عميقا ظن الناس معه انه لاحق بها ، ولكنه بقى . وشفى الزمان جرحه ، فتزوج من بعدها فتاة صغيرة جميلة ، هى ديانا لويس ، فأنسته السعادة المقبلة مدبر الشقاء ، وهو اليوم لا يزور قبرها الا بين الحين والحين ، متخفيا لكيلا يراه انسان ، ومع ذلك فبائع الزهر يزور قبرها كل يوم ليضع عليه زهرة كانت تحبها ، تنفيذا لامر الحبيب الذى أنسته الدنيا أحزانه

ومثل ثالث .. جون جلبرت بطل السينما الصامتة ، وقتيل السينما الناطقة ، ونزيل جريتا جاربو فى زواياتها ، وقسيمها فى مجدها ، يرقد رقاده الابدى بين اشجار الصنوبر ، ولا دليل عليه الا لوح من البرونز كتب عليه اسمه ، لا شىء سواه ، لا يزوره من الناس أحد ، ولا تزين قبره زهرة منذ زمن بعيد

وان يكن الاقربون نسوا هؤلاء الذاهبين ، أو هم فى سبيل النسيان ، فان الابعدين لم ينسوهم فى كل صقع من أصقاع الارض ، لحقيبة البريد التى تأتى كل يوم الى هذه المقبرة ، حقيبة هائلة شخمة ، يمتز بعضها نجوم هوليوود ، تلك النجوم التى لم تهو بعد الى الارض . وفى هذه الخطابات يسأل المعجبون والمعجبات عن فتيان وفتيات طالما فتنوهم وفتنهم على الشاشة طويلا ، ورجال المقبرة - وهم ٥٠٠ - قد اختص نفر منهم بأجابة السائلين والسائلات، والمتشوقين والمتشوقات، والمترحين والمترحات

الميرغني كما عرفته

بقلم الشيخ حسن مأمون

قاضي قضاة السودان السابق

ست سنوات قضيتها في خدمة السودانيين ، فما أحسست خلالها بأنني أخدم قوما غير قومي أو بلدا سوى بلدي ، وما مللت في أية لحظة عشرة السودانيين أو رغبت في مفارقتهم فما مصدر هذا الاحساس وما سبب هذا الشعور ؟!

أنا أعرف ان المصري تنطوي نفسه على محبة السودان وأهله ، وأن لكلمة السودان رنينا موسيقيا عذبا يدخل في الأذن ويصل منها الى القلب في سهولة ويسر ، وأعرف انني فرحت بالخدمة في السودان .. بيد ان هذا الفرح كان مختلطا بالخوف من المستقبل الغامض المجهول ، وطالما تردد في نفسي هذا السؤال :

ـ ترى هل يقدر لك النجاح في مهمتك ، وما عدتك في هذا النجاح ؟ فأنت مقدم على عشرة قوم لا تعرفهم ولا تعرف أخلاقهم وعاداتهم ، وعلى عمل جديد لا تعرف نظمه وقوانينه ولوائحه، علاوة على ان بعض الاصدقاء حذرني من السودان ، ومنهم صديق خدم فيه زمنا طويلا منعه مرضه من زيارتي ، فكتب الى ناصحا بأن أسمع أكثر من ان أتكلم . اذن سأكون مراقبا وستحصى على أقوالي وأعمالي

بهذه الروح القلقة الحائرة سافرت معتمدا على الله .. فما وصلت الخرطوم حتى وجدت المحطة غاصة بالمستقبلين من كبار المصريين والسودانيين، فكان استقبالا حسنا ، وفاتحة طيبة لحياة جديدة، حفاوة بالغة من مختلف الطبقات والهيئات تترك في نفس القادم أثرا جيلا وتزيل ما يشعر به من وحشة أو رهبة

وان أنس لا أنس انني في الاسبوع الاول من مقامي بالخرطوم ، استقبلت في البيت الذي نزلت فيه شخصية لها مكانتها وحرمتها في السودان ومصر، فقد أراد صديقي وأستاذي الحسيب النسيب السيد على الميرغني باشا ان يكرم في شخصي العلم والعلماء، وكنت أعرف كثيرا عن سيادته قبل وصولي الى الخرطوم ، فقد عرفت انه الزعيم الديني الأكبر في السودان ، وان

رجال « الختمية » يدينون له بالطاعة والاحترام ، وهم أكثرية عظمى فى مدن السودان وقراه

ولكن لم أكد أتشرف باستقباله وبالاستماع لحديثه العذب ، حتى وجدتنى أمام شخصية فذة قوية ، فالسيد لا يملأ عينك بقوة بنيته أو طول قامته ، فهو من هذه الناحية شخص عادي ، ولكنه يملأ نفسك اعجابا وتقديرا بحصافة رأيهوبالينبوع الفياض من المعارف والفنون الذى تلمسه فى حديثه ـ وخاصة ما يتعلق بالأمم الشرقية وعلاقتها بالأمم الغربية ـ وانك لتستمع اليه فتستوثق من نزاهة رأيه ، وتمضى الساعة تلو الساعة لا تحس بالوقت ولا تشعر بالزمن ، وتنتهى الزيارة بحصول وفير من الآراء الصحيحة فى أمهات المسائل . ولقد أحسست بما تضفيه هذه الشخصية على الناس من محبة واحترام ، وبأن ذلك لم يكن ناجما من نسب السيد الى آل البيت النبوى رضى الله عنهم ، ولا الى ما تتناقله الألسن عن كرامات منسوبة لجده السيد الحسن ، ولا الى ما عرف به بيت المراغنة من التقوى والصلاح ـ وان كانت كافية لان يولى جميع الناس السيد الكبير هذا الاحترام والتقدير ـ ولكن السبب المباشر لذلك فيما أرى يرجع الى ما أثر عن السيد من حنكة ودراية وخبرة بأحوال الناس



السيد على الميرغنى باشا

وقدرة على اجتذاب القلوب ، بحديثه الذى يصدر بدون كلفة أو تعمق وان كان مقدرا موزونا

ذلكم هو السيد على الميرغني باشا ، الذى تركت زيارته الاولى فى نفسى الأثر الذى تركته زياراتى المتكررة له فى بيته وزياراته لى فيما بعد ، تلك الزيارات التى كانت تتم فى هدوء وبساطة

والسيد على الميرغنى باشا شخصية محبوبة محترمة لهـا أكبر مكانة عند المصريين والسودانيين والبريطانيين ، يقدم فى الحفلات الرسمية على جميع السودانيين والمصريين ، ويجلس فى أول مقعد بجوار الحاكم العام ، لايحب الحفلات الصاخبة ولا يميل الا الى المجالس الهادئة الرزينة ، فهو المثال

الكامل للسودانى الصميم المتدين الذى يخدم وطنه كما يخدم مصر ، واذا كان مرضه فى الأيام الأخيرة قد حال بينه وبين الاشتراك فى الخلاف السياسى ، فانه لم يشأ ان يوجه اتباعه توجيها وطنيا معينا حرصا منه على ان تكون زعامته دينية خالصة . واذا كان أتباعه يدينون بوحدة مصر والسودان تحت تاج الفاروق أعزه الله ، كما يدين بذلك حزب الاشقاء ، فان ذلك يرجع الى ان سيادته لم يشأ حرصا على المصلحة العامة أن يتدخل فى الموضوع ويلزم أتباعه باعتناق مبدأ سياسى معين ، ولهذا بقى سيادته بعيدا عن المعترك الحزبى تضفى عليه شخصيته المهابة والاجلال ، ويدين له الكل بالاحترام

وقد توثقت عرى الصداقة والمودة بينى وبين اخوانى السودانيين فى وقت قصير ، لما أثر عن السودانى من حبه لمصر والمصريين ورغبته الصادقة فى الاتصال بجميع المصريين الذين يقدمون الى بلاده زائرين أو موظفين ، وفى تقديم كل ما يمكن تقديمه من مساعدة ومعونة . فكان لهذه المعاملة أكبر الأثر فى نفسى اذ أحسست بالاندماج فى السودان والتفانى فى حب الخير لاهله

وظهر هذا الاحساس فى كثير من الحوادث والمناسبات فزادت الروابط وتوثقت العلاقات ، وصار بيتى ومكتبى مقصدا للصغير والكبير . واتصل بى بعضهم اتصالا خاصا ، مكننى من معرفة كثير من العلل والامراض الاجتماعية والوقوف على آمال شعب ناهض يحب العلم والعلماء ، ويحب مصر ، ويدين لها بالمعونة والاخاء

حسين ماسرده

أشد العقاب

حكى أن سليمان الحكيم استعرض جنوده من الطير ، وغاب عصفور ، فلما جاء سأله سليمان أين كان ؟ قال : « يا نبى الله كنت فى سفر بعيد ، واشتدت الريح فلم يقو جناحى على مقاومتها الا بعد عناء ، فوصلت متأخرا » قال : « أقسم لأذبحنك » ، قال : « وأين حلمك ؟ » قال : « اذن فلأعاقبنك عقابا أشد وأنكى من الموت » قال : « وما هو ؟ » قال : « أضعك بين قوم لا يعرفون قدرك » !

لو عشنا بلا حب

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

ولم لا ؟

أظن انى على صواب — أو على الأقل غير مخطىء جدا — حين أقول ان العامة وأهل الريف لا يلغطون بالحب كلغط من نسميهم الخاصة ، وليس السبب فى ذلك ان العامة ومن اليهم تنقصهم الثقافة والصقل ، بل لعل السبب أنهم أقرب الى الفطرة أو الى الحياة الطبيعية ، وان حياتهم أخلى من القيود والتكلف وغير ذلك مما يؤدى الى الكبت ، وان لهم تقاليدهم وعاداتهم المرعية ، وعسى ان يكونوا أحرص عليها وأعظم تشددا فى التزامها وتوخى ما تقضى به من غيرهم من الطبقات ، ولكنهم مع ذلك ينظرون الى علاقة الجنسين نظرة مستقيمة بسيطة لا التواء فيها ولا تعقيد . أما الخاصة وأشباههم فقد جنى عليهم الشعراء ، وماحفت به حياتهم من مكاره التكلف . والشعراء قوم غاوون ، وضالون مضلون ، يوحون الى أنفسهم حالات غير طبيعية أو مبالغا فيها ، ثم يعودون فيهولون بها على الناس ، ويزينونها لهم ، ويوهمونهم انها هى الحياة الطبيعية المألوفة أو المنشودة ، ويفرحون بقدرتهم على تأليف الكلام واللعب بالالفاظ على نحو ما يفعل الحواة والمشعوذون . والى الشعراء يرجع « الفضل » ولا شك فى هذه « الهستيريا » الشائعة !

* * *

ما هو هذا الحب ؟ انه ليس أكثر من جوع من ضرب آخر غير الجوع الى الطعام . والجوع العادى شعور يدفع الى طلب الطعام ، وليس الطعام مطلوبا لذاته بل لما يفيده من القوة وما يبقى عليه من المحافظة على الذات . ومثله هذا الذى نسميه الحب ، فهو شعور يغرى رجلا بامرأة ، أو امرأة برجل ، وليس الرجل أو المرأة بالغاية المنشودة من هذا الشعور الدافع الذى نسميه الحب ، وانما الغاية هى استخدام هذا الشعور لاتصال الرجل بالمرأة اتصالا يؤدى الى التناسل ، أى حفظ النوع ، فالحب اذن أداة ووسيلة لادراك غاية . ولكن المتهوسين يعكسون القضية ويجعلون الأداة غاية ، ويطلبون الحب لذاته — على نحو القول بالفن

للفن — وينسون أو يتناسون الفرض منه ، ويدخلون على أنفسهم أوهاما كثيرة ، فيشتد تخليطهم وهراؤهم ، ويلهجون بألفاظ لا يفهمون لها معنى صحيحا ، أو قل انهم يغالطون أنفسهم فى معناها ، مثل الوفاء ! وهل رأيت محبا لايدعى الوفاء، أو شاعرا لايدعيه فيه ويجيد ؟ ومن سوء الحظ — أو حسنه ، من يدرى ؟ — ان الوفاء ليس فى الطباع ، وانه لا يكون الا عن افلاس وعجز ، وأنا أرجو من كل قارىء ان يسأل نفسه وان يخلص ويصدق فى الجواب فيما بينه وبينها : ألا تتطلع عينه الى غير من يزعم انه يحب ؟ ألا يرف قلبه لمرأى سواه ؟ ألا يشعر باشتهاء لانسان آخر ؟ انه قد يؤثر من يحب ، — بحكم العادةعلى الأقل — ولكن ايثاره له ليس معناه ان قدرته على الاشتهاء قد استنفدت، أو انه يعجز عن ادراك معانى الجمال أو المعانى التى تستهويه ، فى غير المحبوب ، الا اذا كان مغلق النفس محدود الأفق جدا . وليس الحب حين تغربله وتنخله وتصفيه ، وتنفى عنه ما علق واختلط به من الاوهام والخرافات والاضاليل ، الا اشتهاء محضا ، والاشتهاء لا يقف عند حد ، وقد تقول ان الكوخ الذى تملكهوتنفرد بالامر فيهخير من قصر لست بصاحبه، ولكن هذا كلام العجز الذى لا ينفى انك تتمنى ان تكون صاحب القصر ، وانك متبرم بكوخك الآن بعد ان كنت فرحا به يوم أقمته

وليس هذا برأى جديد أراه اليوم، فانه هو رأيى من قديم الزمان ، ومن قبل ان أرشد وأكف عن قول الشعر . وقد نظمت يومئذ قصيدة سميتها « مساعدة غرامية » ليس فيها كبير معنى ، ولكن فيها هذه الابيات :

هذه كفى على «خون» العهود !
لا على «الرعى» فهذا لا يكون
انها دنيا كذاب وجحود
ولصدق النفس أولى لو يهون
هذه كفى على وشك الملال
كل نار سوف يعلوها رماد
آه ، لو أسطيع تصديق الخيال
أو يكون الجهل شيئا يستفاد

وأنا أذهب الى ماهو أبعد من ذلك، وأقول ان هذا الحب الذى يصدع به الشعراء رؤوسنا مظهر عجز ، وأكاد أقول مظهر انحطاط ، وليس يصدنى عن هذا القول الا الترفق بالقراء الذين حشيت رؤوسهم بالهراء ، أو الذين يعجزون عن اخلائها منه وتنظيفها وتهيئتها لتقبل الحقائق . ويجب أولا ان ننحى هذه الهالات الخادعة التى يحفون بها الحب ، وان نقرر كما أسلفت ان الحب ليس الا اشتهاء محضا ، والاشتهاء يتعدد ويتنوع ويتفاوت فى الاحوال المختلفة ، وليس

يمنعك اشتهاء شيء بعينه ، ان تشتهى سواه غدا أو بعد غد ، بل فى نفس الوقت . ولنفرض انك رجل وانك أحببت امرأة ، ومعنى انك أحببتها هو انك تشتهيها وتشعر انها أوفق لك وأولى من غيرها بك ، ولكنك فى نشوة هذا الشعور تنسى ان فى الدنيا ـ دنياك نفسها ـ غيرها ، وتنسى ان هذه النشوة ستفتر بعد حين ثم تزول، وان نفسك ستتطلع، وعينك ستزوغ، وتدور وتتلفت ـ هذا اذا لم تدر عينيك فى الساعة الاولى ـ وتروح تغالط نفسك فى هذه الحقائق وغيرها، وليست هذه المغالطة مما يدل على انك مالك لزمام عقلك ، أو انك محتفظ بصحة ادراكك . فأنت حين تحب تكون فى حالة ضعف أو عجز . والحقيقة ان الحب لا يكون الا فى فترة تضعف فيها مقاومة النفس ، كما يضعف البدن فتتغلب جرثومة المرض

ثم ان الحب وسيلة لغاية ، هى حفظ النوع ، فمعنى انك تحب هو ان الحياة استطاعت ان تسخرك لغايتها وهى بقاء النوع ، وليس فى هذا ما يغض من قدرك أو يطامن من شأنك ، لأنه لا يسعنا الا ان نخضع لقانون الحياة الذى ما وجدنا الا بفضله ، ولكن هناك فرقا مبينا بين ان تحب وأنت مفتوح العين على حقائق الحياة ، وان تحب وأنت مغمض العين عن هذه الحقائق . ففى الحالة الاولى تكون محتفظا بصحة ادراكك ، ومتى احتفظت بها فأنت قادر على الاحتفاظ باتزانك ، أى على ضبط نفسك ، وعلى النظر النافذ الى اللب والجوهر ، وحينئذ تستطيع ان تتبين ان المرأة التى تحبها ليست أكثر من امرأة تفضلها على سواها ، أو امرأة راقتك ووقعت من نفسك ، وأنت فى حالة نفسية معينة . وتستطيع ان تدرك ان من الهراء ان تقول ان هذا النوع من الجمال هو الذى يسبيك دون غيره ، وانه سيجىء وقت آخر تحب فيه نوعا آخر ، وتستطيع ان تصارح نفسك بأن حبك لها لا يمنع ان تحس بحنة الى سواها أو باشتهاء غيرها ، وانك ستملها كما تملك هى ، وانك على كل حال لست الا أداة تسخرها الحياة لادراك غايتها

أما فى الحالة الثانية فأنت آلة عمياء جاهلة لا تفهم ولا تدرك شيئا ، ولا تدرى ما هى صانعة ، فلا فرق بينها وبين اية آلة يصنعها الانسان

وبعد فأحبوا اذا شئتم ، فما لنا عليكم سلطان ، وعسى أن لا يكون لنا سلطان على نفوسنا الا بقدر ، ولكن بالله أعفونا من الصداع ووجع القلب الذى يورثنا اياه هذا الهراء الغث الذى يقال عن الحب

ابرهيم عبد القادر المازنى



بقلم السيدة أمينة السعيد

كانت صغيرة جميلة رقيقة .. فى شعرها المسترسل حلكة الليل ، وفى عينيها الواسعتين طهارة الملائكة ، ولصوتها الناعم رنة عذبة ، فأعجبت بها ، واصطفيتها صديقة من بين رفيقات دراستى ، ووجدت فى خضوعها لأحكامى ، وامتثالها لأوامرى ضعفا أشبع غرور طفولتى ، وملأنى بقوة جارفة !

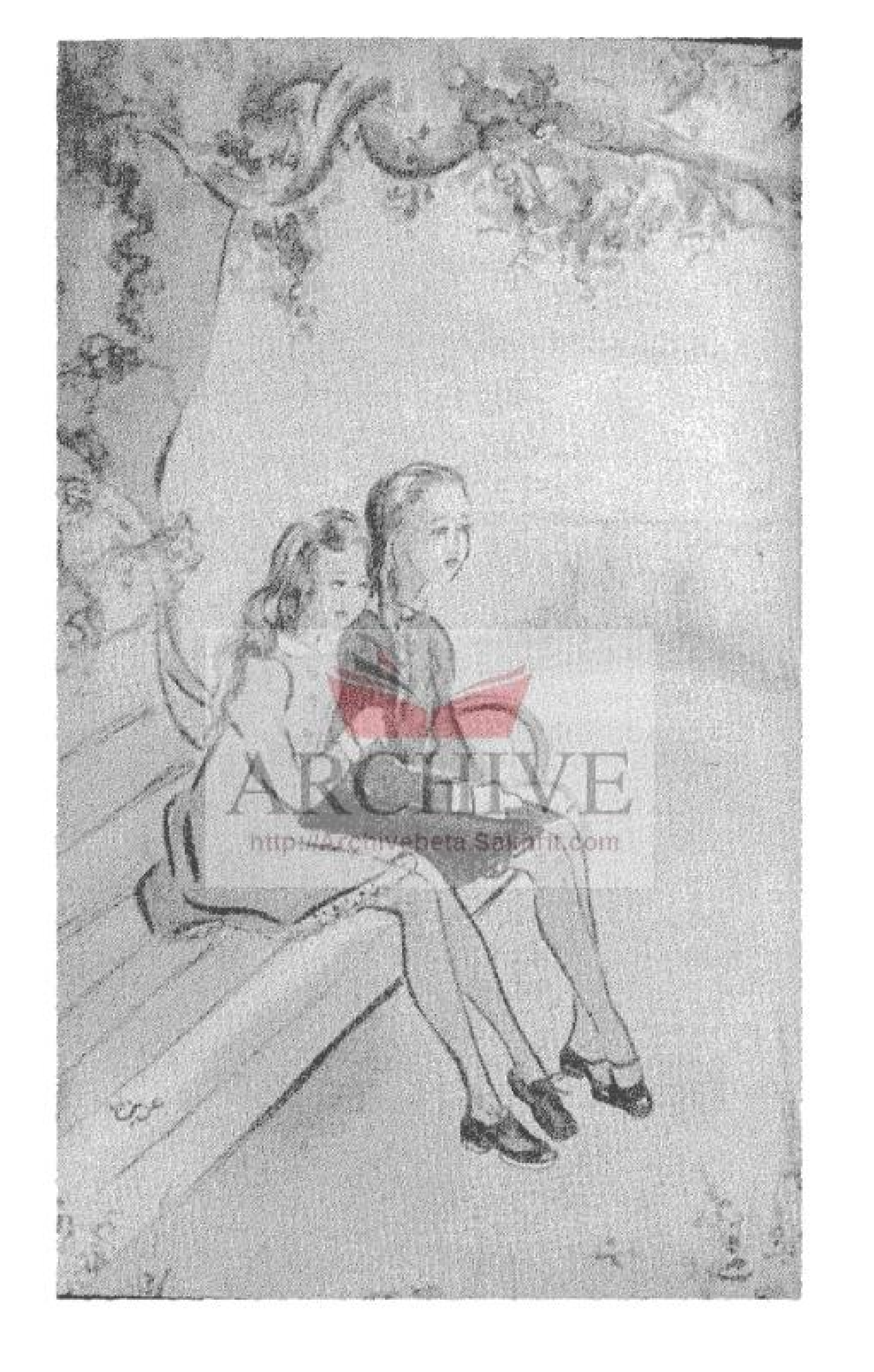
وتقدمت بنا الأعوام ، فودعنا الطفولة معا ، واستقبلنا فجر الشباب جنبا الى جنب ، ثم آن لنا ان نفترق ، فتوقفنا لحظة ، اتجهت بعدها كل منا الى الطريق الذى رسم لها فى هذه الدنيا .. واستأنفت المسير وحيدة نحو غاية علمية أنشدها ، أما هى فقد لزمت البيت مبكرة فى انتظار زواج يسعدها ، ويصون جمالها من شرور الحياة !

لم أرها بعد ذلك ، وان ظلت أخبارها تواتينى على مر السنين ، ومن هذه الاخبار عرفت عنها الكثير : فقد وفقت الى زوج غنى بماله وشبابه ومكانته ، فبرزت فى المجتمع ، وزينت صفوفه الاولى ، وصانت نفسها من شوائب المدنية الحديثة ، فتغنى الناس بطيب سيرتها

وكنت أصغى من ركنى البعيد الى أحاديث الاصدقاء عنها وتغنيهم بسيرتها ، فأبتسم راضية مغتبطة ، ثم أغمض عينى لأتخيل رفيقة طفولتى فى حالتها الحاضرة : جمال وعفاف ! والله انها للوحة زيتية نادرة ، أتمثلها رائعة أمامى كما لو أن ريشة أعظم الفنانين قد خلدتها !

ولسبب لا أدريه ، خفتت أحاديث الاصدقاء عنها شيئا فشيئا ، حتى غدت صمتا مطبقا ، ثم بدأ الهمس يتواتر ويشتد ، فاذا ضجيج كريه مغاير لما تغنى به الناس فى الماضى من طهرها وعفافها !

وقفت بين النقيضين حائرة ، أفكر فى الخلق البشرى ، وأعجب لتقلباته الغامضة . وساءلت نفسى كثيرا عن السر الذى يعبث بالقلب ، فيفسد صفاءه ، ويذهب بنقاوته ، ويقلب حياة صاحبه رأسا على عقب . وطال بى التساؤل ، فتعبت قبل ان أصل الى رأى أو نتيجة ، وشغلت بأمورى عن الاهتمام بأمورها ، فتباطأت صورتها



متصدة حتى اختفت عن فكرى وراء غيوم النسيان !

ومرت الأعوام .. وذات ليلة من ليالى الشتاء القارسة جلست بجوار الموقد أصطلى وحيدة مفكرة ، وكل من بالبيت نائم ، فحملنى التفكير الى عالم الذكريات ، وتتابعت أمامى صور الماضى بحلوها ومرها ، فاستعرضتها صورة صورة ، تارة باسمة ، وتارة حزينة واجمة !

وفجأة عكر السكون حولى رنين جرس الباب ، فهربت الذكريات مرتعدة خائفة ، وتركتنى لحاضرى مرة أخرى ، فعجبت للطارق المتأخر ، وضايقنى تطفله فى مثل هذه الساعة ، وقمت الى الباب متثاقلة ، وما زالت امارات الغضب بادية على وجهى

وجدت صديقتى القديمة واقفة أمامى كطيف جميل .. ها هى ذى كما عرفتها فى الماضى مع تغيير بسيط : كانت قامتها كما عهدتها فارعة رائعة ، وشعرها المسترسل ما زال فى حلكة الليل . أما عيناها الواسعتان فقد هجرتهما طهارة الملائكة ، وتلاعبت فيهما نظرات مرحة خبيثة . وانتشرت حول فمها الدقيق خطوط رفيعة تنم عن السخرية بالدنيا والاستهتار بالحياة !

وجلسنا أمام الموقد فى سكون ، وطال بنا الصمت ، فاختلست نظرة الى وجهها ، فرأيتها تتأمل اللهيب شاردة اللب حزينة ، وكأنها أحست بتأملى فيها ، فرفعت رأسها ، ونظرت الى باسمة وقالت : أتدهشك زيارتى؟!

قلت : بعض الشىء !

قالت : لقد تذكرت اليوم صداقتنا القديمة ، فشعرت بحنين شديد يدفعنى الى رؤيتك !

قلت : فاخترت هذه الساعة العجيبة للزيارة !

فقهقهت متضاحكة وقالت : أليست الحياة كلها أياما ، فأى فرق اذن بين ليل ونهار ؟!

قلت باسمة : والله انها فلسفة جديدة لم أعرفها من قبل !

وأحست فى لهجتى رنة السخرية ، فزايلها مرحها المصطنع ، وعادت الى صمتها من جديد ، وراحت تتأمل النيران فى سكون .. وأشفقت عليها مما يدور فى ذهنها ، فانبريت للحديث ثانية

سألتها قائلة: وماذا تفعلين الآن؟

قالت : ما يفعله الطير الحائر : أنتقل من دوحة الى دوحة ، ومن فنن الى فنن .. أهبط على كل زهرة ، وأتذوق كل طعام .. وقد يكون هذا الطعام حلوا فأستسيغه ، وقد يكون مرا فأغص به .. حتى اذا تعبت وأنهكنى الطعام والطواف ، آويت الى عشى فترة قصيرة ، لأهضم ما التهمته ، وأستعرض ما مررت به .. ثم يبدأ الرحيل من جديد !

قلت : ومتى تكون خاتمة الطواف؟

قالت : عندما يذهب شبابى ، ويذبل جمالى، وتجف حيويتى وروحى!

قلت : سمعت عنك شتى الاحاديث!

قالت : وليس فيما سمعته شىء من المبالغة !

قلت : وكيف تغيرت صديقتى القديمة ؟

قالت : والله ما تغيرت أبدا ، فأنا من عرفتها فى طهارة الملائكة، وأنا من عرفتها أبعد مايكون عن طهارة الملائكة، فالفضيلة والرذيلة توأمان فى كل قلب بشرى ، الاثنتان تعيشان فيه جنبا الى جنب ، فلا يفصل بينهما غير خيط رقيق أوهى من خيوط العنكبوت . وقد يمتد اصبع القدر الى هذا الخيط فيقطعه ، اذ ذاك تختلط الاثنتان وتطغى احداهما على الأخرى ، والسعيد فى هذه الدنيا من أغفله اصبع القدر !

قلت : حدثينى بقصتك ..

فاعتدلت فى مقعدها وتأملت النيران كأنها تستمد القوة والوحى من لهيبها، وأطلقت زفرة خافتة ثم قالت :

عرفتنى فى الماضى رفيقة لطفولتك وفجر شبابك ، ولكن معرفتنا لم تتعد حدود المدرسة بأسوارها العالية ، ولم تقترب من الحياة المنزلية أو تتغلغل فيها .. ولا أظنك فقدت بذلك شيئا كثيرا ، فلو طرقت بيتنا وقتئذ ورأيته من جميع نواحيه ، لما وجدت فيه أمرا جديدا ، فقد كان بيتا عاديا ، تسير الحياة فيه كما تسير فى آلاف غيره من بيوت الطبقة المتوسطة: سياسته سياستها ، ومنطقه منطقها ، وشرعته شرعتها ، فالأب رجل هرم ما زال يعيش بين طيات الجيل الذى ولد وترعرع فيه ، والأم مثله تماما وان صغرت عنه بسنوات !

كنت الابنة الوحيدة ، فعنى والدى بتربيتى كما تقضى تقاليده وعاداته ، وأنشأنى كما يجب ان تنشأ الفتاة الشرقية الحيية ، فكانت المدرسة نزهتى الوحيدة ، وكتب الدراسة كل ما أقرأه . لم يكن يسمح لى بالخروج أو الاختلاط ، ولم يكن يرضى برؤية جريدة أو مجلة فى يدى ، ولم يكن يحتمل سماع مناقشة منى ، ولا يطيق رغبة أبديها فى الاعتماد على نفسى ، فالفتاة المثلى فى اعتقاده هى التى تعيش منذ ولادتها ساجدة فى محراب الأبوة، تأتمر بأمر والديها ، وتنظر بعينيهما ، وتحس بإحساسهما، وتفكر بذهنهما، وتسمع بآذانهما ، وتعيش أبدا بين جدران عالية ، تفصل بينها وبين أمواج الحياة ، حتى اذا حان وقت زواجها ألقى بها الى رجل يحمل مسئوليتها ، ويقوم بواجب رعايتها وحمايتها !

نشأت فى هذا الجو وترعرعت فيه، واعتدت منذ نعومة أظفارى ان ألبى كل أمر يصدر الى ، وان آكل كل

طعام يقدم الى ، وان ألبس أى ثوب يشترى لى .. ومنذ كان الغير يتولى أمر نفسي ويقوم عني بكل صغيرة وكبيرة ، ماتت ارادتى ، وانمحت شخصيتى ، وقصر تفكيرى ، واختفت الحياة عن ناظرى وراء ستار مزركش جميل ، لا يتصل بالواقع من قريب أو بعيد !

ومات والدى ، وتركنى لرعاية أمى وعنايتها ، فلما بلغت الخامسة عشرة من عمرى رأت ان تمنعنى عن المدرسة ، وتحجبنى بين جدران البيت فى انتظار الزوج المنشود . وانتشر خبر جمالى وتناقلته ألسن الأصدقاء والاحباب ، فتقدم الى خطبتى شاب من الطبقة الراقية ، يملك مالا كثيرا وشبابا نضيرا . ورضى فى سبيل الجمال أن يتزوج من فتاة لا يعرفها ، فينزل بذلك الزواج درجة عن مستواه الاجتماعى

وهلل الكل فرحا بالشاب ، وقبلوه طربين مرحبين ، واتفقوا معه على كل شىء ، وأنا قابعة فى حجرتى ، أترقب البت فى مصيرى ، وأنتظر الساعة التى تأمرنى أمى فيها بالذهاب الى بيته .. لست أشكو أو أعترض على اغفالهم رأيى فى الزواج ، فما كان لهذا الرأى قيمة ، وقد اعتدت ان أعيش بلا رأى . ولو أنهم خيرونى لقبلت فى الحال ، ورضيت فرحة كما فعلت أمى ، فقد تعلمت منذ الطفولة ان الزواج هدف الفتاة الوحيد ، ومصيرها الاسمى الذى تفخر به على الأخريات !

وجاءت الساعة المرتقبة ، فأقيمت الافراح ودقت الطبول ، وخرجت من بيتنا ذات ليلة ، لأحتل بيتا جديدا ، وأعيش فى ظل رجل تضمنى واياه أقدس روابط الحياة !

وأحببت هذا الرجل بكل ما أوتيت من قلب واحساس وشعور ، وامتلأت حياتى به بهجة وحبورا ، فعرفت للمرة الاولى لذة الحب ومعانيه السامية ، وشعرت بلهيبه الحلو الذي يحرق قلوبنا ، فلا نكاد نحس بحرقته لفرط انتشائنا ولذتنا .. وغدا بيتنا جنة فيحاء ، يسودها الجمال ، وينتشر بين جوانبها عطر قوى جذاب .. ولم يكن هذا الجمال جمال المسكن والرياش فحسب ، ولم يكن العطر عبير الزهور الغالية المكدسة فى الحجرات ، بل كان جمال الحب الخالص الذى يربطنا ، وعبير العاطفة المتأججة التى تلهب قلبينا ، وتضفى على حياتنا نورا ساحرا !

ومضت الايام وأنا فى غيبوبة من السعادة ، لا أكاد أرى من الدنيا غير رجل واحد عبدته وقدسته .. ثم بدأت النشوة الاولى فى الزوال ، فهدأ قلبى بعد ثورته ، واستعدت بعض الحس ، فاتزن رأسى ، ورأيت الحياة حولى بوضوح . وجدت اننى أعيش فى وسط جديد ، امتزج فيه بأناس

يختلفون تمام الاختلاف عمن اعتدت رؤيتهم قبل الزواج .. أناس لهم في السلوك والمبادىء والعادات دستور لا أفهمه ! سألت زوجي عن فلسفة هذا الدستور ومعانيه ، فنظر الى مشفقا وقال : « أنت بلهاء » !

وسكتت صديقتي القديمة قليلا ثم قالت : أتذكرين كيف كنت أيام الطفولة أنقاد اليك ، وأنفذ أوامرك ، فأنال عقاب المدرسين ؟

قلت : أذكر تماما !

قالت : كنت دائما ضعيفة الشخصية ، سهلة الانقياد ، ولذلك صدقت زوجي في الحال ، وتقبلت حكمه قضية مسلمة ، فهو يعرف الحياة أكثر مني ، وله في المجتمع خبرة لم تتوافر لي ، ولكني خشيت ان يصبح « بلهى » مدعاة لنفوره مني يوما من الأيام ، فعقدت العزم على التخلص من هذا البله ، والارتفاع الى مستواه ومستوى أصدقائه الكثيرين ، فوقفت أرقب الجميع بكل ما أوتيت من ذكاء ، لأقول ما يقولون ، وأفعل ما يفعلون ، وأومن بما يؤمنون ، ونجحت في محاولتي كل النجاح ، فلم يمض وقت طويل حتى تعلمت الرقص ، وشربت الخمر ، وأتقنت فنون الحديث والدعابة ، فازداد زوجي تعلقا بي ، وتضاعف احترام أصدقائه لي !

ولم أجد في سلوكي الجديد ما يشينني أو يخجلني ، فقد كان قلبي طاهرا نبيلا ، لا يعرف غير حب جارف أحمله لزوجي ، وأمانة مطلقة للروابط التي تجمعني به ، ومع ذلك شقيت بعض الشيء ، وكانت أمي مبعث هذا الشقاء ، فعند ما رأت تطوري الاجتماعي الجديد ، تغضن جبينها الكريم ، وارتسمت عليه آيات الأسى العميق ، وظلت تعاتبني وتراجعني ، تارة في هدوء ورفق ، وتارة في شدة وسخط ، فلم أعر عتابها اهتماما ، فزوجي راض عن حالي ، وعلى المرأة ان تعيش من أجل زوجها فقط !

وحدث ذات يوم ان دعونا أصدقاءنا الى وليمة غداء ، فأقبلوا علينا مبكرين . وامتلأ البيت بهم عند منتصف النهار ، فقدمنا اليهم بعض الخمر لتنبيه شهيتهم ، وشاركتهم في قليل منه كالعادة . وفجأة تردد رنين جرس الباب ، ثم دخلت أمي متهادية باسمة ، فما كادت ترى الكأس في يدي حتى انقلبت سحنتها ، وازرق لونها ، وتلاعب الشر في عينيها ، فاستدارت عائدة من حيث أتت ، وقالت وهي تنصرف : أتشربين الخمر وكلام الله يتردد في أذنيك ؟ قبحا لك من ضائعة !

تنبهت بكلماتها الى أمر غاب عني من قبل ، فقد كانت الوليمة يوم الجمعة ويبدو ان أحد الاصدقاء فتح المذياع ، فتردد صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة ، ولكننا لم ننتبه لفرط ضجيجنا

ومرحا ، فاسترسلنا فى الشراب ، وهو ينادى بالصلاح والفلاح !

هزنى هذا الحادث الصغير، فجلست فى تلك الليلة وحيدة ، أفكر فى حديث أمى وغضبتها : لقد لقبتنى «بالضائعة» لأننى أحاول ارضاء زوجى بانتهاج سياسته وسياسة مجتمعه .... وهو يلقبنى « بالبلهاء » ، لأننى لا أتقن تلك السياسة كما يجب ، فأيهما أنا؟ أأنا البلهاء أم الضائعة ؟ بين الكلمتين فارق عظيم ، يستحيل معه التوفيق بينهما ، فعلى ان أختار واحدة منهما، وأقنع بها راضية ! أيهما أكون ؟ أمى تريدنى بلهاء ، وأمى عجوز لا تعرف من أمور الدنيا شيئا ! وزوجى يريدنى ضائعة ، وهو ابن المجتمع وربيبه الأمين ، ثم انه شريكى الوحيد فى الحياة ، فان أردت الابقاء على سعادتى وحبه فلأفعل ما يريد ، وأصم أذنى عن عويل الأمهات ، فما وراء هذا العويل غير خيبة الزواج كما يقولون!

ولم يطل الصراع بى حول هذه النقطة ، اذ ماتت أمى بعد زمن قصير ولم يبق لى من يحاسبنى حسابا عسيرا أو يسيرا ، وخلا الميدان الا من بطل واحد، فتبعت هذا البطل راضية مختارة!

* * *

وسكتت صديقتى القديمة عن الحديث ، وراحت تتأمل النيران بعينين مغضبتين وجبين يتقلص ألما . وكنت فى شوق شديد الى سماع بقية القصة، فمرت على لحظات سكوتها دهورا طويلة ، فجعلت أستحثها على الاستمرار فرفعت رأسها وقالت : فى يوم نحس مشئوم كشفت فجأة ان زوجى يخوننى مع صديقة من جاعاتنا ... لا ... لا تسألينى كيف عرفت الأمر ، فلن تقنعنى قوة فى الوجود بأعادة التفاصيل ثانية ، فقد تعذبت من أجلها كثيرا ، ولا أريد ان أتعذب بذكراها مرة أخرى

لم تكن تلك المرأة على شىء من الجمال .. ولم تكن على قسط ولو ضئيل من خفة الروح والدلال .. كان كل ما فيها ينطق بالقبح والفجور والاستهتار الذى يحرك الشهوة الرخيصة فى صدر أعزب محروم ! ولم يكن زوجى أعزب ، ولم يكن محروما، فبدا لى فى تصرفه هذا مثل ذبابة نهمة لا تعاف الهبوط على القمامة بعد تذوق الشهد !

كانت خيانته صدمة عظيمة غير متوقعة ، وطعنة نجلاء وجهها الى قلب ينبض بحبه فقط ، بل لطمة شديدة لكبرياء أعتز به .. ولو كانت هذه المرأة تفوقنى فى ناحية ما ، لعذرته فى تصرفه .. ولو كانت تماثلنى فى خلة واحدة ، لغفرت له زلته ! ومع ذلك بحثت له عن عذر ، فأخفقت، وتلمست له فى نفسى غفرانا ، فما وجدت شيئا

منه ! وضاعف غيظي جهله بما عرفت من أمره ، واستمراره في لعب دوره المزدوج الممقوت

يقولون ان مأساة الحب ليست في الفراق ، وانما في موت العاطفة وخمود لهيبها .. هي حقيقة لا تقبل الشك، فالفراق يشحذ سنان الغرام، ويضاعف سعير نيرانه ، ويصوره أحيانا في صورة أسمى وأجل من الحقيقة ، فيعيش الانسان بذكراه ، ويستمد من هذه الذكرى شتى ألوان الوحي والخيال . ولكن موت الحب قاس مرير ، يخلف في القلب جثة هامدة ، تنقلب سريعا الى جيفة نتنة ، تنشر في الجسد أخبث أنواع الجراثيم والامراض!

مات حبي لزوجي في لحظة خاطفة، وخلف وراءه تلك الجيفة الخطيرة ، فأفعمت نفسي احتقارا له وحقدا عليه، وانحصر ذهني في البحث عن طريقة أرد له بها لطمته ، وأعيد الطعنة الى صدره .. وبرغم ثورتي الجنونية لم أفاتحه ، ولم أتحدث اليه في الامر ، فقد زالت الغشاوة عن عيني ، ورأيت بوضوح آيات خداعه ونفاقه وخياناته منذ زواجنا حتى هذه الساعة ، وهي آيات طال اختفاؤها عني في غمرة حبي الاعمى الجنوني ! وكبت آلامي بين جوانحي ، وعشت معه أياما ألبي مطالب الزوجية في رضا ظاهري ، وفي اشمئزاز داخلي ، يقلب امعائي ، ويدفعني الى الغثيان !

وفي لحظة تعسة يائسة أتاني هاتف بالانتقام الذي أبحث عنه .. كان الهاتف صوت صديق من أصدقاء زوجي ، طالما أسمعني عبارات اعجابه الرخيص ، وطالما أمطرني بوابل من نظراته الشريرة . واستقر رأيي في الحال على أن أنتقم ، فأفعل بزوجي ما فعل بي ، وأطعنه في غفلة منه كما طعنني في غفلة مني . وعزمت على ان أكون عادلة في انتقامي ، فأرقبه بدقة وحذر ، لأرد له بالقسطاس كل ضربة يكيلها لي ، فلا أضرب مرتين مقابل مرة ، ولا أجتزيء بواحدة عن اثنتين .. سيكون وفائي رهين وفائه، وسلوكي وقفا على سلوكه ، وانتقامي بقدر اساءته وطغيانه !

وسكتت صديقتي مرة أخرى ، فرأيت عينيها تغرورقان بالدموع ، ووجهها يفيض بالألم بعد الحقد والغضب . قالت : عندما أذكر ذلك اليوم يتفطر قلبي ، فأستمطر لعنات السماء على الساعة التي ولدت فيها .. عدت الى البيت بعد انتقامي الاول، وأنا في أشد حالات الحزن واليأس والندم وأقساها .. شعرت ان آثام الدنيا تتراكم فوقي ، فتغمرني من الرأس الى القدم، وان ابر العالم كلها تخزني فتدمي قلبي وضميري ..

حاولت أن أتخلص من تلك الآثام فأبت أن تتركني . أردت أن أهرب

من ضميري فطاردني ملحا . عشت في جحيم ، وولت الراحة عن نفسي ، وأحاطت بعيني هالة سوداء .. وفي غمرة هذا العذاب النفسي ، هانت خطيئة زوجي ، فغفرت له خيانته ، وألقيت المسئولية على عاتقي، وأقسمت ان أكفر عما فعلت مابقى لي من الحياة، وان أكون لمن أساءني مخلصة وفية . كنت في تلك اللحظة أقف عند الحد الفاصل بين الخير والشر ، في انتظار ان يأخذ زوجي بيدي الى هذه الناحية أو تلك ، ولكن الاقدار أبت أمرا كنت أتمناه !

* * *

عاد زوجي الى غوايته وخياناته فثرت وغضبت ، ولكني لزمت الحكمة ففاتحته وأنبته ، وناشدته باسم الحب والزوجية ان يرعوى ، فنظر الى ساخرا ، وقابلني ببرود وقحة ، وخيرني بين قبول الواقع أو الخروج من البيت !

كان الخروج أيسر الحالين ، ولكن الى أين ؟ لقد مات والداي ولم يتركا لي ما أعيش منه ، ولست أصلح لحرفة أرتزق منها ، فهل أخدم في البيوت ، أم أتسول في الطرقات ؟! .. تمثل لي شبح الفقر المخيف ، وتخيلت ما يجلبه من ألوان الذل والمهانة !.. فثرت على نفسي لعجزها عن الخلاص، وثرت على زوجي لأنه أشعرني بعجزي عن تركه! ومثل أسد يائس جريح اندفعت الى انتقامي الثاني !!

وتكررت خيانات زوجي ، فتكرر انتقامي ، وفي كل مرة كنت أعود الى البيت حزينة نادمة باكية ، ثم تضاءلت آلام نفسي على مر الزمن ، وهانت الخطيئة في نظري شيئا فشيئا ، ومات احساسي ، فلم أعد أشعر بشيء مما يؤلم الضمير . وتطور الأمر بعد ذلك ، فبدأت أجد بعض اللذة في الهبوط على القمامة بعد تناول الشهد!

وانتهت صديقتي من قصتها ، فحزنت من أجلها ، وأردت ان أرشدها الى مخرج مما هي فيه ، فقلت لها : اتركي هذا الزوج حالا ، فحياتك معه شر وإثم

فتضاحكت هازئة وقالت : تركته منذ عام مضى ، اذ طلقني عند ما ضج الناس بالحديث عني

قلت : أي عذر لك فيما تفعلين اذن ؟

قالت : عذري انني اعتدت هذا الطريق ، وأصبح السير فيه جزءا من حياتي،ولم تعد بي قدرة على النكوص!

وعبت واقفة ، وانصرفت من البيت مسرعة .. وقد نسيت أن تقرئني السلام قبل رحيلها !

أمينة السعيد

هذه قصة لينين ، زعيم روسيا الاكبر ، هادم عرش القياصرة ، وأخطر رجل قام بمغامرة سياسية وثورة هائلة في القرن العشرين

أخطر رجل فى القرن العشرين

بقلم ستيفان زفايج

كانت سويسرا جزيرة السلام الصغيرة وسط خضم القتال الذى تدافعت أمواجه على شواطئها من كل جانب طوال سنى الحرب العالمية الاولى . ففى جزيرة السلام هذه وقعت حوادث قصة بوليسية كثيرة المناظر كثيرة المفاجآت ، ففى فنادقها الفاخرة كان رسل الدول المتحاربة يمر بعضهم ببعض غرباء متجافين لا يتبادلون نظرة أو تحية ، وهم الذين كانوا منذ عام واحد يلعبون الورق معا على الصداقة والود ، ويتبادلون الدعوة الى موائد العشاء الحافلة وحفلات

ستيفان زفايج أديب نمسوى ، كتب عدداً من التراجم الجيدة مزج فيها أسلوب الاديب وخياله بتحليل العالم النفسى . وقد هاجر من النمسا عندما غزتها النازية وأوى الى أمريكا الجنوبية حيث مات منتحراً فى أثناء الحرب الاخيرة

الليل الساهرة . وكان هؤلاء الرسل صنوفا من الناس غامضين مبهمين ، ما بين وزراء وموظفين ، وماليين وصحفيين ، وسيدات ، سافرات ومحجبات ، وشبان وشيوخ ، وكلهم يقول انه جاء ليستمتع بمشاهد سويسرا الخلابة ، بعيدا عن ساحة الحرب وحلبة السياسة !.. ولكن المحقق أنهم جاءوا جميعا لغرض واحد ، هو ان يتجسسوا فى هذا البلد المحايد ، الذى ضم الاعداء جميعا ..

وزيوريخ - هذه المدينة السمحة الهادئة - صارت ساحة خطيرة للدسائس والمكائد ، تطوف بها عصابات التجسس ، تستقط الانباء ، وتبذل الوعود ، وتكتسب الاصدقاء والحلفاء ، وتكيد للخصوم والاعداء .. وتسلل رجالها ، ونساؤها ، الى كل مكان ، لتراهم فى ارجاء الفنادق ، وعلى موائد المقاهى ، وفى مكاتب البريد ، وفى ساحات الرياضة .. ليسترقوا السمع

وليرقبوا الاعداء والاعوان على السواء لعلهم يقفون على نبأ ما .. وكانت النساء فارسات الميدان ، فقتحن قلوبا كان يجب أن تبقى مغلقة ، وأطلقن ألسنة كان مفروضا أن تظل معقودة، وألبسن الجاسوسية ثوب الفتنة ، وخلعن على الخيانة ثوب الحب والغرام!

كل شيء في زيوريخ وكل انسان كان مراقبا ، ما عدا رجلا اجنبيا واحدا كان منطويا على نفسه ، معتزلا الناس ، لم يدخل فندقا من الفنادق الكبرى ، ولم يحضر اجتماعا من الاجتماعات السياسية ، ولم تكن له جماعة معروفة من الاصدقاء والمعارف. كان يعيش في عزلة وهدوء مع زوجته، في بيت اسكاف فقير في حي قديم من أحياء المدينة . وكان جيرانه في هذا البيت جماعة من الفقراء المغمورين : لمومثلة خباز ، ورجل ايطالي ، وممثل نمسوى . ولم يكونوا يعرفون عنه شيئا - اذ كان يؤثر العزلة وينفر من الاختلاط - كان روسيا ، له اسم غريب لا يسهل نطقه أو حفظه ! ولعل زوجة الحذاء كانت تعرف عنه أكثر مما يعرف الآخرون ، تعرف أنه مهاجر روسى ترك وطنه منذ بضع سنوات ، وأنه لا يؤدى عملا مربحا ، وانه يعانى كثيرا من الشدة والحرمان .. كان هذا كله واضحا من الطعام الغث الذى يتناوله الرجل وزوجته ، ومن الملابس العتيقة التى كانت على قدمها لا تملأ



لينين زعيم روسيا الأكبر

حقيبتهما البالية عند ما هبطا المدينة

كان هذا الرجل القصير الممتلىء لا يلفت النظر اليه ، ولعله كان يرغب في أن يبقى هكذا غير ملحوظ . فنأى عن المجتمعات ونفر منها ، واعتزل الناس ، لا يزوره الا نفر قليل منهم، وقلما التقت أعين الناس بعينيه الضيقتين الغامضتين

وكان يمضي أيامه كلها على وتيرة واحدة ، فألف أن يذهب - يوما اثر يوم - الى دار الكتب ، حيث يأخذ مقعده بها في التاسعة صباحا ، ويظل عاكفا على القراءة حتى الظهر ، لينصرف منها عند ما تغلق المكتبة أبوابها . وبعد عشر دقائق تراه يدخل بيته ليتناول غداءه، حتى اذا بلغت الساعة

الواحدة الا عشر دقائق نخرج من بيته قاصدا دار الكتب مرة أخرى ، فيظل بها قارئا الى أن ينصرف روادها فى الساعة السادسة . ولم يخلف عادته هذه يوما ما ، فكان أول من يدخل المكتبة وآخر من يخرج منها .. وهكذا لم يكن فى مظهره ، ولا فى نشاطه ، ما يدعو العيون المنبثة فى كل مكان الى أن تلقى اليه نظرة ، تلك العيون التى اشتغلت بالذين يتكلمون كثيرا ، ويعملون كثيرا ، ففغلت عن ذلك الرجل الهادىء الرائح الغادى بين المكتبة وبيت الحذاء

كان هذا الرجل أخطر رجل فى القرن العشرين ، وأقدر رجل على اقامة ثورة عالية لم يشهد التاريخ لها مثيلا !

حتى تاريخه الماضى لم يسترع اهتمام الناس كثيرا .. فقد كان واحدا من مئات الروسيين الذين هجروا بلادهم فرارا من اضطهاد القيصر وأعوانه وعيونه ، وانتشروا فى أرجاء أوربا يلتمسون الحرية ، وينتظرون الفرج ! وكان قبل أن يغادر « سان بطرسبورج » رئيسا لجماعة صغيرة من الشبان الثائرين ، لا يذكر الناس اسمها ، فقد كان ــ كاسمه ــ ثقيلا على اللسان . وهاجر الى لندن حيث حرر مجلة صغيرة ذات اتجاه ثورى ، فكان لا يقرأها الا أمثاله من اللاجئين الروسيين . وكان سليط اللسان فى حديثه عن الزعماء الاشتراكيين فى أوربا ، يتهمهم بالجهل حينا، وبالممالأة حينا ، فكرهوه وأقصوه ، فظل وحيدا لا يتصل به غير نفر قليل من التلاميذ والاتباع .. كل هذا جعل أمره هينا لا يستحق رقابة العيون ، ولا اهتمام الناس، فلم يكن فى مدينة زيوريخ أكثر من بضع عشرات هم الذين يعرفون اسم « فلاديمير ايلتش اليانوف » ، ذلك الرجل الذى يمضى نهاره فى المكتبة وليله فى بيت الاسكاف !

ولم يخطر على بال أحد من الناس أنه بعد مدة وجيزة ستنشب أكبر ثورة عرفها البشر بزعامة اليانوف هذا .. الذى عرفه التاريخ باسم « لينين » !

* * *

فى يوم ١٥ مارس سنة ١٩١٧ دهش موظف بدار الكتب بعض الدهشة، فقد دقت الساعة تسع دقات ولم يحضر ذلك الرجل الذى هو أكثر رواد الدار مواظبة على الحضور . ومرت نصف ساعة ، ثم دقت العاشرة ، ولم يأت ذلك الروسى . نعم ، لم يأت ، ولن يأتى أبدا . ففى ذلك الصباح ، بينما هو فى طريقه الى المكتبة ، لقيه أحد أصدقائه ، وانبأه بأن « الثورة » قد قامت فى روسيا ..

لم يصدق لينين أول الامر هذا النبأ المثير ، الذى فجأه على غرة كما تفجأ ومضة البرق . ولكنه عدل عن طريقه الى دار الكتب ، واتخذ سبيله الى دار

البريد، حيث لبث الساعة تلو الساعة، واليوم بعد اليوم، ينتظر البريد الذى يحمل اليه الحقيقة

نعم، لقد قامت الثورة، الا انها لم تكن تبدو أول الامر أكثر من ثورة من ثورات القصر التى لا تؤدى الا الى تغيير فى الوزارة القائمة . ولكن الانباء تلاحقت، فاذا بالقيصر يعتزل عرشه، واذا بحكومة دستورية تنهض بالحكم، واذا بدستور يصدر، وبرلمان يكاد يقوم !..

جاءت الحرية الى روسيا أخيرا، وصدر عفو عن مسجونيها السياسيين، وصحت الاحلام والامانى التى ساورته سنين ! وكل ما سعى اليه وجاهد فى سبيله — فى الجمعيات السرية، وفى غيابات السجون، وفى فيافى سيبيريا، وفى منفاه فى أرجاء أوربا — قد بدأ يتحقق أخيرا. وبدا له أن ملايين القتلى الذين سقطوا فى ساحات هذه الحرب، لم تذهب دماؤهم المطلولة عبثا . انهم ذهبوا شهداء الامل الذى نشدته روسيا منذ أجيال : أمل الحرية، والعدالة، والسلام الدائم .. وسرت الدماء حارة متدفقة فى جسد هذا الرجل الذى ظل طول حياته يبدو كأنه قطعة من جليد

وكذلك كان شأن مئات اللاجئين الروسيين المنتشرين فى عواصم أوربا وأرجائها، حيث أقاموا يفتدون حريتهم بالفقر والحرمان . لقد أعادت اليهم أنباء الثورة الآمال التى كادت تموت فى قلوبهم منذ سنين، وصار الآن فى وسعهم أن يعودوا الى بلادهم، مواطنين أحرارا فى وطن حر، فلا اسماء مستعارة، ولا جوازات مزيفة، ولا مغامرات تذهب بالارواح

وجمعوا أمتعتهم القليلة ليلبوا النداء الذى وجهه اليهم أديب الثورة «مكسيم جوركى» ببرقيته التى نشرتها الجرائد فى صفحاتها الاولى : « عودوا جميعا الى وطنكم »

أخذوا الطريق الى وطنهم ليكرسوا أنفسهم مرة أخرى للقضية التى عاشوا لها منذ أدركوا، قضية « الثورة الروسية »

ولكن لم تمض أيام حتى جاءت أنباء أخرى روعتهم وأفزعتهم . فان « الثورة الروسية » التى قامت، والتى طارت بقلوبهم فرحا كأنما حملتها أجنحة النسور، لم تكن الثورة التى حلموا بها، وارتقبوها أمدا طويلا .. لم تكن « الثورة الروسية » المنشودة على الاطلاق ! كانت مجرد تمرد على قيصر روسيا، أثاره وغذاه الدبلوماسيون الانجليز والفرنسيون فى الشعب : الشعب الذى يريد أن يتخلص من الحرب وينعم بالسلام، وأن يقرر حقوقه، ويسترد حرياته، ويدفع عنها، لا عادية القيصر وحده، بل عادية الوزراء والقواد والاغنياء جميعا

لقد كانت خيبة أمل هؤلاء المهاجرين

الثائرين خيبة مريرة حقا . فقد أمضوا السنين فى الارض مشردين ، وهم يعقدون المؤتمرات فى لندن وباريس وفينا ، يبحثون فيها الثورة الروسية كيف تكون ، وهم يبحثون ويدققون ما هى العوامل التى تكونها وتغذيها ، ما هى العناصر التى تثيرها وتوجهها ، ما هى الوسائل والاسباب التى تكفل نجاحها ؟ وظلوا السنين تلو السنين يكتبون فيها ويتناقشون ، من الوجهة النظرية ومن الناحية العملية على السواء ، مقدرين ما يعترضها من الصعاب ، وما تستهدف له من الاخطار ، وما يحتمل لها من نجاح أو خيبة . ولينين نفسه أنفق أكثر حياته فى هذا الامر دون سواه ، وراجع الخطط المرسومة لهذه الثورة المنشودة ، ثم راجع ، حتى ارتسمت فى ذهنه الصورة النهائية التى يجب أن تكون عليها الثورة وأهدافها . . ولكن ما هو ذا الآن يرى أن هذه الصورة قد شوهت ، فبينا هو فى منفاه فى سويسرا اذا بغيره يستغل الروح الثائرة التى خلقها فى الشعب الروسى ، لا لتحرير الشعب الروسى ، ولكن لاطالة الحرب خدمة لفريق من الدول الاجنبية والمصالح الاجنبية !

ماذا يعمل اذن ؟ . . أيستقل طائرة خاصة ويتجه بها الى روسيا فيمر فوق المانيا أو النمسا وهما مشتبكتان فى حرب مع روسيا ؟ انها فكرة مجنونة حقا ، فاسقاط الطائرة وأسره ان بقى حيا أمر محتمل جدا ! أيخترق طريقه الى روسيا بجواز سفر مزيف ؟ لا ، لا ، فان أول رجل عرض عليه هذه الفكرة ، وطلب اليه أن يساعده فى تنفيذها ، ظهر فيما بعد أنه جاسوس ! أيكتب لحكومة السويد طالبا جواز سفر سويديا ، مدعيا أنه أخرس اللسان حتى لا يفضحه لسانه ، وظل طول الليل يفكر فى هذه الوسائل وأمثالها ، حتى اذا أقبل الصباح تبين انها وسائل مريبة خطرة ، لن تبلغ به ما يريد . .

وزاد على الايام اصراره على انه لا بد أن يعود الى روسيا بأية وسيلة كانت . . لا بد أن يعود ليقلب الثورة الروسية الناشبة الى الصورة التى ينشدها ، الى ثورة شعبية اشتراكية ، لا مؤامرات سياسية خداعة . . لابد أن يعود الى روسيا فورا ، ودون نظر الى أى ثمن يدفعه أو الى أية شبهة يتعرض لها !

* * *

ولكن سويسرا محاطة من جميع جهاتها ، بايطاليا وفرنسا والمانيا والنمسا . وكل هذه الدول موصدة الابواب فى وجهه . ولا سبيل له فى دول الحلفاء ، لانه رجل ثورى خطير ، ولا فى المانيا والنمسا ، لانهما مشتبكتان مع دولته فى القتال . ومع هذا ، ورغم تعقد الموقف وخطورته ، كان يرى أن له أملا فى ألمانيا ! رأى أن أمريكا ما

كادت تشرع سلاحها فى وجه ألمانيا ، حتى أدركت هذه ألا قبل لها بالحرب فى الغرب والشرق معا ، وأحست حاجتها الماسة الى عقد صلح منفرد مع روسيا ، فطلبته بأية وسيلة وبأى ثمن .. فهى من أجل ذلك لا بد أن تكون فى حاجة الى زعيم ثائر يقوم الآن فى روسيا، ليحقق رغبة الشعب الروسى فى الخروج من هذه الحرب ، التى زجت به فيها فاصطلاها شهوة فريق من رجال السياسة وقادة الجيش ، تدفعهم وتستفدهم مناورات السفير البريطانى والسفير الفرنسى فى روسيا !

ولكن الامر لم يكن بهذه البساطة. انه لو فعل هذا لقامت كل القواعد الاخلاقية المقررة تدمغه بالخيانة الوطنية، اذ كيف يعود الى روسيا عن طريق ألمانيا وهى تحارب بلاده ، ثم كيف تكون هذه العودة بموافقة القيادة الالمانية ومساعدتها ؟ كان لينين يدرك تمام الادراك ان مسلكا كهذا لا بد أن يعرضه ، ويعرض حزبه ومبدأه ، للشبهة والريبة . واذا أتيح له ان ينجح فى وقف رحى الحرب وتحقيق السلام للشعب الروسى ، قال التاريخ انه حرم وطنه ثمرة النصر، بعد أن دنت منه ، خدمة لالمانيا التى ارسلته الى الشعب الروسى خدعة ودسيسة

وبدأ يفاوض الحكومة الالمانية . وكان الزعيم الاشتراكى السويسرى، فريتز بلاتن ، وسيطه فى المفاوضة مع سفير المانيا فى سويسرا . والغريب فى أمر هذا اللاجىء الخامل المغمور ، لينين ، انه لم يفاوض الحكومة الالمانية مستكينا أو شاكيا ، بل أعلنها فى حزم وجرأة بالشروط التى يشترطها هو وأصحابه اذا « قبلوا » أن يجتازوا أرض ألمانيا .. فكأنما كان يتنبأ يومئذ بأنه سيصبح بعد قليل صاحب الامر فى بلد ليس أقل من ألمانيا شأنا ، ففاوض الحكومة الالمانية كما يفاوضها رؤساء الحكومات ، لا كما يفاوضها اللاجئون المشردون !

اشترط لينين أن تمنح عربة القطار التى ستقلهم حقوقا «اقليمية» ممتازة ، فلا تفحص جوازات السفر ، ولا أمتعة الركاب ، لا عند دخولهم أرض ألمانيا ولا عند خروجهم منها . واشترط ألا يسافروا على نفقة الحكومة الالمانية ، بل يدفع هو وزملاؤه أجور السفر وفق التعريفة المقررة . واشترط ألا يغادر أحد منهم عربة القطار من بدء الرحلة الى نهايتها ، لا بناء على رغبتهم الخاصة ولا بناء على أوامر الالمان .. اشترط لينين هذا كله ، ليدرأ عن نفسه ما قد يساق اليه من التهم والشبهات ، وأرسل السفير الالمانى هذه الشروط الى مركز قيادة الجيوش الالمانية ، فأقرها المارشال لودندورف دون تردد ، وان كانت « مذكراته » قد خلت من أية اشارة الى هذا القرار ، الذى كان له من القيمة التاريخية

الكبرى ما ليس لأى قرار آخر اتخذه طول حياته العسكرية الحافلة

والواقع انه لم يكن أمام الحكومة الالمانية متسع من الوقت لمناقشة الشروط التى اشترطها لينين ، على الرغم من ان اصراره عليها — وهو اللاجىء الذى لا حول له ولا قوة — يشعر بأن فيها ما يستحق المناقشة والتدقيق .. ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية أعلنت الحرب على ألمانيا يوم ٥ أبريل سنة ١٩١٧ ، فكان لا بد من عمل عاجل ينقذ ألمانيا من الحرب فى الشرق والغرب

وبعد أربعة أيام ، أى فى اليوم التاسع من أبريل ، فى منتصف الساعة الثالثة مساء ، اجتمع بمحطة زيوريخ جماعة من الروس فى ملابس بالية ، يحملون بأيديهم وعلى أكتافهم أمتعة قليلة .. وكانت هذه الجماعة تتألف من اثنين وثلاثين شخصا بين رجال ونساء . والتاريخ لا يذكر من رجال هذه الجماعة سوى ثلاثة تزعموا الثورة ، هم : لينين ، وزينوفيف ، ورادبك . أما الآخرون فقد اختفوا فى غمار الثورة ، وأغرقهم خضمها الزاخر . ولم يثر وصول هؤلاء الروس الى محطة زيوريخ أى اهتمام ، ولم يكن هناك صحفيون ولا مصورون ليسجلوا هذه الرحلة التى سيظل التاريخ يتحدث عنها أبدا .. وكيف تلفت الانظار الى هذه الجماعة المهاجرة ، ورئيسها « اليانوف » بقى ما بقى فى سويسرا نكرة لا يعرف الناس من أمره شيئا

وفى الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة كانت ساعة الزمان تدق دقا عنيفا ايذانا ببدء عهد جديد !

فى أثناء الحرب سارت عشرات الجيوش ، وزحفت مئات الفرق ، ولكن ما من فرقة ولا جيش كان أشد خطرا وأدمى قوسا من هذا القطار الذى غادر سويسرا واخترق ألمانيا ، محملا بأخطر وأصلب من أخرج القرن العشرين من الثوار

وقف هذا القطار فى المحطة القائمة عند الحدود الفاصلة بين سويسرا والمانيا ، فى منطقة من الارض حولها دائرة من الطباشير تدل على أنه فى منطقة محايدة . وكان يتألف من عربتين : عربة الدرجة الثانية للنساء والاطفال ، وعربة الدرجة الثالثة للرجال ، ومن ورائهما عربة تحمل ضابطين ألمانيين نيط بهما أمر هذا القطار

ووصلوا الى حدود روسيا

لم يكن لينين يعرف على وجه الدقة مدى تقبل الشعب الروسى للثورة التى أزمع اشعالها ، ومبلغ استعداده للنظام الذى أراد اقامته . فقد مضى عليه أربع عشرة سنة وهو منفى من أرض بلاده ، مشرد فى أرجاء أوربا .. اربع عشرة سنة لم ير فيها أرض روسيا ، ولا فلاح روسيا ، ولا جندى روسيا .. فكان حريا بأن تثور فى هذه اللحظة مشاعره ، وتهيج عواطفه .

وكان حريا أن يسفح دمعة فرحة قريرة، أو دمعة حزينة ساخنة ، كما فعل أصحابه، فقد بكوا حتى شرقوا بدموعهم . ولكن لينين ، لم تدمع عيناه ، بل لم تبتسم شفتاه، لانه ركز كل فكره وكل حسه فى « الثورة المنشودة »

ونزل أرض روسيا ، فدل ما اتجه اليه همه على أسلوب له فى السياسة وامتلاك أعنتها . لم يلق بالا الى الناس ، ولا الى مدى استقبالهم اياه وانما اتجه الى الصحافة يريد أن يعرف كيف تكتب ، ليتبين منها كيف يفكر الناس، فقد كان يؤمن بأن آراء الناس ليست الا صدى لما تلقيه الصحف فى أذهانهم

ووقع أول ما وقع على صحيفة «البرافدا»، تلك الصحيفة التى أنشأها، وهاجر بها الى المنفى ، وأصدرها فى كل عاصمة نزل بها ، ثم أخذ انصاره يصدرونها من بعد ذلك فى روسيا ، ويوزعونها بين الجنود والعمال سرا.. فما قرأها حتى ألقى بها غاضبا . لم يجد فيها القوة والصراحة التى لا بد منها للثورة ، ولم يجد فى كتابها ايمانا عميقا بالفكرة الشيوعية التى يجب أن تعلو على كل عاطفة « واذن قد حان الوقت الذى يجب على أن أتولى فيه الامر بنفسى .. حل الوقت الذى أضع فيه يدى على عجلة السفينة ، فاما الى الساحل واما الى قاع البحر .. »

انه مؤمن جسور ، ولكنه قلق جازع . وأقرب الاحتمالات أن تقبض عليه الحكومة الجديدة ، وتزج به فى السجن ، ليموت فيه كمدا ، أو لعله لا يجد الشعب مستعدا بفكره وعاطفته لقبول « الثورة الشيوعية» ، فيخذله كما خذله من قبل حين أراد اشعالها !

وبينا هو غارق فى الفكر تراءى له ستالين وكامنيف ، جاءا يستقبلانه عند الحدود . انهما ينظران الى عربة القطار ، فيلمحان لينين ، ويبتسمان ابتسامة غامضة .. انهما لا يتكلمان، أو لعلهما لا يستطيعان الكلام .. فقد كان ثمة ما هو أبلغ من الكلام !.. كان وراءهما شيء لم يخطر ببال لينين قط : عشرات الالوف من الجنود والفلاحين، يتزاحمون ليروا الزعيم المنفى وقد عاد .. ولا يكاد يطل عليهم حتى تنطلق أصواتهم ، فى دوى كالرعد القاصف ، تنشد « النشيد الدولى » ، تحية لهذا الرجل الذى كان منذ ثلاثة أيام يقيم فى كوخ الاسكاف !..

وينزل لينين من عربة القطار ، وسط أمواج متلاطمة من الجند والعمال، ثم يستقل سيارته، ويسير وسط مساكن المدينة وقلاعها ، وقد رفعت عليها الاعلام ، وانبثقت منها الاضواء ، لتنير الطريق أمام لينين . فألقى من مقعده فى هذه السيارة أول خطاب له، استهله قائلا : « أنا لينين قد جئتكم »

[عن ستيفان زفايج فى كتاب « مد الحظ وجزره »]

كيف يهرب الحشيش ؟

بالرغم من التدابير التى تتخذها الحكومات لمنع زراعة الحشيش والاتجار به وتعاطيه ، فان هذا « المكيف » لا يزال يزرع ويباع ويدخن . وقد وفقنا الى الحصول على هذا الحديث،من مهرب تاب بعد أن جمع ثروة طائلة من زراعته وتهريبه

سأسميه « فريد بك » لأن اسمه الحقيقى على هذا الوزن ، وهو « بك » بحكم الثروة والجاه ، لا بحكم براءة قانونية . فالبكوات المزيفون أو المنتحلون لهذا اللقب يعدون الآن بالآلاف ، فلماذا لا يكون «فريد بك» الغنى ، المتأنق ، الذى ينظم الشعر ويقرأ أحدث الكتب الصادرة بالعربية والفرنسية ، والانجليزية والالمانية ، الكريم الظريف ، واحدا منهم ؟

جلسنا فى احدى المقاهى المنعزلة ، على طريق الهرم ، وقد تم الاتفاق بيننا على ان يحدثنى صديقى « البك » عن الحشيش وزراعته والاتجار به وتعاطيه وكيفية تهريبه . .

قال : « اننا نسمى النبات الذى يستخرج منه الحشيش « الحشيشة » باللغة العامية . وأما اسمها الذى تعرف به فى علم النبات فهو « القنب » وعلى الخصوص « القنب الهندى » المسمى باللاتينية « كانابيس أنديكا » فهو أحسن الأصناف وأغناها بالمادة المخدرة . ويزرع فى أرض تحرث كثيرا وتكون فى مأمن من الرياح العاصفة ومن الجفاف . وتزود الأرض بالأسمدة ، وأفضلها السماد الحيوانى ولهذا تجحت زراعة الحشيشة فى سفوح جبال لبنان وسوريا وأوديتهما . والقنب نبات ينبت سنويا ، فتبذر بذوره فى أوائل الصيف ، ويجنى ثمره وورقه فى شهرى أوغسطس وسبتمبر »

ــ وهل كنت تزرع الحشيش ؟ وأين كنت تزرعه ؟

ــ كنت أزرعه بالاشتراك مع آخرين فى مناطق بعلبك والهرمل بلبنان . وهناك مناطق أخرى تنجح فيها زراعة الحشيش فى سوريا ولبنان، أهمها سهل البقاع ، وجبل الكوره ، وأعالى جبال كسروان، وسهل عكار، وجبل الدروز ، وجبل عامل ، وبعض نواحى حمص وحماه . ثم ان حكومتى سوريا ولبنان تمنعان زراعته، وتطاردان

الزارعين ، وتتلعان النبات الذى تعثران عليه ، ولكن هذا لا يحول دون مواصلة الزراعة ، لأن الأرباح التى تجنى منها باهظة ، تغرى أشد الناس تمسكا بالفضيلة ، وأنا منهم أؤكد لك!

ــ أنا لا أشك فى هذا . فكم قضيت من السنين تمارس زراعة الحشيش والاتجار به ؟

ــ حوالى ثمانية أعوام

ــ وأين كنت تعمل ؟

ــ كنت أزرع فى لبنان ، وأبيع فى مصر

ــ وكم جمعت من المال ؟

ــ حوالى ثمانين ألف جنيه ، أنفق الآن من ربحها جزءا كبيرا فى الأعمال الخيرية واغاثة الفقراء !

ــ وتبت توبة تامة ؟

ــ تامة كاملة ! فلا علاقة لى الآن بالزارعين ، ولا بالمهربين

ــ حدثنى عن كيفية الزراعة وجنى المحصول واعداده للتجارة ؟

ــ تقطف الحشيشة كما قلت لك فى أواخر الصيف ، فتفرز الأوراق والثمر والعيدان كلا منها على حدة . وتضع البذور اللازمة للموسم التالى جانبا ، ثم تعد المادة للاستهلاك .

وهناك أنواع من الحشيش حسب الطريقة فى تعاطيه . فالأوراق المستطيلة الخضراء تطحن وتعجن بقليل من الماء وتعد للتدخين . والبذور والأزهار يصنع منها شراب مثل الشاى . والصمغ يجفف وتصنع منه حبوب تؤخذ كما يؤخذ « الاسبرو » . ويصنع سائل خاص من عصير الأوراق الخضراء بعد قطفها . والعشبة اليابسة تصنع منها حبوب للمضغ . وحتى عيدان الحشيشة لها سوق رائجة فهى تباع وتستعمل فى صنع عيدان الكبريت!

ان الحشيش نبات عجيب ، فليس فيه شىء لا يصلح للتجارة ، من أوراقه الى زهره الى ثمره الى بذوره الى صمغه الى عيدانه !

ــ وكيف كنت تهربه الى مصر ؟

ــ آه ! .. هذا سر المهنة ! .. أتريد منى ان أفضح أسرارا كانت فى ثمانية أعوام مصدر ثروتى وجاهى ؟

التهريب يا صديقى صناعة ، بل هو فن خاص يتقنه الجرىء الشجاع المقدام وهو يتطلب قسطا كبيرا من الذكاء والفطنة . اننا كنا نستخدم فى تهريب الحشيش السيارات والقطرات والجمال والحمير . واستخدمنا أيضا الطائرات ان « البضاعة » تفضح المهرب برائحتها ، ولكن المهرب قد احتال على الرائحة بأن حبس المادة فى أنابيب واسطوانات من الصفيح أو الألومنيوم . وكنت أنا من الذين يفضلون التهريب بالسيارات . فسيارتى الخاصة كانت معدة لهذا الغرض ، وفى بطنها وظهرها وصدرها ، أعدت الأماكن الخفية التى

لم يستطع حذق البوليس والحراس وموظفى الجمارك معرفتها . وسكة حديد فلسطين لها فضل كبير على المهربين ، فهى شريكتهم الوفية المخلصة . وكم نقلت لنا القاطرات والمركبات ، لا فى داخلها ، بل فى خارجها وبين آلاتها وعجلاتها ، القناطير من الحشيش ! والجمال يا صديقى ! الجمال سفن الصحراء ، يا لها من كنز لا يعرف قيمته غير المهربين! والمعاطف الشتوية،والحقائب الضخمة ، وعلب الحلوى والمربيات واللحوم المحفوظة ، والأحذية ذات النعال السميكة ، وغيرها وغيرها من الأمتعة والأدوات .. لا لا .. لن أقول لك أكثر من هذا ..

— أما كان لك شركاء فى مصر ؟

— طبعا ..! شركاء فى مصر وفلسطين ولبنان وسوريا . ولوذكرت لك الأسماء لانتفضت وصحت من الدهشة ! .. نعم ، للمهربين شركاء، ومن طبقات قد لا تصدق ان لها علاقة بالمهربين . وما رأيك دام فضلك لو قلت لك ان بين شركاء المهربين جماعة من الناس يوالون الصياح ضد المهربين، ويطلبون ارسالهم الى المشنقة !

— من رجال البوليس ؟

— أنا لم أقل هذا .. وعلى كل حال ، فان رجال الجيوش المتحالفة ، من كل جنس ونوع ، قد لعبوا دورهم فى تهريب الحشيش ، ولا يزالون وقد قبض على عصابة منهم أخيرا .

— هذا غريب !

— هذا ليس غريبا . ان زراعة الحشيش فى سوريا ولبنان لا يمارسها صغار المزارعين بل كبارهم . ولا أتردد فى القول بأن بين هؤلاء المزارعين الكبار لفيفا من ذوى النفوذ والخطر . هذه حقيقة يجب ان تقال بجرأة وصراحة ، فقلها ان شئت . فالصغار يخافون من زرع الحشيش . أما الكبار فلا ، لأن مراكزهم تحميهم من الأذى . فالذين يكافحون زراعة الحشيش ، يطاردون صغار المزارعين ، فيقتلعون مثلا مزرعة فيها مائة شجرة ، ويتركون بجوارها مزرعة فيها عشرة آلاف ! وفى استطاعتى أن أدلك على مناطق فى سوريا ولبنان ، لو مررت فيها ، شممت رائحة الحشيش على مسافة كيلو متر! فالحشيشة لا يمكن ان تنمو سرا . وهى تفضح نفسها بنفسها . أقول يا صديقى ! أقول لا يريد المكافحون ان يدعموها بالأعمال ! وما يضبطونه من حشيش مهرب لا يوازي من الجمل أذنه ، على حد قول المثل !

— أذكر لى أرقاما عن تجارة الحشيش

— ان تكاليف الزراعة والجنى

والاعداد تختلف باختلاف المناطق والمحصول . ففى سوريا ولبنان لاتزيد تكاليف الكيلو عن خمسة جنيهات فى الأحوال العادية . ويبيعه المنتج بحوالى ثلاثين أو خمسة وثلاثين جنيها . وفى مصر ، يباع بثمانين أو تسعين جنيها من مهرب الى تاجر . ثم يباع بالقطاعى حسب الظروف والاحوال . فالدرهم مثلا قد يباع بخمسين أو ستين قرشا فى الاحوال العادية . وقد يرتفع ثمنه الى جنيه ونصف أو أكثر ، كما حدث خلال الحرب . وعلى وجه العموم ، يباع الحشيش هنا بثلاثة أضعاف ثمنه فى سوريا ولبنان، بالنسبة الى التاجر . أما بالنسبة الى المنتج ، أى الى الزارع ، فان ثمنه فى مصر يبلغ ضعف تكاليفه عشرين مرة ، اذ ان الكيلو الذى يكلف خمسة جنيهات يباع بتسعين بالجملة !

ــ ألم يضايق المهربون فى خلال الحرب الأخيرة !

ــ أنا كنت قد تركت الصنعة فى خلال الحرب . ولكن الذى عرفته ان تجارة الحشيش قد راجت منذ سنة ١٩٣٩ رواجا كبيرا . فان وارد المخدرات الأخرى قد انقطع من أوروبا وأمريكا ، فحل الحشيش محلها

ــ بماذا يشعر الذى يدخن الحشيش؟

ــ لا أدرى ، لأننى لم أدخنه قط!

ــ هذا غير ممكن !

ــ هذا ممكن ! وقد تدهش اذا قلت لك ان معظم الذين يزرعون الحشيش ويهربونه ويتاجرون به بالجملة لا يتعاطونه .. وأنا منهم !

ــ هل تعتقد ان مكافحة الحشيش يمكن أن تؤدى الى منعه ؟

ــ أنا لا أعتقد هذا . وفى رأيى، ان كل ما يصنعونه الآن لن تكون له نتيجة . واذا أرادوا ان يمنعوا زراعة الحشيش أو تعاطيه ، فليرفعوا القيود عنه ! نعم ، هذا رأيى : فالحشيش الآن لا يزرع ، ولا يهرب، ولا يدخن ، الا لأنه ممنوع ، وكل محرم مرغوب فيه! ولو لم يكن الحشيش محرما ، لما أقبل عليه الناس هذا الاقبال ، ولما كانت أسعاره مرتفعة الى هذا الحد ، ولما كان فيها ما يغرى على زراعته وتهريبه

ــ أتعتقد ان هناك اتفاقا أو ارتباطا بين المزارعين ؟

ــ نعم . ان جميع الذين يزرعون الحشيش مرتبطون بعلاقات وثيقة . وهناك ارتباط أيضا بين المزارعين والمهربين والمتاجرين وكثيرين من رجال الأمن . وأنا واثق من أن تجار الحشيش سوف تصبح سوقهم كاسدة لو ترك الحشيش حرا !

هذا رأى رجل زرع الحشيش ، وهربه وتاجر به وجمع منه ثروة طائلة!

« ح »


الحلم
العجيب
ملخصة عن
«تورچنيف»

بماذا كان يحلم الفتى ؟ . . لقد كان يخيل اليه أنه قائم لدى باب تجرى وراءه أقدار غريبة ، وان حادثاً عجيباً سيقع .. أما هذه الأقدار ، وأما هذا الحادث العجيب الذى كان يراه حلماً ، ثم تحقق ، فذلك ما تضمنته هذه القصة الشائقة !

كنت فى السابعة عشرة أقيم مع والدتى ، بأحدى الموانئ الصغيرة . وكانت والدتى فى الخامسة والثلاثين ، اذ تزوجت فى سن مبكرة ، وتوفى أبى حينما بلغت السابعة . .

كانت والدتى جميلة ولكن أثرا من الحزن كان يغشى وجهها ، وكثيرا ما كانت تبدو صامتة . وكنا نتبادل حبا بحب . غير ان حياتنا لم تكن سعيدة ، لأننا أحسسنا كأن هناك مايهددنا فى الخفاء ، ولم نستطع له دفعا

كان صمت والدتى يقلقنى . وكنت أشعر بأن وراء ذلك الصمت سرا رهيبا ! أما حبها اياى فلم يكن فيه شك . غير انه كان يخيل الى أحيانا انها تؤثر ألا ترانى ، وكأنها تشعر نحوى باشمئزاز لا تقوى على مقاومته . وقد يبدر منها شىء من هذا ، فتندم عليه بعد لحظة ، فتضمنى الى صدرها وتجهش بالبكاء . وساورنى اعتقاد بأن ذلك راجع الى ضعف صحتها ووهن بنيتها ، أو لتصرف غير ملائم من ناحيتى . وكانت ترتدى دائما الثياب السوداء ، كأنها اعتزمت الحداد طول حياتها

* * *

كنت وحيدا ، وكان الشبه عظيما بينى وبين والدتى . وكانت صحتى ضعيفة مثل صحتها ، وكنت أتهرب من معاشرة الفتيان الآخرين ، ولا أتحدث مع الناس الا قليلا ، حتى مع والدتى . أما وقتى ، فكنت أقضيه فى المطالعة ، والنزهة وحيدا مسترسلا فى الاحلام التى لا نهاية لها ! . .

بماذا كنت أحلم ؟

هذا ما يصعب على تحديده . فقد كان يخيل الى ، فى بعض الاوقات ، اننى قائم لدى باب تجرى خلفه أقدار غريبة ، وان حادثا عجيبا سيقع قريبا . وكان النوم يحملنى وانا فى تلك الحال من الذهول . غير اننى لم أكن أتخطى ذلك الباب ، وانما أواصل التفكير فى هذه الاقدار . لو كنت شاعرا لانصرفت الى نظم القصائد ، أو متدينا لدخلت الدير ، ولكننى لم أكن هذا ولا ذاك . فبقيت مسترسلا مع أحلامى !

قلت ان النوم كان يحملنى أحيانا وأنا فى تلك الحال من الذهول . نعم ، كنت أنام كثيرا ، وكانت الاحلام تلعب دورا هاما فى حياتى ، فلا تمر ليلة واحدة دون ان أحلم . ولطالما حاولت تفسير الاحلام ، التى كان

بعضها يتكرر أكثر من مرة ، واليك أحدها :

« رأيت نفسي في شوارع مدينة قديمة ، بين بيوت مرتفعة ، أبحث عن أبي . انه لم يمت ، ولكنه مختف في أحد هذه البيوت لاسباب أجهلها .

ودخلت بيتا منها ، فاجتزت سراديب أوصلتني الى قاعة صغيرة فيها نافذتان . وفي وسط القاعة ، رأيت أبي ، واقفا ، يدخن غليونه . ان هذا الرجل لا يشبه والدي الحقيقي ، انه طويل القامة هزيلها .. أسود الشعر .. عيناه تقدحان شررا .. وهو في نحو الاربعين من العمر .. ولا شك في ان قدومي عليه أزعجه .. وأنا أيضا لست مسرورا بهذا اللقاء .. فوقفت حائرا .

أما هو ، فقد ابتعد عني وهو يتمتم كلمات غير واضحة ، وينظر الى شزرا من فوق كتفه .. واتسعت أرجاء القاعة ، الى ان اختفت في وسط السحاب ! .. وخشيت ان أفقد أبي مرة أخرى ، فأسرعت في أثره ، دون ان أدركه ، بل رأيته يبتعد عني وهو يزمجر كالوحش .. وشعرت بقلبي يجمد في صدري .. ثم استيقظت من نومي .. »

في اليوم التالي ، فكرت طويلا في هذا الحلم ، ولكنني لم أجد له تفسيرا

* * *

في شهر يونيو ، زادت الحركة في المدينة . وظهرت في طرقاتها وجوه جديدة لم نكن نعرفها من قبل . وكنت أحب الخروج منفردا في هذه الطرقات ، والذهاب الى المرفأ ، حيث أشاهد البحارة الجالسين تحت الخيام يحتسون الجعة مع أصدقائهم

وفي ذات مساء ، مررت أمام أحد المقاهي ، المواجهة للمرفأ ، فرأيت رجلا تعلقت به عيني : كان يدخن غليونه ، وخيل الى ان هذا الوجه ليس غريبا عني ، وانني أعرفه . فمن هو ؟ وأين رأيته من قبل ؟

وفجأة ، انطلقت صرخة من فمي : ان هذا الرجل هو أبي الذي أبحث عنه ، والذي يظهر في أحلامي !

نعم ، هو .. لست مخطئا

واختلط على الأمر ، فسألت نفسي : « أيكون هذا أيضا حلما من أحلامي؟» لا لا .. نحن في رابعة النهار ، والناس حوالينا يروحون ويجيئون ، والشمس تتلألأ في الفضاء .. ليس هذا الذي أراه شبحا من الاشباح .. انه رجل حي من لحم وعظام !

ودخلت المقهى ، وجلست بالقرب من هذا الغريب ، وطلبت قدحا من الجعة وجريدة ..

وأخفيت وجهي وراء الجريدة وجعلت أرقب الرجل : انه لا يتحرك كثيرا ، وهو يرفع نظره من وقت الى آخر ، كأنه ينتظر أحدا ..

لم أرفع نظري عنه . وأوشكت

أكثر من مرة ان أصرخ من الدهشة: انه أبى الذى يزورنى فى أكثر الليالى! وكأنى به قد فطن الى مراقبتى اياه، فبدت على وجهه امارات الامتعاض. وهم بالانصراف، فسقطت عصاه على الارض

فنهضت مسرعا، وتناولت العصا وأعدتها اليه وقلبى يخفق بشدة

فأخذها متمتما كلمة للشكر .. وحدق فى وجهى، ثم قال بصوت جاف ينبعث من أنفه:

— أنت ظريف أيها الشاب. وهذا ليس مألوفا فى أيامنا هذه .. يظهر انك تلقيت قسطا من التهذيب!

لا أذكر بماذا أجبته. ولكننى أعلم ان الحديث امتد بيننا، فعلمت انه من أبناء وطنى، وانه قادم من أمريكا حيث قضى سنوات عدة، وانه عازم على العودة اليها. وذكر لى اسمه مقرونا بلقب «بارون»، ولكننى ما وعيت شيئا مما قال..

وسألنى عن اسمى، فلما أعلنته اليه بدت عليه دهشة شديدة. ثم سألنى عن مدة اقامتى فى المدينة ومع من أقيم. فقلت اننى أعيش مع والدتى:

— وأبوك؟

— لقد مات من زمن بعيد!

وعاد فسألنى عن اسم والدتى، وضحك ضحكة غريبة وقال:

— اننا معشر الامريكيين متطفلون

ثم سألنى عن عنوانى. فذكرته له

لم تعجبنى ضحكة البارون .. وأزعجتنى نظراته الحادة .. ولم أكن قد رأيت تلك النظرات فى أحلامى السابقة .. وكان فى وجه الرجل أثر عميق لجرح كبير لم أذكر اننى تبينته أيضا فى وجه أبى الذى يظهر لى فى الحلم ..

وما كدت أذكر له اسم الشارع الذى أقيم فيه، ورقم المنزل، حتى أقبل علينا زنجى ضخم الجسم، وربت على كتفه

فالتفت البارون اليه وقال: «اه! أخيرا! ..»

ثم حيانى بحركة من رأسه، ودخل المقهى مع الزنجى ..

بقيت فى الخارج منتظرا. ومرت ساعة لم يظهر البارون أثناءها. فدخلت المقهى، وبحثت فى أنحائه، فلم أجد للرجل ولا لرفيقه الزنجى أثرا. فقلت فى نفسى: «لا بد أنهما خرجا من باب آخر ..»

وشعرت بألم فى رأسى. فمشيت على شاطىء البحر قليلا، ثم عدت الى البيت ..

أسرعت الخادم الى مضطربة ترتجف، فأدركت ان شيئا قد حدث فى غيابى. ولم يخطىء شعورى

علمت ان الخادم سمعت صرخة مفزعة تنبعث من حجرة والدتى، فهرولت اليها، فوجدتها مغشيا عليها ..

وعند ما أفاقت من غشيتها ، بدت عليها ظواهر الخوف والهلع،فأرسلت الخادم فى طلب الطبيب ، فوصف لها دواء مسكنا من غير ان يقف على سبب انزعاجها . وقال البستانى انه سمع صرخة والدتى ، ورأى عند ذلك شخصا يركض فى الحديقة متجها نحو الباب الخارجى ، ولكنه لم يدركه ولم ير وجهه . غير انه وصف الرجل وهندامه وصفا خيل الى معه انه يصف البارون الذى التقيت به فى المقهى ..

ذهبت الى حجرة والدتى فوجدتها نائمة فى سريرها .. فابتسمت ومدت يدها الى وقالت انها رأت مشهدا بعث فى قلبها الذعر . فسألتها :

ـ هل جاء أحد هنا ؟

ـ كلا ، كلا .. لم يجىء أحد . ولكن .. خيل الى انني أرى ..

ثم سكتت ولم تقل شيئا . وأوشكت ان أفضى اليها بما رآه البستانى ، وبمقابلتى البارون . . غير ان الكلمات لم تخرج من فمى

قالت والدتى : « لندع هذا كله . لقد انتهى الامر الآن .. ستعرف كل شىء فى يوم من الايام ! .. »

عندئذ تركتها فى سريرها لتأخذ قسطها من الراحة . وبقينا جميعا فى البيت مدهوشين مذهولين !

* * *

عند ما اقترب الليل، اشتدت الحمى على والدتى ، فطلبت منى ان أغادر حجرتها ، فغادرتها . ولكنى قضيت الليل فى حجرة مجاورة لها ، متيقظا ، أسترق السمع ، فلم أشعر بأية حركة تنبعث من مخدع والدتى . غير انني لا أعتقد انها ذاقت طعم النوم تلك الليلة

وحين تنفس الصبح عدت اليها فلازمتها

هبطت درجة حرارتها فى النهار . ثم ارتفعت ثانية فى المساء . وجعلت والدتى تفوه بكلمات متقطعة .. لكنها لا تشبه ان تكون هذيانا .. وقبيل منتصف الليل ، جلست فى سريرها ، وراحت تقص على قصتها ، وهى تتناول من وقت الى آخر جرعة ماء ، وتقاوم التعب والاعياء ..

ما أغرب منظرها وهى تتكلم . كانت كأنها فى غيبوبة ، أو كأنها فى حلم ، أو فى عالم آخر ..

قالت أمى :

« اسمع ما سأقصه عليك .. انك لم تعد طفلا ، ويجب ان تعلم كل شىء .. كان لى صديقة عزيزة ، تزوجت رجلا تحبه بكل قلبها، وكانت سعيدة معه . فسافرت معه الى العاصمة للنزهة والتسلية .. نزلا فى فندق. وكانا يخرجان كثيرا ، ويذهبان الى الملاهى والمجتمعات ..

« كانت صديقتى لطيفة، حلوة الحديث، فحام حولها الشبان .. وكان بينهم

ضابط جعل يلاحقها أينما ذهبت .. لم يحاول ان يتعرف بها، ولكنها كانت تلتقى به فى كل مكان ، حتى ضاقت به ذرعا ، وبرمت بنظراته الغريبة الحادة .. وأقنعت زوجها بالسفر فاقتنع ، واستعد العروسان للرحيل. وفى ذات مساء ، ذهب الزوج الى أحد الاندية التى يرتادها ذلك الضابط الغريب .. بقيت الزوجة وحدها .. وتأخر زوجها ، فآوت الى سريرها . وما لبثت ان شعرت بضيق فى صدرها، وجعلت ترتعش من البرد . ثم سمعت حركة خفيفة كأن كلبا يحك الحائط بأظافره .. وفجأة ، رفعت الستارة المسدلة على الحائط، وظهر أمامها رجل طويل القامة .. هو ذلك الضابط بعينه ! وأرادت ان تستغيث فلم تستطع . فظلت جامدة من الخوف . ووثب الرجل عليها ، وألقى على رأسها شيئا ثقيلا أبيض اللون أوشك ان يخنقها ..

« لا أذكر ما حدث بعد ذلك .. لا أذكر شيئا .. ولكن ، عند ما عدت الى رشدى .. أى عند ما عادت صديقتى الى رشدها ، كانت الحجرة خاوية .. فجعلت تصرخ فى طلب النجدة .. ثم أغمى عليها ..

« واستيقظت فوجدت زوجها الى جانبها ، وعلمت منه انه بقى فى النادى الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكان القلق باديا عليه . فأراد ان يعرف منها ما جدث، فلم تخبره بشيء ..

« وفيما بعد ، اتضح لها ان فى الحائط بابا خفيا ، وان خاتم الزواج الذى كان فى يدها قد اختفى . وبحث عنه الزوج فى كل مكان بلا جدوى، فاعتقد ان زوجته اضاعته . وقرر الرحيل معها عن العاصمة فى الحال..

« وفى اليوم نفسه كانت صديقتى وزوجها فى المدينة ، فالتقيا فى الشارع بجماعة يحملون نقالة عليها رجل مقتول .. لم يكن ذلك الرجل، الذى أصيب بجرح فى رأسه وهو على مائدة الميسر ، غير ذلك الزائر الغريب الذى هاجمها فى ظلام الليل ..!

« ذهبت صديقتى الى الاقاليم . وهى تشعر بأنها حامل ، ثم عاشت بضعة أعوام مع زوجها ، ولم يعرف شيئا مما وقع لها . وهل كان بوسعها ان تطلعه على شيء؟ ألم تكن هى نفسها تجهل كل شيء ؟

« لكن السعادة فارقت دار الزوجية ولم يرزق الزوجان أبناء غير ذلك الولد الذى .. »

وهنا ارتجفت والدتى وأخفت وجهها بين يديها . ثم استأنفت حديثها :

« والآن ، قل لى : هل تعد صديقتى مذنبة؟ وهل تؤاخذ على شيء؟ لقد عوقبت على هذا الذى كان فى ماضيها ، ولكن ، هل كان العقاب عادلا منصفا ؟ ان وخز الضمير يؤلمها وينغص عيشها ، ولكن أليس هذا

طلما ؟ ان « مكبث » قتل « بانكو » ولا غرابة فى ان تزوره الاشباح .. أما أنا .. أنا .. »

وهنا اضطرب حديث والدتى حتى لم يعد فى استطاعتى ان افهم منه شيئا. فأيقنت انها تهذى !

* * *

كان لحديث أمى وقع شديد فى نفسى. وقد ادركت منذ اللحظة الاولى انها تتحدث عن نفسها لا عن صديقة لها كما ادعت . وكانت أحيانا تقول « أنا » فاستحال شكى الى يقين

اذن ، فذلك الرجل الذى يزورنى فى أحلامى هو أبى الحقيقى. وقد التقيت به أخيرا فى اليقظة . لم يكن قتيلا كما ظنت أمى حين رأته .. بل كان جريحا فقط .. لقد جاء ليراها مرة أخرى ، ولكنه هرب لانه ارتاع من خوفها وصراخها . نعم ، كل شىء أصبح الآن واضحا . فذلك هو مبعث الاشمئزاز الذى تشعر به والدتى نحوى ، وهو سر كآبتها الدائمة ، والعزلة التى تعيش فيها ..

لا بد من البحث عن ذلك الرجل والعثور عليه .. لماذا ؟ .. لا أدرى! ولكن لا بد من ذلك ! ان المسألة أصبحت فى نظرى مسألة حياة أو موت

وفى اليوم التالى ، تحسنت حالة والدتى ، فعهدت الى الخدم بالسهر عليها ، وانطلقت ابحث عن ذلك الغريب ذهبت أولا الى المقهى الذى التقيت فيه بالبارون . ولكن أحدا لم يكن يعرفه هناك ، لانه ليس من رواد هذا المكان . نعم ، ان صاحب المقهى قد تنبه الى الزنجى ، ولكنه كان يجهل عنه كل شىء

تركت اسمى وعنوانى فى المقهى ، ورحت أواصل البحث فى انحاء الميناء، فلم أعثر له على أثر ..

وعدت الى البيت فى موعد العشاء، فوجدت أمى فى حالة حزن شديد ، وقضيت السهرة معها ، ولكننا لم نتبادل كلمة واحدة

لم نتحدث عن القصة التى قصتها على ، كأن اتفاقا صامتا قد قام بيننا على ألا نعيد ذلك الحديث أبدا . وخيل الى ان والدتى تشعر بشىء من الحياء بسبب ما قصته على .. ولكن ، هل استطاعت أن تذكر من بعد غشيتها كل ما قالت لى من كلمات ؟ .. انها تتجنب النظر الى ..

لم أنم تلك الليلة . وهبت عاصفة هوجاء هزت البيت هزا . وقبيل الصباح ، اغمضت جفنى ونمت قليلا. ثم استيقظت وأنا أحس بان شخصا يقترب منى ويناديني باسمى .. نظرت حولى فلم أجد أحدا .. غير اننى شعرت بان هناك أملا كبيرا بان يكلل بحثى الذى اعتزمته بالنجاح. فارتديت ثيابى وغادرت البيت

* * *

وهدأت العاصفة ، ولكن الطريق

اقفرت ، وظهر فى كل مكان آثار مما حطمته الرياح

وخطر لى أن حوادث مفجعة لا بد أن تكون حدثت فى تلك الليلة العاصفة

كنت عزمت على الذهاب الى الميناء. ولكن قدمى حملتانى الى الناحية الاخرى من المدينة ، فوجدت نفسى فى حى لم أعرفه من قبل

ومضيت قدما من غير هدف ولا غرض معين، ولكننى شعرت بان معجزة ستحدث عن قريب !

حدثت المعجزة : فقد رأيت، فجأة، ذلك الزنجى رفيق الضابط ، فاسرعت فى اثره ، وأسرع فى مشيته ، حتى اختفى وراء أحد المنازل

وعبثا حاولت ان أجد اثره من جديد . لقد غاب عن نظرى فى ذلك الشارع الطويل ..

ذلك الشارع ؟ .. اننى اذكره ! هو الشارع الذى أراه فى المنام .. بمنازله وجدرانه .. وهذا البيت .. هو البيت الذى أراه فى المنام أيضا .. وهذا بابه ..

قرعت الباب، ففتحت لى خادم شابة لا شك فى اننى أيقظتها من نومها :

ــ هنا يقيم البارون، أليس كذلك؟

والقيت نظرة الى الداخل فعرفت فناء الدار . نعم ، نعم ، انه مطابق لما أراه فى المنام !

لكن الخادم أجابت :

ــ كلا ، البارون لا يقيم هنا

ــ كيف ذلك ؟ ..

ــ انه ليس هنا الآن : لقد سافر أمس

ــ الى أين ؟

ــ الى امريكا

ــ الى امريكا ؟ ولكنه سيعود ؟

ــ لا نعرف .. قد لا يعود أبدا !

ــ وهل أقام طويلا هنا ؟

ــ اسبوعا تقريبا

ــ وما اسم البارون ؟

ــ كيف ؟ ألا تعرف اسمه ؟ كنا نسميه « البارون » فقط ..

وخطوت خطوة الى الداخل ، فنادت الخادم شخصا أسرع الى وسألنى عما أريد ..

وعلمت منه ان البيت يقيم فيه رجل نجار ، وان الشارع كله لا يقيم فيه غير النجارين ..

* * *

خرجت من الشارع، فقادتنى قدماى الى شاطىء البحر ، بعيدا عن المرفأ ، فمشيت على الرمال وبين الحصى ..

وأخذ عينى سرب من الطيور البحرية تحوم حول مكان على الشاطىء، فحدقت فيه ، ورأيت شيئا قاتما بين الصخور خيل الى انه جثة انسان ..

اقتربت من المكان ..

لم يخطىء بصرى : نعم ، هى جثة غريق لفظها البحر الى الشاطىء

ما هذا ؟ .. جثة البارون !

وقفت مبهوتا مذهولا . وأدركت

ان قوة خفية تدفعنى منذ الصباح ، وانها هى التى ساقتنى الى هذا المكان.

الجثة ملقاة على ظهرها .. والرأس مسند الى اليد اليسرى .. واليد اليمنى مطوية تحت الجثة ..

ان العاصفة فعلت فعلها .. والبارون لم يصل الى أمريكا .. ذلك الرجل الذى أهان أمى ونغص عليها حياتها، الرجل الذى هو أبى بلا شك، هاهوذا ملقى هنا ، أمامى ، فى الوحل ، جثة هامدة !

ادركنى شعور اشبه ما يكون بالتشفى والشماتة، ولكنه أيضا مشوب بالاشمئزاز والخوف والشفقة !

وقفت أمام الجثة انظر اليها ..

لو تحركت هذه الشفاه ، وهذه الحواجب ! ولكن شيئا لم يتحرك ! كل شىء ظل جامدا ! فى ذلك المكان الموحش .. وانتابتنى عند ذاك رعشة لمجرد التفكير فى انى سأترك هذا المسكين فى القفر وحده ، طعمة لجوارح الطير .. وسمعت كأن صوتا يهيب بى أن أستغيث بالناس ، لا لاسعاف الرجل ، فقد فات أوان الاسعاف ، ولكن لنقله الى المدينة ودفنه ..

لكنى ابتعدت عنه ، ثم جعلت انظر اليه من جديد ، فاسترعى انتباهى شىء يلمع فى يده ..

عرفت الخاتم : خاتم أمى الضائع. فعدت الى الجثة أعالج يدها ، وانتزعت الخاتم منها ، واطلقت ساقى للريح هاربا من ذلك المكان .. فقد شعرت بان هناك من يركض فى اثرى !

* * *

قابلتنى أمى مرتاعة متسائلة . فلم أوجه اليها خطابا ، بل اكتفيت بأن القيت بين يديها الخاتم الذى وجدته . فعلا الشحوب وجهها، وزاغت نظراتها، وانبعث من صدرها صوت خافت مبهم، وتناولت الخاتم ، ثم ألقت بنفسها بين ذراعى ..

أفضيت اليها بما حدث ، واخبرتها بالحلم الذى رأيته ، وبالرجل الذى التقيت به ، وبكل ما تتابع من وقائع أصغت الى ولم تقاطعنى . وعندما انتهيت من حديثى ، نهضت ، وألقت معطفها على كتفيها ، ووضعت قبعتها على رأسها ، وقالت :

— هيا بنا الى هناك !

— الى أين يا أماه ؟

— الى المكان الذى وجدته فيه . أريد أن أرى بعينى .. أريد أن أعرف بنفسى .. أريد ان أعرف كل شىء !

سرت مع أمى فى الطريق المؤدية الى ذلك المكان من الشاطىء حيث تركت الجثة ..

وصلنا اليه .. ونظرت حوالى .. فلم أجد شيئا !

أين الجثة ؟ هذه آثارها ، كانت هنا . ولكن ، يخيل الى ان الاعشاب قد قطعت .. وان اقداما قد تركت آثارها فى هذا المكان ..

ساورنا الرعب !.. فهل عاودت الجثة الحياة ، فنهض الميت ومشى على قدميه ؟

سألتني أمي :

ـ لقد رأيته ميتا ، أليس كذلك ؟

أجبتها بالايجاب : لقد رأيته منذ نحو ثلاث ساعات .. فهل عثر عليه أحد ونقله من مكانه ؟ لا بد من معرفة ما حدث !

* * *

عاودت أمي الحمى، فأرسلت في طلب الطبيب . وعندما تحسنت حالتها ، جعلت تلح على أن أبحث عن ذلك « الرجل » واعرف مصير الجثة . فبحثت ، وابلغت الشرطة ، ونشرت اعلانات في الصحف ، وطفت القرى المجاورة ، ولكن بلا جدوى !

لقد قيل لي أول الامر ان الباخرة التي سافر عليها البارون الى امريكا غرقت . ولكن الصحف نشرت فيما بعد نبأ وصولها الى نيويورك !

دعوت الزنجي ، بواسطة الصحف أيضا ، الى مقابلتي ، ووعدته بمكافأة مالية . فجاء زنجي في غيابي، وتحدث الى الخادم ، لكنه اسرع راجعا ولم يعد ..

وهكذا! فقدت كل أثر لأبي .. فكأنه غرق في بحر من السكوت والظلام

وظلت والدتي مريضة مدة من الزمن . ولم تعد منذ ذلك الوقت الى التحدث عن الرجل .. ولكن شيئا من الجفاء حل بين والدتي وبيني ..

ولم تعاودني الاحلام التي كانت تقلق منامي .. ولم أعد أبحث عن أبي !

لكنني ما برحت اسمع في الظلام ، من وقت الى آخر ، أصواتا شبيهة بالتأوهات، تأتي الي من شاطيء البحر!





الفوج الأول ــ وهو يتألف من ثلاث من الجنس اللطيف ــ يجلس الى المائدة ويلتهم الطعام غير عابىء بما يلقاه الأب فى سبيل « لقمة » العيش من عناء وكد وتعب

أولاد بالجملة

يشكو الفقراء من كثرة العيال ، لأنها غالبة فيهم ، على شظف العيش ، وخاصة فى هذه الأيام التى اشتد فيها الغلاء ،وارتفعت نفقات الحياة . ولكن الأولاد أرزاق ــ كما يقولون ــ والله يرزقهم بأرزاقهم ، أو هم الشطر الآخر من زينة الحياة الدنيا ، فاذا عز على الفقراء الشطر الأول وهو « المال » ، فحسبهم عزاء زينة البنين ...

ومن عجيب الحكمة أن الأولاد أحياناً لا يأتون فرادى ... بل مثنى وثلاث ..

وفى مدينة فيلادلفيا بأمريكا رجل يدعى « ماكانى » رزق فى ثمانية عشر شهراً ، أى فى أقل من عامين خمسة أولاد ، على دفعتين . فقد ولدت له زوجه أولا ثلاث توائم من الأناث ، وكان لديهما من الأصل ولد هو الآن فى السادسة

ولم تكد التوائم الثلاث يهبطن الى هذا العالم ، حتى جاء البشير ، بعد بضعة أشهر ، بتوأمين آخرين من عنصر الاناث أيضاً أى خمس بنات على مرتين ، بعد انقطاع ست سنين . كأنما اشتهيا بنتاً ، فقالت لهما الطبيعة ، خذا خمساً ، عطاء مترادفاً غير ممنون !

ولكن « ماكانى » لم يفزع من هــذا الكرم ، بل رضى بما رزقه الله ، لأنه « سائق » سيارات فى شركة نقل ، وقد علمته مهنته القاسية أن لا يشكو من الزمان !

وليتصور القارىء كيف يكون جو البيت ، وفيه خمس بنات وليدات يتصايحن من الجوع فى نفس واحد ، كان الله فى عون أمهن ... !



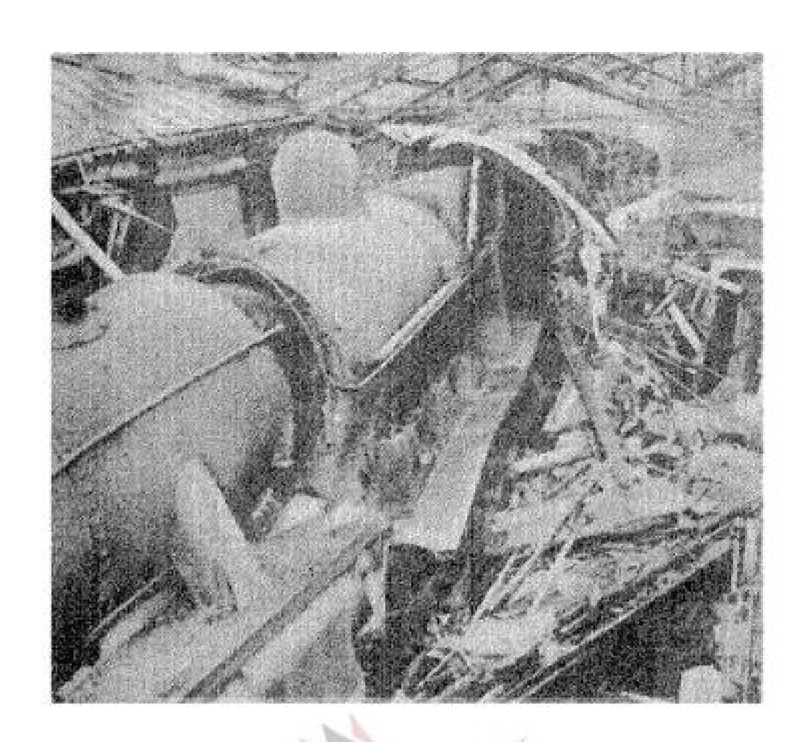
بدت مذهولة وهى ترتب ثياب أطفالها وتفكر فى العبء الثقيل الذى ألقاه القدر على عاتقها



كان الله فى العون ، لن تلبث هذه الأحذية أن تضيق فيضطر الوالد الى شراء غيرها !



اشتهيا بنتا ، فقالت لهما الطبيعة خذا خمساً — على دفعتين وفى ثمانية عشر شهراً — وها هما التوءمان يتناجيان ويتعاهدان على البكاء والصياح عند الاحساس بالجوع



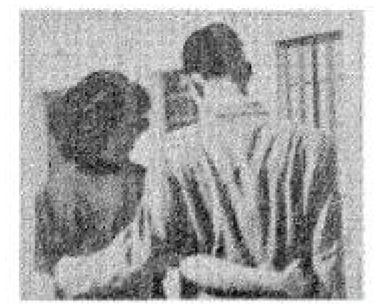
هذا حادث مروع قتل فيه السائق والركاب ، فهل تشعر إزاءه (ا) بعطف شديد على الضحايا ؟ (ب) بانقباض وشعور بأنك قد تفقد حياتك فى حادث مشابه ؟ (ج) بعدم مبالاة .. اعتماداً على ندرة وقوع مثل هذه الحوادث أو على أنه « لكل أجل كتاب » ؟

هل أنت مرهف الاحساس؟

كانت شدة الحساسية فى الماضى موضعاً للزهو والتفاخر ، حتى ان الشاعر الانجليزى « شيللى » كان يشبه نفسه مفاخراً بالنباتات الحساسة التى يسرع اليها الذبول اذا لمستها يد خشنة .. أما اليوم فقد أصبحت « مرضاً » يبحث له النفسانيون عن علاج . وليس من شك فى أن المبالغة فى رقة الشعور تفسد الحياة . ولذلك يحسن أن يدرب المرء نفسه على ضبط إحساسه وعدم التأثر لما لا يستطيع له دفعاً أو تغييراً .. ولكى تعرف درجة حساسيتك أجب على أسئلة كل صورة ، فاذا كان الجواب على الأسئلة رقم (ا) بالايجاب ، فأعط نفسك ٢٠ درجة ، (ب) ١٠ درجات ، (ج) صفراً . فاذا بلغ مجموع درجاتك (٨٠) فأنت رقيق الشعور ، (٤٠) متوسط بين الحساسية والجمود .. واذا قل عن ذلك فأنت رابط الجأش قوى الأعصاب



كان هتلر سبباً فى إشعال نيران الحرب وهلاك الملايين ، فهــل تشعر نحوه
(ا) بغضب وبغض شديدين ، مبعثهما ما جره على الانسانية من مصائب وويلات ؟
(ب) بفضول ورغبة فى دراسة نفسيته ؟
(ﺟ) بنفور من التفكير فى أمره وأعماله ؟



هذا مشهد غرامى لفتى وفتاة فى ريعــان الشباب يتناجيان فى إحدى الليالى القمرية ، فهــل تحفزك رؤيتهما على التفــكير فى
(ا) ليــال غراميــة حالمــة ؟
(ب) الحب وشخصية الحبيب ؟
(ﺟ) الشباب ونزواته بوجه عام ؟



هذه أم اختطف الموت ابنها الوحيد وهو فى ريعان الشباب ، فهل تحس إزاءها
(ا) برغبة فى البكاء ؟ (ب) بشعور بعدم الارتياح ؟ (ﺟ) بعدم مبالاة ؟

كذبة السلطان

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

الكذب من المحرمات . ولكنه فى بعض الحالات يصبح ضرورة لازمة وعملا صالحاً . وفى اليوم الأول من شهر ابريل يستحل الناس الكذب البرىء على سبيل التفكهة والتسلية . وهذه القصة حادث أقدم فيه السلطان صلاح الدين الأيوبى على كذبة صالحة ، مدفوعاً بعامل الشفقة على جريح مشرف على الموت

جمع السلطان صلاح الدين الأيوبى حوله البقية الباقية من فرسان حرسه المماليك ، وليس بينهم واحد لم تترك المعركة فى جسمه أثرا ، وقال لهم بصوت لم تنل منه مرارة الهزيمة :

ــ لقد خسرنا هذه المعركة ، ولم أفهم بعد كيف خسرناها ... لكننا سنعد العدة للثأر ، وسوف يكون انتقامنا رهيبا ... فلنعد الآن الى منازلنا ، والله معنا ...

وانطلق الفرسان يخترقون صحراء سيناء ، فى طريقهم الى مصر ...

كانت معركة « تل جازر » المعروفة عند الافرنج بمعركة « مونجيزار » من أغرب المعارك فى التاريخ ، ومن الحوادث التى يحار العقل فى تعليلها وتفسيرها . فقد زحف السلطان صلاح الدين الأيوبى بجيشين لجبين ، سارا من مصر والشام فى آن واحد ، على مملكة أورشليم الصليبية ، فأرغم ملكها الشاب المريض بلدوين الرابع على الالتجاء الى أسوار عسقلان ، وضرب حول المدينة الحصار ، وأطلق رجاله فى أنحاء المملكة ، وكان عددهم نحو خمسة وعشرين ألفا

تشاور ملك الافرنج مع قواده وأعوانه ، ومعظمهم من « فرسان الهيكل » فقر رأيهم على الخروج من المدينة المحاصرة ، ومباغتة أعدائهم ، وشق طريقهم الى بيت المقدس

وكان عدد القوة التى يقودها بلدوين لا يتجاوز أربعمائة فارس مدرعين بالحديد والفولاذ !

مغامرة عجيبة لا يقدم عليها عاقل ،

ومخاطرة جنونية كتب لها النجاح والفوز : فقد اشتبك الفريقان على التلال المتدة فى « أرض الرملة » وهى اليوم مدينة تعرف بهذا الاسم ، واشتد القتال على الخصوص فى « تل جازر» فعرفت المعركة باسمه، وانهزم جند صلاح الدين وهاموا على وجوههم لا يلوون على شىء، وخرج الصليبيون من المعمعة بأسلاب لا تحصى ، وكان أملهم الوحيد فى بادىء الأمر ان يبلغوا بيت المقدس سالمين

كانت معركة « تل جازر » أعظم انتصار حربى أحرزه الصليبيون فى الأرض المقدسة ، وذلك فى الخامس والعشرين من سنة ١١٧٧ ميلادية ، الموافقة لسنة ٥٧٣ هجرية

وروى صلاح الدين نفسه لأخصائه خبر انكساره وفراره ، فقال: «ستظل نتيجة موقعة « تل جازر » من الألغاز الحربية التى لن تحل . فقد وجدت فى الميدان بثلاثة أسنة مشرعة وموجهة الى صدرى ، ولو لم يتداركنى رجال الحرس ، ويحولوا بينى وبين الفرسان الثلاثة المغيرين على ، لما نجوت من الهلاك ! »

* * *

لم يعد الفريقان الى الراحة بعد تلك المعركة الهائلة، بل انصرف كل منهما الى الاستعداد للطوارىء . فراح صلاح الدين يدعو الأمراء والاقطاعيين الى حمل السلاح لمحو العار الذى لحق به وبهم فى «تل جازر»، وراح بلدوين الرابع يجند الشبان والكهول والشيوخ من سكان مملكته ، ويدعم الحصون القائمة على الحدود ، ويشيد قلاعا جديدة لحمايتها من الغارات . ومن تلك القلاع الجديدة، اثنتان تعدان من أروع الاعمال الهندسية التى قام بها الصليبيون فى الشرق ، وهما قلعة « هونين » فى جبال لبنان الجنوبية ، وقلعة « معبر الأردن » فى وادى قادس

تولى فرسان الهيكل أمر القلعة الأردنية ، فتعهدوا ببنائها واقامة حامية فيها . وفى شهرى أكتوبر ونوفمبر سنة ١١٧٨ تم ذلك العمل العظيم ، وارتفعت أسوار القلعة على التل المشرف على النهر ، عند المجازة التى عبر يعقوب « أبو الأنبياء » نهر الأردن منها ، والتى سميت « بيت يعقوب » ثم عرفت باسم « جسر بنات يعقوب » الى يومنا هذا

وكان بين الذين ساعدوا فرسان الهيكل فى أعمال البناء ، وساهموا فى تموين الجيش الصليبى أثناء اقامته فى ذلك المكان لحماية العمال والبنائين ، رجل يدعى « فيليب » من أبناء فرنسا، وابنه الشاب « كونراد »

جاء الرجل الى بيت المقدس صبيا، وسقط من السفينة عند وصوله الى البر فلويت ساقه ، وأطلق عليه الناس اسم « فيليب الأعرج »

نشأ فى فلسطين ، وتزوج امرأة أرمنية من بنات انطاكية ، فرزقهما ابنه الوحيد « كونراد » وماتت الأم يوم ولادته ، فأحبه « فيليب » حبا جما

وانخرط الأب والابن فيما بعد فى سلك الجندية ، فحاربا فى الميادين ، وتخصصا فى نقل الرسائل بين الصليبيين والمسلمين ، لأنهما تعلما لغة البلاد وأتقناها نطقا وقراءة وكتابة

ومن المعارك التى خاض فيليب وكونراد غمارها ، معركة «تل جازر» التى انتصر فيها الصليبيون

* * *

علم صلاح الدين ، وهو فى دمشق ، بأن الملك بلدوين يحصن الحدود ، وان المعاقل تنبت من الأرض شهرا بعد شهر ، فعزم على استدراك الخطر قبل استفحاله ، وفى أوائل سنة ١١٧٩ ، شرع السلطان فى القيام بسلسلة من الغارات على تلك المعاقل والحصون

وبدأ بجبال لبنان ، فحل فى قلعة « بانياس » التى ملكها المسلمون من قبل ، وضرب حولها مضاربه ، وصار يخرج من ذلك الموقع المنيع على رأس قوات صغيرة سريعة الحركة ، فيضرب الافرنج ضربات مؤلمة فى جهات صور وصيدا وبيروت . وفى العاشر من شهر يونيو ١١٧٩ ، وقعت بينه وبينهم معركة « مرجعيون » فانتصر فيها صلاح الدين انتصارا باهرا ، وفر الصليبيون من أمامه يطلبون النجاة بالتجائهم الى قلعة هونين ، وقلعة بوفور وهى « شقيف أرنون » وأسوار صور وصيدا

جىء بالأسرى الافرنج الى صلاح الدين بعد المعركة ، فاذا بينهم قائد فرسان الهيكل « أود » وصاحب الرملة «بلدوين» وأمير طبرية «هوج» وغيرهم من الأقيال، فقبل صلاح الدين الفدية ممن دفعها ، وسيق الآخرون الى دمشق . ووقع نظر السلطان على شاب من الاسرى خيل اليه أنه يعرفه من قبل ، أو انه على الأقل قد رآه مرة فانطبعت صورته فى ذهنه

ناداه صلاح الدين فاقترب منه وهو يعرج ، ودار بينهما هذا الحوار :

— ما اسمك ؟

— كونراد ابن الاعرج

— ابن فيليب الأعرج ؟ اننى أعرفه

— وهو أيضا يعرفك

— ولكنك تعرج ، أنت أيضا ؟ أجرح أم عاهة ؟

— جرحت فى معركة تل جازر ..

فانتفض السلطان ، اذ كان هذا الاسم كافيا لتذكيره بتلك الهزيمة النكرة ، وبوجه الرجل الماثل بين يديه .. لقد عرفه الآن ! ان كونراد الأعرج هذا ، ابن الأعرج فيليب ، هو أحد الفرسان الصليبيين الثلاثة الذين هاجموا صلاح الدين فى حومة الوغى ، وحاولوا قتله برماحهم !

حدق السلطان ببصره فى الشاب الأعرج ، ثم قال :

ـ لقد أردت اغتيالى فى تل جازر!

لم يضطرب الشاب لهذه الكلمات المفاجئة بل أجاب بلهجة ثابتة :

ـ القتل فى الميدان ليس اغتيالا أيها المولى . ولو قدر لى النجاح حينئذ لكانت النصرانية الآن فى مأمن من الخطر ! لكن الله أنقذك لأنه يريد لك الحياة !

ـ ويريد لى النصر فى النهاية يا كونراد . وان كنت أنت قد حاولت قتلى ـ ولا أقول «اغتيالى» ـ فانك لم تفعل فى ذلك اليوم غير ما عليه الواجب انك شجاع مثل أبيك . .

ـ وأعرج مثله ! وأخشى ان يمنعنى العرج من الاشتراك فى القتال . .

ـ بوسعى الآن ان أضرب عنقك يا كونراد الأعرج ابن الأعرج . .

ـ ولكنك لن تفعل أيها المولى ، لأننى أعزل وضعيف ، فقتلى جبن . أما أنا ، فقد هاجمتك وأنت على صهوة جوادك والسلاح بيدك !

لم يأمر صلاح الدين بضرب عنق الأعرج ، ولم يحتفظ به أسيرا فى قلعة ، بل أطلق سراحه بعد ان قطع كونراد على نفسه عهدا بأن يبقى فى أملاك السلطان ، ولا يهرب عائدا الى أهله وقومه . وكان الناس فى ذلك العهد يثقون بالعهود ويحترمون المواثيق ، ويرتبطون بكلمة الشرف !

وعلم صلاح الدين من أسيره انه واحد من مئات العمال الذين ساهموا فى بناء قلعة « معبر الأردن » وانه يعرف الممرات المؤدية الى داخلها ، وأسرار أبوابها الخفية ودهاليزها وملتوياتها ، فأحاطه بعنايته ، وشمله برعايته ، وعول على استخدامه فى مهاجمة ذلك الحصن المنيع

وانقاد الشاب للسلطان بعد ان عاش فى معيته بضعة شهور ، فأصبح له أطوع من بنانه ، ورضى بأن يكون لجيشه دليلا ، وله مساعدا . .

جنح كونراد الأعرج الى خيانة قومه ، فهل فعل ذلك طمعا فى المال ، أو اعجابا بصلاح الدين ، أو حبا فى الجاه على أمل ان يوليه السلطان الحكم فى مقاطعة أو حصن أو برج ؟ هذا ما لا سبيل الى البت فيه . . فقد انقلب الجندى الصليبى الى حليف لصلاح الدين وكان لهذا الانقلاب أثره فى سقوط قلعة الأردن وتدميرها

فى الرابع والعشرين من شهر أوغسطس ١١٧٩ ، ظهرت طلائع الجيش الأيوبى فوق التلال المواجهة لمعبر الأردن ، وكان صلاح الدين يقود الجيش بنفسه ، ومعه كونراد الأعرج . وكان الملك بلدوين قد علم بزحف المسلمين على القلعة فاستعد من ناحيته لارسال حملة تشد أزر الحامية المرابطة فيها . فاعتزم صلاح

الدين ان يهاجم الأسوار قبل ان تصل تلك الحملة فتأخذه من الخلف

واستمر الهجوم خمسة أيام بلا انقطاع . وفى التاسع والعشرين من شهر أوغسطس ، سقط البرج الأكبر المشرف على مدخل القلعة ، فانهار على الجنود المدافعين عنه ، وتدفق المسلمون من تلك الثغرة الى الداخل . وقد تم نسف البرج . وبث الألغام تحت الأسوار ، وتوجيه الهاجمين فى دهاليز القلعة ، بمعرفة كونراد الأعرج وواسطته . وكانت أوامر صلاح الدين صريحة واضحة : يقتل المدافعون عن الحصن ، ويؤخذ الذين يلقون السلاح أسرى ، وتضرم النيران فى القاعات والمستودعات ، وتدك القلعة دكا ، بحيث لا يبقى لها أثر تراه عين !

وشهد قائد فرسان الهيكل خراب حصنه ، فألقى بنفسه فى النار ومات حرقا ..

وكان انتصار صلاح الدين تاما كاملا !

ومن غرائب ذلك اليوم المشهود ، ان جماعة من النصارى الشرقيين كانوا يحاربون تحت راية صلاح الدين الأيوبى ، فضلا عن تعاون كونراد الصليبى معه ، وان جماعة أخرى من المسلمين التركمان كانوا يساهمون مع فرسان الهيكل فى الدفاع عن القلعة مما يدل على ان الحروب الصليبية كانت قد فقدت كثيرا من صبغتها الدينية ، وتحولت الى عراك سياسى للفتح والسيطرة .

* * *

أمر صلاح الدين بأن يساق الاسرى الى دمشق ، ريثما ينظر فى أمرهم .. وقيل له ان بين أنقاض القلعة جريحا من الافرنج يعالج حشرجة الموت ، ويطلب بالحاح ان يحمله الجند الى السلطان ، أو ان يتكرم السلطان بالذهاب اليه حيث هو ، قائلا : ان صلاح الدين الذى يعترف الافرنج بكرمه وشهامته ، لن يضن عليه بهذه النعمة ، ولن يرفض ارادة رجل مشرف على الموت ..

ذهب السلطان الى الجريح ، فاذا به أمام شيخ ذى هيبة وجلال ، ينزف الدم من جميع أنحاء جسمه . وقد أغمض عينيه ، وانتابته رجفة عامة ، وجعل يئن من الألم . ويتمتم بصوت خافت :

« صلاح الدين ... كونراد ! ..

صلاح الدين .. كونراد ! ... »

اقترب السلطان منه ، وانحنى عليه ، وأخذ رأسه بين يديه ، وأسنده على صدره ، وخاطبه ببشاشة ولطف :

— أنا صلاح الدين ..

— آه ! .. الحمد لله !

— ومن أنت ؟

— فيليب الأعرج ..

— أبو كونراد ؟

— نعم ، أبو كونراد الذى يقيم عندك منذ وقوعه فى الأسر ..

ـ أتريد ان تراه ؟

ـ أحي هو أم ميت ؟

ـ حي يرزق !

استجمع الرجل قواه ، ورفع رأسه ، وفتح عينيه ، ولمع في نظراته بريق الأمل والرجاء، واستطرد قائلا:

ـ أنبئني بالحقيقة أيها المولى ، فأنا أريد أن أموت هادىء البال ، مرتاح الضمير ، منشرح الفؤاد .. قيل لى ان ولدى قد حاد عن السبيل القويم، وخان قومه وعشيرته ، وباع نفسه لك يا صلاح الدين .. وانه جاء في معيتك الى هنا ، متخفيا في ثوب بدوى عربى

ـ من قال لك هذا ...؟

ـ تتناقله الألسنة في كل مكان .. وقد حاولت ان أعثر له على أثر في خلال المعركة فلم أوفق .. وأنا الآن أودع الحياة يا صلاح الدين .. ولا أريد ان أفارقها ، قبل ان تطمئن نفسى ، واعلم اذا كان ولدى باقيا على عهده لمليكه وقومه ، أم حنث بالعهد وخان الملك والقوم ؟ آه .. لو تحققت مخاوفى ، لمت حزينا كئيبا كسير الخاطر ، ملعونا من الناس !

ـ واذا كان ماقيل لك غير صحيح؟

ـ أفارق هذا العالم فرحا ممتنا شاكرا .. فخير لى ان يكون ولدى قد مات شريفا ، من ان يعيش خائنا !

خارت قوى الأعرج بعد هذا الجهد الذى بذله لمخاطبة صلاح الدين ، فأمر السلطان بأن يعد فراش من العاطف والأعشاب، وظل جالسا بقربه يواسيه ويلاطفه ..

وعمد صلاح الدين الى الكذب فأخفى عن المسكين حقيقة أمر ولده :

ـ ان ابنك يا فيليب أسير في دمشق ، لكنه حر في التنقل داخل المدينة . وقد غشك من قال لك انه خائن ! فباركه قبل موتك ، وامنحه رضاك الأبوى ، واذكره في العالم الآخر .. انه شهم همام جدير بأبيه الشهم الهمام ! ..

فارتسمت على فم الأعرج ابتسامة الفرح والحبور . وانبسطت أساريره، فأخذ يد صلاح الدين فى يديه المرتجفتين ورفعها ببطء الى شفتيه ، وطبع عليها قبلة فاضت بها روحه صاعدة الى خالقها ، وهو يتمتم بهذه الكلمات :

« شكرا ! .. الحمد لله ! »

وكان كونراد على بعد خطوات من أبيه ، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب منه.

مات فيليب الأعرج مطمئن البال سعيدا، بين يدى صلاح الدين الأيوبى، الذى التفت الى الابن الخائن وقال :

ـ لقد اشتريت حريتك بثمن باهظ يا كونراد .. عد الى قومك ، واستغفرهم لما بدر منك ، اذا كانوا على علم بخيانتك .. أو احتفظ بالسر مكتوما في صدرك ، اذا كانوا يجهلون ما حدث .. اذهب !

حبيب جاماتى

فقد بصره منذ عام ، فلم يترك طبيبا رمديا الا استشاره ، ولكنهم أجمعوا على ان العلة غير معروفة ، حتى يمكن معرفة الدواء ، وهو الآن فى غرفة الاستراحة بعيادة أحد كبار الجراحين ، ينتظر فى قلق قرار الطبيب فى شأن التشخيص والعلاج . أتراه يقول له ما قاله الاطباء الآخرون ؟ أم يخالفهم فيفتح أمامه بابا من أبواب الرجاء ..؟

وكان الطبيب فى غرفة الفحص ، يتحدث إلى مساعده ، ويسأله رأيه فى هذه الحالة . وقال الطبيب المساعد انه لم يجد أى خلل عضوى فى العينين ، ولا فى أعصاب البصر ، ولا شيئا يدل على خلل فى المخ . وقال الطبيب الكبير ان هذا هو ما أراه .

ولكنهما لم يقولا للمريض شيئا من هذا ، وانما سألاه عما اذا كان أصيب من قبل بصدمة عاطفية ، أو بانفعال شديد ، أو قاسى عما قليلا ، أو هو كاره لعمله غير مرتاح اليه ؟ وتبين لهما انه منى بخيبة أمل بالغة ، اذ كان يمنى نفسه بمنصب أكبر من منصبه فى الشركة التى يعمل بها ، ولكن المنصب طار منه فجأة بعد أمل كبير وانتظار طويل ، اذ شغله الرئيس بأحد أقربائه ، فأحدث ذلك فى نفسه كمدا بالغا

وتبادل الطبيبان النظرات ، ثم قال له أكبرهما : « انى أعتقد الآن اننا

أنجــع دواء

اهتدينا الى أصل علتك ، وهى غشاوة رقيقة على الحدقتين ، تزول بجراحة بسيطة ، يرتد بعدها اليك بصرك »

ولم يكن هذا صحيحا ، ولكنه عرف ان هذه الحالة من حالات « العمى البسيكولوجى » وهو داء مبعثه الوهم ، اذ يعتقد المصاب انه لا يبصر ، لان الصدمة التى تلقاها أحدثت تأثيرا نفسيا شديدا ، جعله يحاول بعقله الباطن الفرار من الحقيقة ، « ويعمى » عن مواجهة هذا الموقف الذى لا يطيقه

وقد أدرك الطبيب الخبير ان « الايمان » وحده هو العلاج ، وانه يجب اقناعه بامكان استرداد بصره ، وذلك لا يقتضى شرح الحالة على حقيقتها ، فأدخل المريض غرفة الجراحة ، وسمع الجراح يستعد للعمل ، وشعر بالممرضة داخلة تحمل الادوات والمعدات ثم تقدم الجراح فخدره ، وراح يسكب فى عينيه سائلا لا ضرر منه ، ولكنه يحدث آلاما كوخز الابر فى جفنيه

واستيقظ المريض فوجد عينيه معصوبتين ، وسمع الطبيب يقول : « الآن رد اليه بصره ، وفى امكانه ان يغادر الفراش بمجرد رفع الضمادة عن عينيه » ، ولبث المريض يرقب رفع الضمادات واحدة بعد الاخرى ، فى لهفة وقلق ، حتى أزيلت الاخيرة

إيمانك بالشفاء

منها ، وما ان فتح عينيه حتى صاح من فرط الدهشة والفرح «انى أبصر»!

* * *

وقد حدث أثناء الحرب الاخيرة ، ان لجأ جندى الى حفرة أحدثتها قنبلة، وشاءت الاقدار ان تسقط قنبلة أخرى على مسافة قريبة أهالت عليه الردم ، ومنذ تلك الساعة انعقد لسانه ، ولم يعد ينطق حرفا ، وقد عمد أحد الاطباء الى استخدام التنويم المغناطيسى فى علاجه ، فأوحى اليه أنه سيجرى له عملية جراحية سوف ينطلق لسانه بسببها بعد ان يفيق من التخدير .. وتقدم الطبيب فأحدث بحلقه خدشا بسيطا ، وقال له : « انتهى كل شىء» وأنت الآن تستطيع الكلام .. » ثم ألح عليه حتى نطق ببعض الكلمات. ولما عاد فى اليوم التالى ، أمره بالنوم مرة أخرى ، ثم أيقظه وقال له انه شفى تماما .. فلم تلبث قدرته على الكلام ان عادت اليه

* * *

لقد بدأ الاطباء يدركون قيمة الاثر الذى يحدثه العقل والايمان فى شفاء كثير من الامراض ، فقد دلت البحوث الجديدة على ان حالة المريض النفسية تؤثر فى ضربات القلب ، وتزيد فى مقدار ما يصل الى المعدة من الدم، أو تنقصه ، وتغير أحيانا لون الاغشية المخاطية فى الجسم ، كما قد تحدث اضطرابا عاما فى الغدد ، وكذلك ثبت ان الايمان الوثيق — وهو نقيض الخوف والقلق — يفعل فعل السحر ، فيأتى بالشفاء فى كثير من الحالات

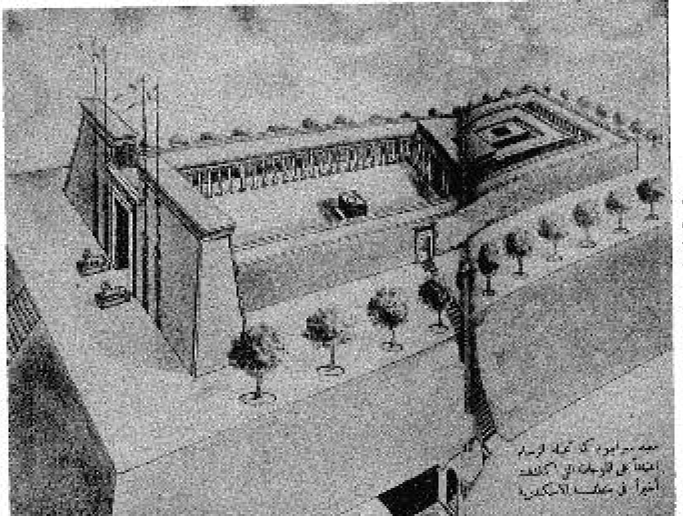
وقد جرب الاطباء فى احدى الجامعات مصلا جديدا ضد البرد ، فهبطت اصاباته بين الطلبة سبعين فى المائة ، ولكن الاطباء كانوا أوهموا عددا آخر من الطلبة بأنهم أعطوا المصل ، وان كانوا فى الحقيقة لم يحقنوا بشىء غير قليل من سائل لا أثر له فى العلاج فهبطت الاصابات بينهم — بفعل الوهم — سبعين فى المائة أيضا ، ذلك ان اقتناعهم بأنهم تناولوا دواء شافيا من المرض ، كان كافيا لسلامتهم منه

حتى الالم يزيله الايمان ، فلقد عرف الاطباء — فيما عرفوا — ان حقن مريض تحت الجلد بالماء كثيرا ما يخدر العضو الذى يشعر بالألم فيه ، اذا هو اقتنع بأن الحقنة تحوى شيئا من مخدر ، ومدمن المخدرات نفسه، يسكن حنينه اليها ، اذا ما حقن بقليل من الماء المقطر ، وحمل على ان يعتقد بأن فى الحقنة المادة المخدرة التى يتحرق عليها

ان الايمان قد يفعل بالمريض ما لا يفعله الدواء ، وهو مع الدواء يقرب الشفاء

[عن مجلة «مجازين دايجست»]

معبد السرابيوم



معبد سرابيوم كما تخيله الرسام اعتمادا على اللوحات التي اكتشفت أخيرا في منطقة الاسكندرية

وفق الغطاسون الذين يعملون باشراف متحف الفن اليوناني الروماني بالاسكندرية الى الكشف عن عدة لوحات في المكان الذي يقوم فيه عمود بومبي ، المعروف بعمود السواري ، تشير اشارة واضحة الى مكان المعبد المشهور باسم « سرابيوم » الذي كان مخصصا لعبادة سرابيس ، في عهد البطالسة . وتضمن ان الملك بطليموس الثالث (٢٤٧–٢٢١ قبل الميلاد) هو الذي شيد هذا المعبد الفريد في نوعه ، كما شيد بطليموس الرابع (٢٢١–٢٠٣ قبل الميلاد) معبدا آخر بجوار السرابيوم لعبادة هربوقراتوس ابن سرابيس .

أما اللوحات المكتشفة فهي من الذهب والفضة والبرونز والزجاج والقيشاني والآجر ، وعليها كتابات بالهيروغليفية واليونانية القديمة .

وعلى ضوء المعلومات السابقة والحاضرة ، تمكن رسام المتحف ، الاستاذ بديع عبد الملك ، من اعادة رسم معبد السرابيوم كما يرجح انه كان في عهد ازدهاره على هذه الصورة التي نراها هنا مع هذا الكلام ، أي خليطا من فن البناء المصري والاغريقي القديم .

وقد كان المعبد محفورا في قطعة صخرية ضخمة ، تحيط به عدة أعمدة ، تحجب خلفها الحجرات المخصصة للكهنة ومعاونيهم . وقد اكتشفت بقايا ساعة مائية كانت تحدد بوساطتها مواعيد الخدمة الليلية . ويرجح ان الصعود الى المعبد كان يتم بوساطة درجات محفورة في الصخر ، وان تماثيل لابي الهول كانت قائمة أسفل الابواب ، وتماثيل أخرى في داخل المعبد للاله بلوتون الذي عرف في مصر باسم سرابيس ، وللالهة ايزيس التي اعتبرت زوجته في عهد البطالسة . ويغلب على الظن ان الذين بنوا المعبد قد أعدوا في ناحيته الشرقية سلما يؤدي الى بئر وضع فيها مقياس النيل ، وان المياه كانت تتسرب الى البئر من قناة تحت الارض تتصل بقناة الاسكندرية الكبرى



حين يفكر الكاتب فى أى كتبه أحب اليه ، يشعر بمزيد من الحب والايثار للكتاب الذى أحدث أكبر ضجة بما أثار من خلاف فى الرأى وتنازع فى النقد والتقدير

أحب كتبى إلىّ..!

بقلم محمود تيمور بك

ان الكتب كفلذات الاكباد ، كل منها حبيب الى النفس ، موضع للرضا والاعتزاز ..

على ان الأبناء يختلفون فى منازلهم من الآباء ، ومهما قيل من ان الأب يشعر نحو أبنائه جميعا بحب فياض ، فان الواقع يثبت ان هنالك من الأبناء من له مكانة من أبيه تفوق مكانة اخوته . وهذا يرجع الى مميزات خاصة تبرز هذا الابن ، وتجعل له المقام الملحوظ ..

ولا تظنن ان الابن الطيع الوديع الذى لا تحس له صوتا ولا حركة هو الذى ينال أوفر العطف والتقدير من أبويه ، بل انى لأرى على عكس ذلك ان الابن المتميز بشخصية قوية يحاول بها ألا يخضع الخضوع التام ، وألا يساير العرف بطاعة عمياء ، وان يحدث فى المنزل نوعا من الحركة والضجة ، وأن يدفع أبويه الى مجادلته ومناقشته ومحاولة اقناعه ، هو الابن الذى يكسب من أبويه سخيا من التقدير والاكبار ..

فالكاتب حين يفكر مليا : أى كتبه أحب اليه ، وأيها امتاز بشخصية تعلى مكانته عنده ، فانه يشعر بمزيد من الحب والايثار لما أحدث من كتبه أكبر ضجة بما أثار حوله من خلاف فى الرأى وتنازع فى النقد والتقدير .. فأثبت بذلك ان له شخصية ممتازة ، وأنه قد اختط لنفسه خطة جديدة يغاير بها مألوف العرف والاعتياد ..

ولا ريب عندى فى ان أعسر الكتب بالتفاهة ، هى تلك التى لا تثير عاطفة من أى لون ، فشأنها كشأن ما هو مألوف من الموضوعات ومستقر من المسائل ..

ولعل من الخير ان نقف لحظة فى هذه المناسبة نتناول تلك الظاهرة الاجتماعية ببعض الحديث ، ظاهرة ان الاجماع على مقابلة الشىء بالسكوت والرضا ليست الا برهانا على ان هذا

الشيء ينطوى على تفاهة تهبط به الى المستوى العادى ..

الناس ألوان فى الذوق والفهم ، فالعمل الجديد الطريف تختلف فى قبوله الأذواق والافهام ، ولكن ألوان الناس المختلفة أذواقها وافهامها لا يجتمع رأيها الا على شيء مألوف متعارف يجرى على الأنماط التقليدية التى لا تثير استغرابا ولا تذكى فى النفس التطلع والتشوف والتفكير ، فهذا الشيء يفقد بلا ريب أى مميز خاص تتغاير فيه الأذواق وتتضارب الافهام

واننا لنعرض شخصيات التاريخ مثلا ، فاذا عبرنا منها هؤلاء الذين لم يثيروا حولهم شقاقا ، ولم تلعب بهم العواصف ، ألفيناهم يزاولون الحياة على أوضاعها المستقرة ، فعصرهم تكرار لعصور مطويات ، وحياتهم تقليد لحيوات سوالف ، فأما الثائرون الذين خاضوا المغامرات ، وكانت عهودهم ملأى بالانقلابات ، فأولئك الذين كانت أعمالهم عليها طابع التجديد والتغيير ، فهم خطوة من خطوات الانتقال والتطور على أية حال

وقصارى القول ان الخلاف على شيء برهان حيويته ، وان الاعجاب والسخط معا دليل على ان الشيء الذى أثارهما ليس بالشيء التافه المبذول ، وليس بالامر الهين المألوف الذى يقابل بالرضا العام

وانى اذ أتصفح مؤلفاتى على ضوء هذه الفكرة ، أرانى أشد كلفا بكتابى «حواء الخالدة» ، ولا غرو ان تكون له هذه المكانة من قلبى ، بما قوبل به من جموع القراء وجمهرة النظارة من عواطف متباينة بين اعتدال وافراط فى السخط والاعجاب ..

« حواء الخالدة » مسرحية بطلاها « عنترة » و « عبلة » لا كما رسمها التاريخ التقليدى والاسطورة الشائعة ، ولكن كما تمثل كلاهما لى انسانين بغرائزهما البشرية الاصيلة ، ونزعاتهما الثابتة ، فقد استلهمت من التاريخ هيكل هذه القصة ، ولم أخرج على الخطوط الرئيسية فى تصوير الشخصيتين المعروفتين فى الاسطورة والتاريخ ، وما يحيط بهما من بيئة عربية خالصة ، ولكنى رميت الى ان أودع هذا الهيكل روحا انسانيا أصيلا للنفس البشرية يعايش كل زمان ومكان ، ثم تركت لهذا الروح ان يحرك الاشخاص وفق الغرائز العتيدة والمشاعر الثابتة ..

ولم يكد يظهر هذا المؤلف على هذا النحو وتجلوه منصة المسرح حتى انقسم النقاد فى شأنه ، فمنهم من رأى فيه شقا لأفق جديد فى كتابة المسرحية التاريخية يجدر ان يكون موضع الرضا والاستحسان ، ومنهم من رأى فيه خروجا على العرف والتقاليد فى تصوير التاريخ ، وتناولا له بالتصرف والتغيير قد يكون فيه حرماننا الاستمتاع

بالتاريخ والاسطورة كما سجلتهما بطون الكتب والاسفار

ولست الآن بصدد الموازنة بين الناقدين وتقدمهم ، ولكني أستخلص من كلا الرأيين المتنازعين انمسرحيتي « حواء الخالدة » قد تميزت بتلك الشخصية التي أثارت حولها ذلك الخلاف ، ومن ثم تستأثر من نفسي بأوفر الحب والاعزاز ..

يرجع تفكيري في هذه الرواية الى عشر سنين خلت ، اذ وقع في يدي كتاب ذو مجلدات أربعة ، هو قصة « عنترة » وضعها مستشرق انجليزي، فما ان قرأت الكتاب حتى استهواني موضوعه وشخصياته ، واجتذبتني منه صورة الحياة البدوية في العصر الجاهلي

وقد يكون عجبا ان يشوقني الى الحياة العربية كتاب يؤلفه أوربي ، ولكنها ظاهرة نفسية طبيعية لا شذوذ فيها ، فان من عاش في جو لا يلبث ان يألفه ، فتغيب عن فطنته مفاتنه ، حتى اذا جاء أجنبي طارئ سحرت عينه تلك المفاتن،وملأت قلبه اعجابا، فمضى يجلوها أمامنا في مظهر طريف يشعرنا بما لها من روعة وجمال ..

كان هذا الكاتب الاوربي حاديا لي على ان أستزيد من درس شخصية « عنترة » وعصره ، وان أجمع ما أستطيع جمعه مما يتصل بموضوعه ، حتى اني لم يفتني ان أستمع الى الشاعر ذي الربابة في جلسات خاصة، وأن أملأ دفاتري مما وعاه صدره ..

فلما استوفيت البحث والدرس ، لبثت أفكر : كيف أتناول موضوع « عنترة » ؟ وعلى أي نحو أخرجه ؟

وتضاربت في رأسي الافكار والصور ، أأخرج دراسة تاريخية على نهج علمي فيه تحقيق وتدقيق ، وفيه استقراء وتمحيص ؟ أم أدبج الاسطورة الشعبية كما هي بأسلوب عصري ، دون ان أمس جوهر الاسطورة وأحداثها بتغيير أو تبديل ؟ أم أعالج اخراج شخصية « عنترة » متناولا اياها تناولا فنيا على وضع قصصي ؟

وشغلتني موضوعات أخر، استأثرت بوقتي وجهدي ، فتركت تراث عنترة في مكمنه الى حين .. ويبدو لي ان العقل الباطن لم يتركه ، وانما كان وثيق الصلة به في غفلة مني . وما هي الا ان وجدتني بغتة شديد الولع بكتابة مسرحية تقوم على دعائم من شخصية « عنترة » .. وقد أمضيت في كتابة هذا الموضوع قرابة عام ، بين صوغ للفكرة ، وبين تحبير وتحرير ..

فلما أتممت المسرحية نفضت الغبار عن تراث « عنترة » من الكتب والدفاتر ، أعارض وأقابل ، فراعني ما وجدت من تفاوت وتباعد بين ما سطره القلم وبين القصة التاريخية أو الاسطورة الشعبية فيما يتعلق بنفسية « عنترة » و « عبلة » . فهذه النفسية فيما كتبت انا مختلفة عنها في

بطون الكتب والاسفار ..

فأنكرت صنيعى بادىء بدء، وكدت أعود الى مسرحيتى أغير أسماء أبطالها، لأنفى عن الاذهان انى أقصد «عنترة» و «عبلة» العبسيين !

ولكنى راجعت نفسى ، وتدبرت الأمر فى روية وأناة، فرأيت ان أطالع الناس بما كان من صنيعى ، اذ اقتنعت بأن المسرحية وان لم تكن موافقة للتاريخ فى أحداثه الشائعة ، فهى على يوافق فهمى للمذهب الفنى فى اكتناه النفس البشرية بين أبطال التاريخ ..

ولقد شجعنى على ان أخرج عملى على هذه الصورة التى رضيتها أنى لا أعرف قيدا يلزم الكاتب ان يقف جامدا خلف حدود التاريخ وتقوله كما هى حين يتناول أبطاله فى عمل قصصى .. فلكل كاتب مطلق الحرية فى أن يتخيل ما يشاء ، ما دام يترسم شيئا واحدا هو الصدق بمعناه الفنى، ويتجنب شيئا واحدا هو الكذب على حقائق الحياة وطبائع البشر

ولذلك كان أول ما همنى فى عمل أن أراقب نفسى ، وان ألتزم صدق الأداء والتعبير فى المظهر والمخبر : لا أكذب على الحياة العربية التى هى مظهر القصة ، ولا أكذب على طبائع النفس الانسانية الاصيلة التى لاتبديل لها فى زمان أو مكان ، وهى المخبر واللباب فى كل عمل فنى قويم ..

على أننى حين فرغت من وضع هذه المسرحية ، وتمثل لى تباعد الصلات بينها وبين ما كنت أعددته من الاسانيد والنقول فى موضوع « عنترة » ذكرت قصة لأحد أعلام الكتاب المعاصرين ، ولعله « ولز » أو « أسكار ويلد » ، ومجمل القصة ان أحد أمراء الهند كان مغرما بزوجه يهيم بها أشد هيام ، فلما قضت فى ريعان شبابها أدركه الجزع عليها ، فأراد ان يخلد ذكراها لتبقى أمام ناظره يتملى طيفها طول عمره ، وراح يشيد لها ضريحا رائعا يضم تابوتها ، وصرف الاعوام ينمق ويزخرف ، حتى صار الضريح فى نظره عملا فنيا يستهوى الفؤاد ، ولكنه لم يكن يقنع بما بلغه من تجود فى البناء والتزويق ، فكان يغير ويبدل حتى بلغ ما أمل . ويوما ذهب يستمتع بما شيد وأبدع ، فاعترض عينه شىء لم يجده ملائما لروعة ذلك النصب ، فأمر أتباعه بأن يلقوا بهذا الشىء فى مكان بعيد ، ولم يكن ذلك الشىء الشاذ الا التابوت الذى من أجله أقيم البناء !

والشبه بين موقفى من قصة « عنترة » وموقف الامير الهندى من تابوت زوجه أننا معا كنا مدفوعين الى عملنا بدافع أساسى ، ثم لم يلبث هذا الدافع ان أصبح ثانوى الشأن، واحتل مكانه العمل الفنى الذى تفرغنا له،وأوليناه من عنايتنا جهدالمستطاع!

محمود تيمور

ستّ البيْت

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« ابنتى أمينة . . .

هذه صورة ظللت حريصة عليها حتى أسلمتها اليك، فأحميها أنت، حتى تسلميها الى ابنتك مع دعوات أم ..»

أصغيت اليها وهى تتحدث عن نساء العرب فى صدر الاسلام حديثا يفيض حماسة واعجابا، وتمجد الجزيرة التى أنبتت هذا النبات الزكى الطهور، ثم راحت تقارن بين بطلات الأمس ، وبين الفتيات العصريات ، هؤلاء اللواتى خلبتهن الأضواء الساطعة ، فاندفعن اليها مفتونات ، ونسين ما يجب للفتاة العربية من وقار واتزان

وأحسبنى نسيت واجب المجاملة ، حين سألت ضيفتى ان تترفق بفتيات هذا الجيل ، فقد حملن عبء الانتقال ، وشهدن حركة انقلابية من أعنف ما عرف الشرق فى تاريخه الاجتماعى الطويل . ثم سألتها ان كانت المرأة العربية فى صدر الاسلام قد برئت من النقص ، وتنزهت عن العيب ، وترفعت عن الخطأ ، ونجت من التأثر بنوازع النفس البشرية والخضوع لأهوائها ؟ فكان جواب الزائرة الفاضلة ، انها لا تعرف مثلا أعلى تضعه أمام أعين بناتنا سوى هؤلاء المسلمات اللواتى سطعت بنورهن سماء الجزيرة

قلت فى ايمان : لكنى أعرف . .

فسألت : من تلك ؟

أجبت : « ست البيت »

صور من الحياة

وتراءت لى من بعيد صورة رائعة الحسن باهرة الجلال ، تتوثب حركة وحياة ، وان كانت صاحبتها قد مضت من زمان . . مضت ولن تعود . .

كانت « ست البيت » وكانت فى الوقت نفسه خادمته الاولى ، بل خادمته الوحيدة ، وراعيته الأمينة، وحارسته الساهرة على سلامته، وكل من فيه نيام

نشأت نشأة منعمة ، فى بيت عريق من بيوتات مدينة تاريخية عريقة ، وذاقت فى حداثتها الأولى ألوانا من النعمة ، كما شهدت من الأحداث والخطوب ما روعها وهى بعد صبية

تدنو من عامها العاشر . وأمسك قلمي الآن فلا أروي من قصتها حرفا ، اشفاقا على الأحياء من أبطالها ، وفيهم جريح مضرب لما يندمل جرحه، وفيهم شيخ يحمل أعباء السنين ، لكنما أمر بهذه القصة مسرعة ، لأقف بأحد هذه المجالس التى كانت تلتقى فيها نسوة الحى ، وقد طاب لهن ان يعقدن مقارنة بين تلك الشابة الحضرية الناعمة، وبين زوجها الريفى الذى انحدر أبوه من الصعيد الأعلى فى هجرة ضالة ، ثم استقر فى احدى قرى الشمال وتزوج من بناتها

على أن النسوة لم يرين عجبا فى ان تتزوج سليلة بيت عريق فى المدينة، من الفتى الريفى الشيخ ، وانما دار الحديث حول ما اشتهر به الزوج من كرم وصلاح ، وزهد وتقشف ، وما عرف عن الزوجة من الحرص والأناقة وقد وصفن ما يلقى كلاهما من عنت بصاحبه : كان يرهقها بما يتمسك به من خشونة فى العيش ، ويريد لها ان تنزل عما اعتادته فى بيت أهلها من نعمة وترف ، ويفرض عليها أن تبيح كل ما فى البيت للضيوف والنزلاء . وكانت هى بدورها ترهقه بكبريائها وأناقتها ، وحرصها على ان يستمتع أبناؤها بالعيش الطيب ، والمظهر اللائق الكريم

وكن يروين قصصا ونوادر عما يلاقى ونلقى ، ويبدين اعجابا بالزوج الصالح الكريم، واشفاقا على صاحبتهن من اغضابه ، وفيه سر من أسرار الاله ، وله كرامات بينات لاينكرها الا جاحد أو مكابر ..

وكنت مثلهن ، أحذر عليها من غضبة الشيخ ، فأنا أغدو اليها كل صباح ، مشفقة ان أجد مكانها من البيت خاليا ، وأنا أغادرها كل مساء، وفى وهمى انه الوداع الذى لا لقاء بعده ..

وأرهقنى خوفى عليها يوما فسألتها فى تردد وعلى استحياء :

ــ أولا تخشين غضب الله كلما خالفت زوجك ؟ فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة رحيمة مؤمنة :

ــ كلا يا طفلتى ، فان الجنة تحت قدمى هاتين .. ومست الأرض بقدميها الصغيرتين ، ثم مضت عنى الى شئون البيت : ترتب أثاثه ، وتهذب مظهره ، وتراجع ميزانيته ، وتحصى ما اختزنته من مؤن ، ثم التفت الى صغارها فنسيت فيهم الدنيا والناس!

* * *

وعشت الى جانبها أعواما ، فآمنت بها كما لم أومن بالقديسين والشهداء كان لها رأيها الخاص فى الدين والتدين ، وفى الفضيلة والخلق ، وفى الخير والشر . فليس الدين عندها أداء آليا للعبادات ، واقامة صماء للشعائر ، وتلاوة جامدة للآيات ،

وانما هو ايمان قلبى بالله ، واطمئنان نفسى الى رحمته ، واخلاص فى خدمة ما وهبها من صغار ضعاف ، وصبر على تكاليف الأمـومـة . وليست الفضيلة عندها معانى مجردة ، وتقاليد ملقنة،وانما هى فى تعهد عالمها الصغير، واحتمال المشقة والأذى فى سبيـل حمايته. فالتدين ، والكرم، والايثار، والرحمة ، والصبر ، معان لا تعرفها الا فى دنياها : فى بيتها وأبنائها ..

وليس يعنيها وراء ذلكان يتهمهاغافل بالتساهل فى أداء بعض العبادات ، أو تتحدث نسوة عن حرصها ، وضجرها بضيوف زوجها من « الاخوان فى الله»

فليقولوا ما شاءوا، فما كانت قط بخيلة ولا كارهة للضيوف ، وانما وجدت زوجها متلافا فحرصت ، وألفته يبيح كـل ما فى البيت للطـارقين والنزلاء . لا يسألون من هم ، ولا متى يرحلون ، فبحسبهم ان ينتسبوا اليـه بالاخوة فى الله ، والقربى فى الدين ، لكى يؤثرهم بأطيب ما فى البيت من رزق ، ويعطيهـم الـذى يسألون من مال وثياب . فضجرت هى بهؤلاء « الاخوان » الذين ينزلون بهـا فيسلبـون أبنـاءها رزقهـم ، ويسلبونها نعمة الشعور بحرمة البيت

كذلك لم تتساهل فى أداء ماتطيق من عبادات ، وانمـا كانت ترى فى خدمة بيتها ورعاية أبنائها ، شعيرة من شعائر الدين . يقضى زوجها الليل قائما متعبدا ، وتقضيه هى ساهرة على صغارها ، حتى اذا دنا الصبح أدت فريضته على عجل ، ثم غدت مسرعة الى عالمها تدبره وترعاه

ويغادرها الزوج أسابيع وشهورا، يقضيها سائحا جوابا فى البلاد ، يزور آل البيت، ويطوف بأضرحةالصالحين، ويحيى ذكرى مولد كل ولى منأولياء الله ، ثم يشد الرحال فى كل عام الى الحجاز ، يحج بيت الله الحرام، ويزور قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، على حين تظل هى قائمة فى بيتها ، عاكفة على تربية أبنائها ، لا يكاد النـاس يرونها الا رائحة باحدى بناتها الى المدرسة ، أو غادية بصغير لهـا الى الطبيب ، أو ساعيـة بين المتـاجر والأسواق ، تمتار لبيتهـا ، وتقضى حاجات هؤلاء الصغار الذين لا يرون أباهم الا لماما

ويسألها القوم .. ألا يشوقها أن تحج فتصحب زوجها فىاحدى رحلاته السنوية التى لا تنقطع أبدا ؟ فتنقل بين صغارها نظرة تفيض رحمةوحنانا، ثم تهز رأسها قائلة :

— حتى يكبر هؤلاء ..

وارحمتا لك يا غالية .. ! لقد كبر بنوك جميعا ، وأنت .. أين أنت ؟!

* * *

وطال عليها الأمد وهى تجاهـد زوجها عبثا لكى يبقى على فضـل من

المال يؤمن به غد أبنائه ، لكنه أنكر عليها أن تفكر فيهم وفى غدهم ، فان الله موجود ..

احتملت ، وجاهدت ، وصابرت ، وحاورت ، وداورت ، حتى كان الذى لم تحتمله أبدا ..

كثر أتباع الشيخ ومريدوه ، وكانت تقيم مع أبنائها فى دار جميلة ، بأحد الأحياء النظيفة الهادئة ، ولم يكن للاتباع فى هذا الحى مأرب ، فانتقل الشيخ بأسرته الى قريب من المشهد الزينبى ، ثم لم يلبث ان انتقل بها مرة أخرى الى حى الحسين ، ليكون على مقربة من مشاهد الأولياء الصالحين ، الذين يتردد عليهم مريدوه من شتى الأقاليم ..

هنالك أحست « ست البيت » أنها لم يعد لها ولا لأبنائها بيت ، انما هو نزل متنقل ، تقيم فيه لتقوم على خدمة نزلائه من مريدى الشيخ ، فأشفقت على أبنائها من هذا التشرد ، وكرهت لهم ذلك الحرمان من « البيت » والسكنى ، وانطلقت بهم الى دار فى « الريف » محتملة خشونة العيش وجفوته هناك ، ناسية نشأتها الحضرية الأولى فى بيت العز والنعمة

وتركت زوجها . لعبادته ومريديه

* * *

وغدا عليها السائلون يسألونها ، لم هجرت زوجها ؟ فأنكرت أن يكون بينهما هجر أو قطيعة أو جفاء ، فما لها ولا لأبنائها بعد الله سواه . انما رأت جو الريف يلائم صغارها ، ويريح مزاجها ، وللزوج بعد ذلك مكانه الأول فى بيته ، وحظه الأكبر من احترام الزوجة ومحبة الأبناء

لقد كانت ترى سلامة الزوج ركنا فى سلامة البيت ، فحرصت أشد الحرص على ألا يشهد الناس شيئا من خلاف بينهما ، وأصرت على أن يرى أبناؤها فى أبيهم موضع فخرهم ، ومكان عزتهم

وتعود الناس بعد ذلك أن يروه فى القرية من حين الى حين ، ومن حوله أبناؤه يوقرونه ويهابونه ويباهون به ، ثم يعود الى سياحته وجهاده فى طاعة الله ، تاركا بنيه وبيته فى رعاية حارسته الأمينة التى لا تنام ..

* * *

وهناك ... فى قرية نائية منعزلة من صميم الريف ، وفى بيت شبيه بأرقى بيوت الحضر نظافة ونظاما ، رأيتها تضم جناحيها على فراخها ، وتعمل الليل والنهار لكى تهيىء لهم حياة طيبة ناعمة ، لا يعوزها شىء مما ألفوه فى المدينة ، ولها فوق ذلك نعمة الأمن والاستقرار

لقد كانت أمينة على تراث آبائها ، حريصة على أن تعطى أبناءها ما فى دمها من عراقة ونبل ، وتنقل اليهم ما حملته من بيتها الأول ، من أناقة

وعزة . ولم تنس ان تملأ حديقة الدار بالزهور ، فاذا حمل النسيم اليها رائحة الياسمين ــ زهرتها المفضلة ــ هاجت شجونها ، وتطلعت الى الافق البعيد ، حيث دنياها الأولى التى خلفتها ، ثم رددت فى رقة وشجو وأسى :

« زورونى فى السنة مرة ، حرام. تنسونى بالمرة »

« حرام ...

تنسونى بالمرة ... »

ثم لا تلبث ان تثوب الى صغارها ، فتنسى بهم غربتها ، وتنسى شجوها وأساها ..

* * *

وها قد مضت سنون وأعوام ، وما زلت ألمح طيفها يطوف «بالبيت» الذى انهدم بعد موتها ، ويفتش بين الانقاض ، عن أبنائها الذين رحلوا وتفرقوا فى البلاد ، ثم يذرف دمعة على الأطلال : تحية ، ورحمة ، وذكرى ...

بنت الشاطىء
« من الأمناء »

أقوال حكيمة

ــ الى أن يوضع العشاء على المائدة العصرية تكون السيدة الذكية قد عرفت عن جارها ما فيه الكفاية ، والى أن تقدم القهوة بعد انتهاء العشاء تكون قد عرفت عنه أكثر مما تعرفه والدته !

ــ ان الكثير الذى ربحه العالم بالعقل لا يوازى ما خسره بسببه أيضا !

ــ اذا توافر لامرأة قدر من جمال الروح الى قدرين من جمال الجسد ، فهى المرأة الفاتنة

ــ اذا توافرت الصحة والقوة فان آخر ما يزهد فيه الرجل أكلة طيبة وامرأة جميلة

ــ الشفقة والمعونة أمانتان يستطيع كل انسان أن يوجههما الى خصمه

كم تعرف عن دنياك ؟

٥ يستطيع الرجل السليم أن يعيش – في المتوسط – خمسة أسابيع بدون طعام ، فكم يستطيع أن يعيش بغير ماء ؟

— عند الاضطرار يستطيع الرجل أن يعيش بغير ماء خمسة أيام ، وقليل من الناس من يبقى على قيد الحياة بعد عشرة

٥ يأخذ كثير من الرجال والنساء حتى والأطفال ، بالغناء في « الحمام » ، فأي صوت من أصوات هؤلاء أنسب عند ذلك ؟

— صوت الرجل ، وذلك لأن نغمات صوته هي أوطأ النغمات ، والحوائط المتقاربة كحوائط الحمام أصلح في ترديد النغمات الواطئة منها في ترديد النغمات العالية



٥ كيف يقدر العلماء مقدار الدم في جسم الإنسان ، وهل يقدرونه وهو حي ؟

— يقدر العلماء ما في جسم الانسان من دم وهو حي ، وبطريقة طريفة ، تلك أنهم يحقنون الانسان بصبغة ، ثم ينتظرون حتى تدور هذه الصبغة مع الدم فتنتشر فيه كله ، ثم هم يأخذون سنتيمتراً واحداً من الدم ، ويقدرون كم في هذا السنتيمتر من الصبغة التي حقنوها . ثم يحسبون من ذلك على كم سنتيمتر توزعت الصبغة كلها ، فيكون هذا هو حجم الدم في الجسم

٥ كم لتراً من الدم في جسمك ؟ ٣ ألتار ، ٥ ألتار ، عشرة ألتار ؟

— هذا يتوقف على وزن الجسم ، على أن الدم في الجسم المتوسط يبلغ ٥ ألتار

٥ لماذا كان للإنسان – وسائر الحيوان – عينان يبصر بهما ولم تكفه عين واحدة ؟

— ستقول إن العين الثانية للاحتياط ، اذا انقلعت الأولى أو أصيبت بتلف . ولكن ليس هذا بالسبب ، أو لعله ليس كل السبب . فالسبب أن بالعين الواحدة لا يدرك الناظر المسافات ، أما بالعينين فيصلهما من الشيء المنظور شعاعان أحدهما يصنع زاوية مع أخيه ، فهذه الزاوية هي التي تدرك بها العينان المسافات ، فهي زاوية تصغر كلما بعد الشيء المنظور ، وتكبر كلما قرب الشيء المنظور



○ لماذا تخرج الثعابين لسانها في أكثر من مناسبة ؟

— لأن الثعبان ليس له آذان يسمع بها ، فأداة سمعه لسانه ، فهو يخرجه لتحس أطراف الأعصاب التي به كل حركة في الهواء والصوت حركة من هذه الحركات . فلسانه إذن يتسمع لما يجرى حوله

○ هل شرب القهوة في المساء يمنع حقاً من النوم ؟

— نعم ، فالقهوة بها عنصر يسمى «الكافيين» وهو منبه للأعصاب. ولكن الناس يختلفون في درجة حساسيتهم له. ومنهم من يؤثر الكافيين في أعصابهم في بطء زائد، فينامون قبل أن يمنعهم أثره من النوم



○ اليابانيون صغار الأجسام ؛ فهل يرجع ذلك إلى الطقس ، أم الوراثة ، أم الغذاء الذي يعيشون عليه ؟

— ليس للطقس تأثير في ذلك .. ولا شك في أن للوراثة أثرها ، ولكن السبب الأول في صغر الأجسام، هو غذاؤهم الثابت وهو أرز وسمك . وهذان الغذاءان ينقصهما الفيتامينات التي تسبب نمو الأجسام . ومن أجل هذا كان اليابانيون الذين نزحوا الى أمريكا أطول قامة ، وقامتهم تزيد في أمريكا جيلا بعد جيل



○ أي هذه المعادن أثقل : الحديد، أم الرصاص ، أم الزئبق ، أم النحاس ، أم الذهب ؟

— أثقل هذه المعادن الذهب ، فاذا نحن عايرناها جميعاً بالماء ، وجدنا على التقريب أن اللتر من الماء يزن ١٠٠٠ جرام ، ومن الحديد ٧ر٨٠٠ جرام ، ومن النحاس ٨ر٩٠٠ جرام ، ومن الزئبق ١٣ر٦٠٠ جرام ، ومن الذهب ١٩ر٣٠٠ جرام

○ لماذا سمي القلم الذي نكتب به بالقلم الرصاص ، ومن أي شيء تتألف المادة الكاتبة التي في هذا القلم؟

— المادة الكاتبة في قلم الرصاص تصنع من نوع من الفحم يعرف بالجرافيت ، يعجن مع الماء بأنواع جيدة من الطفل ، ثم يسخن بعد تشكيله في أفران خاصة لا يدخلها الهواء ، ثم يضم عليه الخشب بعد ذلك ، وهو من خشب السدر غالباً . أما سبب تسميته بالرصاص ، مع أنه لا يمت الى الرصاص أو الى مركباته بصلة ، فهو أن الجرافيت عند ما اكتشف ظنوه مركباً من مركبات الرصاص ، وما هو بذلك . وزاد هذه العقيدة أن الرصاص اذا خط به كتب خطاً أشبه ما يكون بالخط الذي يرسمه قلم الرصاص

«ابن الهيثم»



كتاب الشهر

غادة الكاميليا الحقيقية

تأليف مرسيل موريت

منذ مائة عام وضع الروائى الفرنسى الكبير اسكندر دوماس الابن قصة « غادة الكاميليا » . ويحتفل هواة الأدب فى فرنسا هذه السنة بالذكرى المئوية لهـذا الأثر الفنى الخالد . فمن هى غادة الكاميليا ؟ ذلك ما توضحه الأديبة الفرنسية مرسيل موريت فى هـذا الكتاب الذى نلخصه لقرائنا

— ١ —

الفجر

في عام ١٨٤٠ ، كان الباريسيون يرون كل يوم ، في شوارع مدينتهم المفعمة بألوان الغبطة والمرح ، عربة زرقاء ، داخلهـا مغطى بستائر حريرية زرقاء ، ويجرها جواد أصيل ، وقد امتدت من نافذتها يد يغطيها قفاز أصفر ، وفيها زهرة من ازهار « الكاميليا » الجميلة ..

تلك هي عربة « ماري دوبليسي » المشهورة باسم « غادة الكاميليا » والتي يعدها التاريخ في مقدمة العاشقات ، ولكنها لم تنعم بالحب وان كرست لهحياتها، وماتت في سبيله ! وقد خلد اسكندر دوماس الابن ذكرها في رواية قصصية ، وأخرى مسرحية ، والروايتان من روائع الادب الفرنسي

* * *

اسمها الحقيقي « ألفونسين بليسي » وقد ولدت في مقاطعة « اورن » بفرنسا. وقضت طفولتها في حانوت صغير حيث كانت الأسرة كلها تعيش في حالة من العوز والفقر

كان رب البيت سكيرا عربيدا ، يضرب زوجتـه ولا يعني بابنتيه : دلفين الكبيرة والفونسين الصغيرة . والأم المسكينة ــ ماري ــ تصارع الفاقة وتشتغل ليلا ونهارا لضمان القوت للطفلتين . وهي تحب زوجها « ماران » حبا طاغيا لا يتقيد ، لأنه جميل ، وقوي ، وشجاع ، بالرغم من عيوبه الكثيرة

انه لا يكتفي بضربها والتهام الطعام الذي أعدته للأسرة كلها وحده ، بل انه ليطردها أحيانا من البيت مع ابنتيها ، حيث يهمن في الطرقات أو يقضين الليل في بيوت الجيران

ثم تعود اليه .. لأنها تحبه !

وفي ليلة ، عزم على احراقها فاضرم النـار في البيت ، واستيقظت المسكينة مذعورة ، فاسرعت الى الطفلتين وانقذتهما باعجوبة ، ولكنها قررت ان تترك ذلك الزوج الأثيم ، ونفذت قرارها

ثار ثائر الرجل ، وراح يبحث عن زوجته في كل مكان يمكن ان تلجأ اليه ، ولكنها أفلتت منه ، وفضلت البقاء مع ابنتيها بعيـدة عنه . وبحثت عن عمل ترتزق منه ، فارسلتها احدى صديقاتها الى أسرة انجليزية كانت في حاجة الى خادم . وتركت ابنتيها وديعة عند بعض قريباتها ، وذهبت فلم ترهما ثانية منذ ذلك الفراق

عاشت الفونسين حيث أودعتها أمهـا عيشة حيوان طليق . فكانت تسرح وتمرح في الحقول والغابات والرياض ، تختلط بالكبار والصغار ، وتسمع من

الاحاديث ما يتفق مع سنها وما لا يتفق . وما لبثت أن انزلقت قدماها فى طريق الفساد . وعلمت المرأة التى هى فى بيتها بما صارت اليه ، وعرفت انها تلتقى بشبان من القرية ، وباناس من الأغراب ، فطردتها من بيتها ، فانطلقت تعدو فى الطريق .. الى بلدة نونان ، حيث يقيم أبوها !..

عادت اليه والى حياتها الأولى ، فجعلت تنظف لابيها البيت وتعد له الطعام، ولكن ذلك الرجل الذى أقفرت نفسه من كل عاطفة شريفة ، والذى تمكن الفساد منه ، لم يكن فى طاقته ان يسهر على ابنته وهى تنتقل من سن المراهقة الى سن الشباب

وادرك هو ان الفتاة زلت ، فاستغل الظرف ، وجعل يمهد بنفسه السبيل لدفع ابنته فى طريق الرذيلة الذى سلكته قبل من تلقاء نفسها

وحاول ان يستعيد ابنته الثانية دلفين ، ولكنها تمردت عليه ولم تعد . وبعد مدة من الزمن ، باع الفونسين لجماعة من الغجر مروا فى القرية ، فنقدوه ثمنها بضع قطع من الذهب ، وأخذوها معهم ..

تلفتت الفتاة الى الوراء ، وودعت البلدة ، وبكت ..

كان عمرها فى ذلك اليوم خمس عشرة سنة !

* * *

تعلمت الفونسين مع اولئك الغجر المسافة بين نونان وباريس ، وكانوا فى الطريق يعلمونها قراءة الكف ، والتسول ، والسرقة !

فلما وصلوا الى العاصمة الكبيرة ، تركوها فى بعض الأزقة قائلين انها تكلفهم غاليا ، ولا تدر عليهم شيئا من الربح

وهكذا وجدت الفونسين بليسى نفسها فى باريس ، وحيدة ، لا تعرف أحدا ولا يعرفها أحد ، وهى فى ميعة الصبا وعليها مسحة من الجمال تلفت الانظار ، بالرغم من اسمالها البالية ، وحذائها الغليظ ، وجدائل شعرها المعقدة

مشت فى الأزقة والشوارع والميادين ، على غير هدى ، مبهورة بما تقع عليه عيناها من غرائب وعجائب ، بين أناس ينظرون اليها مستغربين وجود تلك القروية الساذجة القذرة بينهم ، وظلت تمشى ساعات ، خيل اليها أنها أيام ، حتى عضها الجوع بانيابه ، فوقفت ، وكانت قد وصلت الى ميـدان فسيح ، وفكرت قليلا فى أمرها ..

رأت باب حانوت مفتوح ، فاتجهت اليه ، ودخلت ، فاذا بها بين رهط من الفتيات يتحدثن ويضحكن ويتبادلن النكات . وكان حانوتا تديره امرأة ، لغسل الثياب وكيها

ـ ماذا تريدين يا بنيتى ؟ ما بك ؟ تكلمى !

وقفت الفونسين صامتة جامدة ، فاستطردت المرأة تسأل :

ـ أتبحثين عن عمل ؟

سقطت الفتاة على الارض تعبا وجوعا ، قبل أن تجيب عن السؤال ! فهرعت اليها المرأة وآوتها عندها

* * *

دخلت الفونسين فى خدمة الغسالة، وساعدها شبابها وجمالها ومرحها على التقدم السريع فى مختلف المهن ، من حانوت الغسيل والكى ، الى غيره من حوانيت الخياطة ، وصناعة القبعات ، والفراء ، وبيع العطور ، وأدوات الزينة .

وكانت الفتيات العاملات معها فى تلك الحوانيت ، يسخرن منها ، ويقلن انها نحيلة الجسم ، ضعيفة البنية ، بحيث يصعب عليها أن تجد عاشقا يتولى أمرها

غضبت الفتاة لهذه الاهانة ، واتخذت عشيقا ! وعادت الى سيرتها الأولى فانتقلت من يد رجل الى يد آخر ، وارتقت فى مدارج المجتمع البارسى خطوة خطوة ، فعرفت المطاعم الصغيرة والكبيرة ، والملاهى المتواضعة والفاخرة ، وذهبت الى الحفلات الساهرة والراقصة ، وذاع صيتها سريعا بين رواد تلك الاماكن وطلاب اللهو من الباريسيين

وضاقت بالعمل فعولت على تركه ، وقررت أن تعتمد فى معيشتها على جمالها فقط ، فأصبحت منذ تلك اللحظة من بنات الهوى المتسكعات فى الشوارع وعلى عتبات الملاهى . لكنها عرفت الجوع والحرمان مرة أخرى ، لأن الرجال الذين كانت تقتنصهم لم يكونوا من الراغبين فى اتخاذ خليلات لانفسهم ، بل كانوا من هواة اللذة العابرة والتسلية المؤقتة

وكان أشهر رجل عرفته الفونسين فى تلك الحقبة من حياتها المضطربة ، شابا من مدللى المجتمع البارسى يدعى « نستور روكيلان » رآها واقفة على أحد جسور باريس ، تلتهم تفاحة خضراء ، وهى بادية التعب ظاهرة الجوع ، فابتاع كمية من البطاطس المقلية الساخنة ، ووضعها بين يديها وهو يتمتم : « انهـا لجميلة ! »

* * *

وقفت الفونسين تنتظر مرور المركبة التى تنقـل الركاب من باريس الى الضواحى ، وعند ما همت بالصعود اليها ، زلت قدمها فأوشكت أن تسقط على الارض ، لو لم تتداركها يد قوية وتدفعها الى داخل المركبـة ، حيث كان

عشرون من الرجال والنساء قد أخذوا أماكنهم ، فجلست وجلس بجانبها الرجل الذى أنقذها

كان فى نحو الستين من العمر . ولم يسبق لالفونسين ان عرفته ، ولكنه انطلق فى حديث طويل معها ، فقال انه يراهـا كل يوم ، ويرقب حركاتهـا وسكناتها ، وانه يحبها ويرغب فى مصادقتها . وعرفت منه انه صاحب مطعم مشهور فى باريس ، يدر عليه أرباحا وفيرة ، تجعله قادرا على الانفاق عليها بسخاء

طلب منها ان تصحبه الى المنزل الصغير الذى يعيش فيه وحده فى احـدى الضواحى ، فترددت ، وقالت فى لهجة مغرية : « أريد قبل كل شىء ان اعرفك جيدا . فان وحدة قلبين لا تتم بهذه السرعة ! وانا الآن فى الخامسة عشرة من العمر ! »

لكنها وعدته بان توافيه فى اليوم التـالى ، الى مكان منعزل بالضواحى . وبرت بوعدها ، لذهب معها الى حفلة راقصة فى الهواء الطلق

كان الشبان والفتيات يرقصون ، فاقترب منها أحد الفتيان ، وأخذها بين ذراعيه ، وراح يدور بها فى حلقة الرقص ، ثم عاد بها الى مكانها وقال لرفيقها:

ــ اسمح لى يا سيدى ان أرقص مرة أخرى مع ابنتك !

فنهض الرجل وخرج من الحفلة مع الفونسين !

عاش صاحب المطعم مع الحسناء بضعة شهور . وكان شديد الغيرة عليها ، لكنه طاف بها جميع أماكن اللهو ، وقدمها لكثيرين من أصدقائه . وفى ذات ليلة ، طلب منها شاب وسيم الطلعة ، فى العشرين من عمره ، ان ترقص معه فقبلت . ووضع فى يدها ، اثناء الرقص ، بطاقة باسمه ، أخفتها فى صدرها

وعند ما عادت الى منزلها ، وأوت الى فراشها ، ألقت نظرة على البطاقة وقرأت الاسم : « الدوق دى جيش ! »

وتمتمت الاسم مرة أخرى : « الدوق دى جيش ! . . رجل من النبلاء ! » واغمضت عينيها ، واسلمت نفسها للاحلام اللذيذة !

ــ ٢ ــ

الشهار يحيط الناس بالفونسين بليسى معجبين مهنئين متزلفين : انها جميلة ، وسعيدة ، وعندها من الثياب والفراء والحـلى والتحف ، ما يبعث الحسد الى نفوس أغنى النساء ، واكثرهن تأنقا وبذخا . انها تسكن دارا فخمة، بشارع « جبل الطور » بباريس، مع عشيقها « اجينور دى جيش » الذى لايخفى

حبه ، ويقول ان الحسناء قد ملكت لبه وقياده

الخدم يملأون الدار ، والدوق دى جيش يريد أن تكون خليلته قدوة حسنة بين نساء البيئة التى ينتمى اليها ، ولهذا فقد جاءها بخبراء عهد اليهم ان يلقنوها أساليب التحدث فى « الصالونات » وكيفية المشى والتحية والجلوس والنهوض . ان المجتمع لا يحترم المرأة التى تخطىء فى شىء مما يتعلق بالتربية والتهذيب !

قال الدوق دى جيش يرجع الفضل فى انتقال الفونسين بليسى من بيئة الى أخرى ، وفى دخولها المجتمعات البارسية من بابها الكبير ، متكئة على ذراع رجل من الأشراف ، يغدق عليها النعم ويغمرها بالهدايا

الدوق دى جيش ! اسم من أشهر الاسماء فى فرنسا ، وهو شاب من اجمل شبانها ، وسينعم عليه فيما بعد بلقبين فوق اللقب الذى يحمله ، فيصبح أيضا « دوق دى جرامون وامير بيداش ! »

كانت معه فى حفلة ساهرة عند ما رآها نستور روكيلان للمرة الثانيـة ، ولكنها لم تعرفه . اما هو ، فقد انبعثت من بين شفتيه هذه الكلمات : « انها لجميلة .. جميلة جدا ! »



تعلمت الفونسين من عشيقها النبيل كل ما يجب على امرأة من سيدات المجتمع الراقيات ان تتعلمه ، وساعدها ذكاؤها الفطرى على التقاط كل كبيرة وصغيرة ، من الدروس التى ألقاها عليها العاشق الولهان ، الراغب فى ان تكون صديقته قدوة يقتدى بها بين النساء . وتمتعت الفونسين باحترام تلك البيئة الرفيعة من الأسر الفرنسية ، لانها كانت صديقة لواحد من الاشراف الذين ينتمون اليها ، وكان الناس يسمونها « الدوقة » كأنها زوجة الدوق

ومما لفتت به الفونسين الانظار اليها ، بعد ولوجها المجتمع الراقى ، دأبها على حمل زهرة من أزهار الكاميليا بيدها ، أينما كانت وحيثما سارت

لم تكن وفية تمام الوفاء للرجل الذى رفعها الى ذلك المستوى، بل انها اساءت اليه عدة مرات ، فهجرته وصحبت شريفا آخر هو الكونت دى مونجيون مدة من الزمن . ثم عادت الى الدوق لكى تهجره ثانية وتعود اليه مرة أخرى

فكم عدد العشاق الذين غمرتهم الفونسين بليسى بعطفها وحبها ؟ انه يصعب على المؤرخ ان يحصيهم ، مستندا الى الوثائق الباقية من ذلك العهد . فقد ظهرت الفونسين فى المجتمع الباريسى مع نبلاء فرنسيين ، وتجار وصناع وكتاب وشعراء ، ومع لوردات بريطانيين ، وضباط من الجيش ، وأغنياء لا عمل لهم غير انفاق ثروتهم فى اللهو . وكانت تفاخر لديهم جميعا بذلك التقلب ، دون ان يحمل واحد منهم موجدة عليها بسببه

وسكرت بنشوة العظمة ، فجعلت توقع اسمها : « مارى دو بليسى » بعد ان تركت الاسم الاول « الفونسين » وحورت اسم الأسرة « بليسى » بحيث يظن السامع انها من أسرة شريفة

وكتبت الى اختها دلفين ، ثم الى عمها « مينيل » وكان أبوها قد مات بعد أن تركته بمدة قصيرة . فرد عليها العم ، وردت عليها الاخت ، اما الأم ، فقد انقطعت أخبارها ، وثبت انها ماتت بغير ان يعلم أحد كيف وأين فارقت العالم

ودعت أختها الى موافاتها فى باريس ، فرفضت دلفين وفضلت البقاء فى قريتها ، مع خطيبها الفلاح ، الذى اختارته ليكون رفيق حياتها . فزارتها مارى عدة مرات فى تلك القرية ، والحت عليها ولكن بلا جدوى

سافرت الى المانيا ، فكتبت دائرة الجوازات على جواز سفرها البيانات الآتية: « مارى دوبليسى . من اصحاب الاملاك . طولها متر و٧٥ سنتيمترا ، شعرها كستنائى ، أنفها معتدل ، ذقنها مستديرة ، وجهها مستطيل ، عيناها سمراوان . صغيرة الفم »

وكانت تسعل كثيرا ، ولكن عشاقها لم يعلقوا أهمية على هذه الظاهرة ،

ولم يفطن واحد منهم الى الخطر الكامن فى ذلك السعال المتواصل

طافت بالمانيا بضعة أسابيع ، ثم عادت الى باريس التى تحبها ، والى الوسط الذى زاد شوقه اليها . وتوثقت أواصر الصداقة بينها وبين فريق من الكتاب والشعراء : جوتيه ، اسكندر دوماس ، الفريد دى موسيه ، فكتور هوجو ، جورج صند ..

وكانت تطالع كثيرا ، فتقرأ أحدث الروايات ، ولا يفوتها كتاب جديد ، وكانت مؤلفات دوماس الاب أحب الكتب الى نفسها ، واعجبتها قصة « مانون ليسكو » التى ضحت بنفسها فى سبيل عشيقها « دى جريو » ولم تكن لتعلم فى ذلك الوقت ان اسكندر دوماس الابن ، سيكتب قصة تكون هى بطلتها ، وان القصة ستكون شديدة الشبه بقصة مانون ليسكو

* * *

كان عمرها عشرين سنة حين أحبت رجلا آخر فى الثلاثين من عمره اسمه ادوار دى بيريجو ، وهو من الاشراف أيضا ، شجاع ، طيب القلب ، سليم النية ، من أولئك الرجال الذين يسهل على النساء خداعهم وامتلاك قيادهم

وبيريجو يسير فى الحياة بغير مبالاة ، ينفق ماله بلا حساب ، ويغرق نفسه فى الديون . حارب فى افريقيا ، وعرف نساء من كل نوع

أخذه أصدقاؤه ذات ليلة الى منزل مارى دوبليسى ، فهام بها ، وجعل يتردد عليها حاملا معه دائما أزهار الكاميليا

اختلى بها يوما فى احدى الحفلات ، وتناول حديثهما الحب والحنين ، فسألها الرجل :

ــ مارى ، هل أحببت فى حياتك ؟

فسعلت ، وضحكت ، ثم أجابت :

ــ واذا أجبتك باننى لم أحب ؟

ــ سأكون سعيدا بهذا الجواب

ــ لماذا ؟

سكت بيريجو .. ونهضت مارى من مكانها وهى تلهث ، وقالت له :

ــ الدخان كثير فى هذه القاعة .. افتح النافذة يا صديقى !

ومر أمامهما بعض المدعوين ، وكانوا يتحدثون عن ملك فرنسا فى ذلك العهد ، لويس فيليب ، وعن زوجته الملكة مارى اميلى . فقالت مارى :

ــ أتظن ان الملكة سعيدة ؟

ـ نعم ، اذا كانت تحب !

ـ آه ! الحب .. الحب ! ليس لكم من حديث أيها الرجال غير الحب ! اقفل النافذة يا صديقي ، فالهواء بارد !

وأخذ الرجل يديها بين يديه ، وشعر بان أصابعها باردة كالثلج ، ففركها بشدة ، ثم قبلها



وتوثقت العلاقات بينهما ، لكن ماري دوبليسي لم تجد السعادة في حياتها مع ذلك النبيل بالرغم من اهتمامه بها واسرافه في الانفاق عليها

انه غيور ، وهي تكره الرجل الغيور ، ولكنها تصفح عنه بعد كل مشاحنة تقوم بينهما بسبب تلك الغيرة ، ثم تخرج معه الى مخزن أو الى حانوت صائغ ، فيبتاع لها أحدث الأزياء وأفخر الحلى !

غير ان أسباب الخلاف تعددت بين العاشق الغيور والمرأة الخليعة المستهترة، وكثيرا ما كان يحدث ان تأمر الخدم بان يغلقوا الباب دونه ، فلا تقابله لبضعة أيام . وكان بيريجو يفقد صبره وشيكا ، فيقتحم بابها ، ويهددها بالضرب ، ويقول لها انها مدينة له بالطاعة ما دام ينفق عليها أمواله . فكانت تضحك ، ثم تداعبه ، فتهدأ ثورة غضبه ، ويصبح أمامها من جديد ذلك المحب الولهان ، المضحي بماله وكرامته ، فينطرح على قدميها يقبلهما ، ويردد قائلا : « ماري ! ماري ! اظنك تكرهينني ؟ »

وقد أجابته مرة : « من يدري ؟ اظن انني اكرهك ! » فبكى الكونت ادوار دي بيريجو !

هددته مرة بانها ستتركه وتسافر الى ايطاليا ، فأجابها انه سوف ينتحر اذا

نفذت وعيدها ، وواصل اسرافه ، فاشرف على الافلاس والخراب
وأخيرا ، علم ذات يوم ان ماري قد علقت برجل آخر ، وان العاشق الجديد من أصحاب الملايين ..
فذهب ولم يعد !

* * *

كان ذلك في سنة ١٨٤٤ ، في سهرة راقصة ، اذ اقترب منها رجل جاوز سن الكهولة ، متأنق في ملبسه وحديثه ، وواجهها مقدما نفسه :
ـ اسمحي لي يا سيدتي : أنا الكونت دي ستاكلبرج ، سفير النمسا سابقا !
وقبل يدها ، وتبادل معها بضع كلمات . وبعد شهر ، تناول عندها طعام العشاء
كان واحدا من أولئك الشيوخ المتصابين ، يملك ثروة طائلة ، ويطوف انحاء أوربا باحثا عن كل جديد وكل طريف. وأراد أن تكون ماري دوبليسي ، ذات الشهرة الواسعة ، صديقته وخليلته ، فكان له ما أراد . فوضع في خدمتها ملايينه ، وأصبحت ماري ، وهي في الحادية والعشرين من عمرها ، تعد بحق ملكة أماكن اللهو في باريس . وصنع لها أشهر الرسامين رسوما في أوضاع مختلفة ، وبيدها زهرة الكاميليا
واندفعت ماري دوبليسي في تيار الحياة الباريسية الهوجاء بلا تفكير ولا تقيد، وراح الكونت دي ستاكلبرج يحقق رغباتها ، وينفذ مطالبها ، بلا ابطاء ولا حساب ، لكي يغطي باسرافه وبذخه وكرمه ما فيه من عيوب ، ولكي ينسيها انها في الحادية والعشرين ، وانه في الثمانين !

* * *

استأجر لها الكونت دارا فسيحة ، ملأها بأثمن الرياش ، وزين جدرانها بأروع الرسوم ، وزخرفها بأبدع آيات الفن . وعرفت تلك الدار ، الواقعة في شارع المادلين رقم ١١ ، بانها من أفخر المنازل الخاصة في العاصمة الفرنسية
وفي تلك الدار ، عاشت ماري دوبليسي معظم سني حياتها ، وهناك كانت تتقبل آيات الاطراء والثناء والتزلف ، ولكنها ظلت تشعر بان السعادة بعيدة عنها . فهي تريد ان تحب ، غير ان قلبها لا يخفق بعاطفة الحب لاحد من أولئك الذين يحيطونها باطرائهم وثنائهم وتزلفهم !
نعمت بكل ما يمكن أن تحلم به امرأة تطلب الشهرة والجاه والثروة ، ولكنها كانت خلية القلب ، وكانت تتململ من الضجر !
ان خادمتها « كلوتيلد » مخلصة وفية ، وهي شريكتها في الحيل التي تمهد

اليها من وقت الى آخر ، للتهرب من هذا أو ذاك ، من العشاق الذين يطرقون الباب فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، ومن الكونت دى ستاكلبرج نفسه ، الذى ينفق على الحسناء

ان مارى دوبليسى لا تجد لذة حقيقية ، ولا تشعر بشىء من الهناء ، الا بين الازهار التى تملأ الدار ، أزهار الكاميليا التى ترسل اليها من كل فج وصوب، منسقة مرتبة ، وهى تحب تلك الزهرة البديعة ، ويحلو لها أن تعبث بها ، وان تلقى منها ، بين ساعة وأخرى ، باقة بعد باقة ، من نوافذ دارها ، لكى يسرع الفقراء فى الشارع الى التقاطها ، وبيعها للمارة ، والدعاء للسيدة ذات الكاميليا الطيبة القلب

انها تحب ركوب الخيل ، والكونت يملك منها الاصائل التى تثير الاعجاب . وان الانظار لتنتهبها من كل جانب عند ما تخرج على متن جوادها ، وتجتاز متنزهات باريس ، وعشيقها العجوز سائر وراءها ، فخور بها وبجياده !

فاذا أدركها التعب ، بعد طول السير فى الشوارع ، وقفت منهوكة القوى ، مبهوزة الانفاس ، مغمضة العينين ، وجعلت تسعل بلا انقطاع ، فيقف الكونت على مقربة منها ، حابسا أنفاسه ، لانه يعلم ان حبيبته لا تطيق سماع أحد يخاطبها ، وهى على تلك الحالة ، حتى اذا هدأت نوبة السعال ، تلفتت مارى الى الكونت قائلة بصوت خافت : « لا تخف ! لا تخف يا عزيزى ! هذا نتيجة السرعة ! لنعد الآن الى البيت ! »

* * *

اقتنت مارى فى ذلك المنزل الفاخر أغرب الحيوانات والطيور الأليفة وأثمنها . فكان عندها الكلاب والقطط والقرود وأنواع الببغاء والكنارى . وكان كلبها « توم » أعز تلك الحيوانات عندها . وكانت تقول : « عند ما تنتابنى نوبة من السعال ، لا يتألم لألمى غير هذا الكلب ! »

وعلى شدة رغبتها فى الراحة والهدوء ، فان حياتها تحولت الى حركة دائمة : لاضطرارها الى استقبال الناس فى دارها ، والى الخروج فى الصباح وفى المساء ، والذهاب الى حفلات السباق والسهرات الراقصة والمآدب الرسمية وغير الرسمية . هذا فضلا عن الوقت الذى كانت تقضيه عند الخياطات وبائعى الازياء والقبعات وتجار الروائح العطرية وأدوات الزينة

وكانت تفعل ذلك كله ، مندفعة فى تيار تلك الحياة الصاخبة ، وهى لاتشعر بشىء من الارتياح ، أو تعرف معنى للسعادة

وأهملت العناية بصحتها ، فجعلت وطأة السعال تشتد يوما بعد يوم، وشعرت

ماري بضيق في التنفس ، وذات ليلة ، وهي تأوي الى فراشها ، رأت على طرف منديلها نقطة من الدم !

أجفلت المسكينة ونادت خادمتها : « الى بطبيب في الحال ! الى بطبيب ! »

وجاء الطبيب :

ـ سيدتي ، لا بد لك من الراحة .. الراحة التامة .. يجب ان تلازمي سريرك ولا تخرجي من حجرتك !

ووصف لها طائفة من الأدوية

خافت ماري ، وجعلت ترتعد : أتموت في عنفوان الشباب ؟ أتموت وهي على تلك الحال من الضلال ، غارقة في بحار من الفساد ، غير تائبة الى الله عن خطاياها ؟

ركعت على ركبتيها وراحت تصلي ! فالضالون يعرفون الله في أوقات الشدة !

وكانت تقيم على مقربة منها احدى قريباتها ، وتدعى « كليمانس برات » وهي من تلك المخلوقات التي تعيش على حساب الغير ، تسعى الى الكسب بجميع الوسائل ، جشعة ، نهمة ، كاذبة ، سارقة . وهي تبغض ماري ولكنها تتظاهر لها بالحب والاخلاص ، فتستغل قلبها الطيب وتجني من ورائها المكاسب

وكليمانس برات هذه بارعة في اعداد مجالس اللهو والسهرات المرحة ، التي يسعى اليها طلاب الملذات في المدن الكبرى . وفي تلك المجالس والسهرات تتفنن المرأة تفننا عجيبا في الاستفادة من جوار ماري دوبليسي لها

وكانت ماري تجيب مطالبها بغير تردد ، لانها تعتمد عليها في اداء خدمات كثيرة ، كما ان الكونت النمساوي لا يرى غضاضة في أن تتصرف كليمانس الى اعداد أسباب التسلية لعزيزته ماري ، وهو كثيرا ما يقيم المآدب ويحيي الحفلات الساهرة في دار عشيقته ، لكي يدخل على قلبها السرور والانشراح

ولكن ماري كانت ، بعد كل حفلة ، وكل سهرة ، وكل مأدبة ، تشعر بالداء يفري جسمها ، وبنوع من الاختناق يقبض على عنقها

ان السيدة ذات الكاميليا مريضة ، وان الحياة التي تحياها لا تساعد على البرء من المرض

* * *

في تلك الظروف عرفت ماري دوبليسي الشاب اسكندر دوماس ، وهو في العشرين من العمر ، يرتع في العالم ضاحكا هازئا ، ويحمل على منكبيه اسما كبيرا ، اسم أبيه الكاتب القصصي الشهير ، ويداعب القريض من وقت الى آخر فتنشر الصحف أشعاره ويتناقلها الناس في مجالسهم

لم ينعم الشاب بحب والدته التي هجرها أبوه ، وكابد أياما صعابا مؤلمة فى صباه ، وراح يقطع الطريق فى الحياة بلا رقيب ولا مرشد . فأبوه مشغول عنه باعماله ، والشاب يعاشر الناس على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ، فيسهر ويسكر وينظم الشعر !



ويقص اسكندر دوماس فى مذكراته كيف رأى مارى دوبليسى للمرة الاولى ، فى احدى الحفلات التمثيلية ، بمسرح « فاريتيه » بباريس ، وكيف انه أخذ بجمالها واناقتها منذ النظرة الاولى حين رآها فى مقصورة مع بعض الاصدقاء ، وكان دوماس برفقة زميل فى « الصالة » فجعل يحدق فيها البصر ، وانتهره رفيقه قائلا :

ــ ما بك ؟ .. ان مارى دوبليسى تقلق بالك وتشغلك ! كن على حذر يا صديقى : فلست الرجل الوحيد الذى يحدث له مثل هذا ..

ــ لا بد ان اتعرف اليها !

ــ حسن ، سأقدمك اليها وأنت وشأنك بعد ذلك ، انها لا تصادق أيا كان من الناس ، بل هى دقيقة الاختيار . غير انك قد تجد حظوة لديها ، لانك شاعر ، والشعر سلاح تحسن استخدامه ، وانى لأرى حظك حسنا ، فهذه كليمانس برات معها ، وهى المرأة التى لا تفارقها أبدا . أنا مسرع اليها ، وسأمهد السبيل لكى تتناول العشاء عندها الليلة يا صديقى ، الا اذا كان لديها موعد آخر

وتركه رفيقه وابتعد ، ولم ينتظر دوماس فى تلك الليلة الى المسرح حيث يجرى التمثيل ، وانما علق بصره بالحسناء .. ثم غرق فى تفكير عميق ..

وعند ما أفاق من تفكيره ، كانت مارى قد غادرت المقصورة فلحق بها الى الخارج ، ورآها تبتعد فى مركبة يقودها الكونت دى ستاكلبرج ، فوقف لاهثا يتبع المركبة بالنظر

وجده رفيقه على تلك الحال ، فقال :

ــ حظك عظيم ! انها حرة الليلة . وستذهب الى بيتها مع كليماس .. لكنك شاحب اللون ! ما بك ؟ أتكون قد أحببتها قبل ان تعرفها ؟ كن على حذر !

نعم ، كان دوماس قد أحب مارى دوبليسى من أول نظرة ، وقبل ان يعرفها

* * *

تحول مجرى حياتها منذ ذلك اليوم الذى عرفت فيه اسكندر دوماس ، وبدأت قصة غرام جديدة ، كأن الذى مضى كله لم يكن

أخفت مارى فى بادىء الامر علاقتها بالشاب عن الكونت الذى ينفق عليها ، وجعل العاشقان يتجنبان لقاء الشيخ النمساوى الغيور ، ولكن هذا الحذر لم يدم طويلا ، فان مارى ، التى شعرت فى هذه المرة بان الحب الحقيقى الخالص قد طرق فؤادها واستولى عليه ، لم تعد تعبأ بالشيخ الذى ينفق عليها ، فباحت له بكل شىء ، وجعلت تخرج مع صاحبها الى الحفلات والمجالس ، ولا تحسب لشىء حسابا

غمرهما الحب وأصبح غرامهما محور حياتهما . وكان الاخلاص رائدهما ، فابتعدت هى عن كل ما من شأنه أن يثير فى نفس دوماس الغيرة والحسد ، وابتعد هو عن كل ما من شأنه ان يسىء الى حبيبته :

ــ أتحبنى يا اسكندر ؟

ــ أتحبيننى يا مارى ؟

هذا هو السؤال الذى كان يجرى على لسان كل منهما ، كلما التقيا أو اختليا فى البيت أو فى الخارج . وعلمت باريس كلها ان اسكندر دوماس الصغير ، ابن دوماس الكبير ، يعيش مع الغادة الحسناء مارى دوبليسى ، السيدة ذات الكاميليا ، زهرة المجالس والمجتمعات الباريسية

كتب دوماس فى مذكراته : « كنت فى حلم ، نعم كنت فى حلم . وكان يصعب على أن أصدق ما أنا فيه ، وان أتق من تلك الحقيقة الملموسة الناطقة . أنا سعيد ! »

وكانت مارى سعيدة أيضا . فهل تدوم سعادتها ؟ انها تتساءل ، وترتجف

حزونا على المستقبل . أيبقى حبيبها لها ؟ أتبقى هي على قيد الحياة ؟ ايترك لها المرض فرصة كافية لارواء ظمئها من تلك السعادة ؟

انها مريضة ، والسعال شديد ، وظهور الدم على منديلها يتكرر باستمرار

ـ سأموت يا اسكندر ، سأموت قريبا ! ..

ـ لا تقولى هذا ! .. اننى أمنعك ! ..

وكان يضع يده على فمها ، ثم يغمرها بالقبلات ، فترد عليه مظاهر حبه بأحسن منها

كانا يخرجان معا ، ويدفع دوماس نفقات السهر ، وكانت مارى تجهل انه فقير لا يملك شيئا ، وانه كان يقامر فى المنتديات الليلية لكى يتمكن من الانفاق عليها ، وتزويدها بازهار الكاميليا التى تحبها

ويدور الحديث بينهما حول الحب وانواعه . فتذكر مراحل حياة « مانون ليسكو » العاشقة التى خلد الكاتب بريفو ذكرها ، وتقول لدوماس :

ـ ان بينى وبينها شبها عظيما

فيقرها دوماس على هذا القول . ومنذ ذلك الوقت ، نشأت فى رأسه فكرة تخليد ذكرها هى فى رواية كرواية مانون ليسكو !

قالت يوما :

ـ انى أشعر بتعب شديد يا اسكندر .. المرض يقتلنى .. تعال نرحل الى اسبانيا حيث الجو دافء والسماء صافية .. أريد أن أعرف أباك .. أريد أن أقف على المسرح .. سأعمل ممثلة !

اما هو ، فانه يفكر فى الكونت العجوز . فالكونت لا يزال مع مارى دوبليسى ، انه ينفق عليها ، ولولاه لما تمكنت من المحافظة على حياة البذخ والترف ..

ولكن كيف العمل ؟ ان دوماس لا يملك ثروة ، ولا بد من الثروة لمارى دوبليسى !

لم يكن دوماس يجهل كل ذلك ، ولكنها الغيرة جعلت تأكل صدره ، وتنخر جسمه حتى العظم ! ان الكونت شريكه فيها ، فيجب أن يبتعد الكونت عن طريقه !

استدان خمسين ألف فرنك ، فانفقها مع مارى فى رحلة الى الارياف . حيث هربت من الكونت وقضت مع عشيقها الشاب أياما هى بلا شك أجمل أيام حياتها ، فى نظرها ، غير ان المرض ظل يلاحقها

أصيبت بنزلة صدرية فاضطرت من جديد الى ملازمة الفراش ، وجعل الاطباء

يفدون على دارها الواحد بعد الآخر . ورأى الكونت الفرصة سانحة فعاد الى الظهور

جاءها محملا بالهدايا والأدوية والتحف والثياب الدافئة ، وجعل يبذل لها النصح ويطلب منها أن تتذرع بالصبر وان تحتكم الى عقلها لا الى عاطفتها .

وجعل دوماس ، أمام عودة الكونت ، يعض نواجذه من الغيظ ..

شفيت مارى الى حين ، وعاودت عشيقها الفتى شجاعته .. وغيرته ! فهددها بان ينتقم من الكونت اذا ما عاد ثانية الى البيت

حينذاك ، ألقت مارى نفسها بين ذراعيه وقالت :

ــ ليكن ! لن أراه بعد الآن ، وسنعيش معا بعيدين عن الناس ، سأبيع أثاث الدار ، واحتفظ بخادم واحدة .. وسوف أصبح زوجتك يا اسكندر .. نعم سوف نتزوج !

وقعت هذه الكلمات على الشاب وقع الصاعقة ! الزواج ؟ أيتزوج امرأة مثل مارى دوبليسى ؟ ان فى الاقدام على عمل كهذا لخطرا يثير المخاوف.

وقال اسكندر دوماس !

ــ سنرى يا حبيبتي .. سنرى .. ان التعهد بذلك الآن سابق لأوانه .. ان فى زواجنا تضحية من جهتي يصعب على قبولها .. سنرى ..

فشعرت مارى بخيبة الأمل! ومنذ اليوم التالى ، ظهرت من جديد فى الحفلات الساهرة مع الكونت دى ستاكلبرج

ان الحياة تتطلب نفقات ، والنفقات تتطلب مالا كثيرا .. والدائنون لا يرحمون .. والكونت وحده قادر على الانفاق

غضب دوماس لهذا المسلك الذى عده خفة وقلة وفاء ، وامتنع عن التردد عليها ، وصار يرقب دارها من بعيد ، ويتجسس عليها ، ويبعث اليها باخباره مع كليمانس ، التى تطلعها على الحال النفسية المحزنة التى دفعت اليها ذلك العاشق المسكين !

رآها دوماس ذات مساء عائدة الى دارها بصحبة رجل لم يعرفه ، فكتب اليها خطابا قال فيه :

« عزيزتي مارى

« لست غنيا الى حد يجعلني قادرا على أن أحبك كما أريد . ولا فقيرا بحيث استطيع ان أحبك كما تريدين أنت . فلنتنس اذن .. الوداع .. »

* * *

كان عمرها اثنتين وعشرين سنة حين فارقها دوماس . وحزنت كثيرا لفراقه

وفكرت فى الانتحار .. وتضايقت من الكونت ستاكلبرج فطردته من بيتها..
واندفعت مرة أخرى فى تيار اللهو ، أملا فى ان تنسى وتجد العزاء والسلوى
وعاد اليها بيريجو ، ولكن الراحة لم تعد معه.وعرض عليها الزواج فقبلت.
وسافرت معه الى لندن ، حيث عقد زواجهما !
وقضيا شهر العسل على ضفاف التاميز !
أدرك بيريجو أنه تورط أكثر مما يجب ، وان هيامه بتلك المرأة جعله يقدم على عمل لا يتفق مع اسمه ومكانته ومركز أسرته
ونشب الخلاف بين الزوجين على أثر عودتهما الى باريس . وانتهى الأمر بان افترقا ، بعد ان تعهدت مارى لزوجها بانها لن تطالبه بشىء . فابتعد ولم تره منذ ذلك الوقت . ولكنها ظلت تحمل اسم الرجل الذى لم تحبه قط ، والذى تزوجته فى ساعة لم يكن عقلها فيها مسيطرا على ارادتها . وصار الناس يسمونها : الكونتس دى بيريجو ! وشاءت الاقدار أن يمر بطريقها الموسيقى « فرانز ليست » فخفق له قلبها ، وبادلها الفنان عاطفتها بمثلها ، وألح عليها لتذهب معه الى المانيا ، لكى يتزوجها ويعيشا معا فى مدينة وايمار . ثم اتفق العاشقان على أن يسبقها فرانز الى المانيا ، فيعد العدة لرحلة الى الشرق ، وتهتم هى ببيع منزلها ثم تلحق به حيث يريد . وسافر فرانز بعد أن ودعها وداعا حارا ، وتبادل الاثنان يمين الوفاء..ووقفت فى نافذتها تنظر اليه وهو يبتعد..
ثم انتابها سعال شديد !

- ٣ -

الغروب

انها وحيدة !
نعم وحيدة بالرغم من الرسائل التى ترد من فرانز ليست..
وحيدة ومريضة : الاطباء لا يقولون الحقيقة ، ونومها متقطع تلوثه الأحلام المزعجة .. وفى لياليها الموحشة ، تتصاعد أصوات مزعجة ، تطالبها بالديون التى لم تدفعها ، والتى تعجز عن دفعها ..
الفاقة .. العوز .. المطالبات المستمرة .. هذا لا يطاق ، هذا لا يمكن ان يدوم .. لا بد من الاستغناء عن الطاهية ، وشراء الطعام معدا من الخارج .. ولا بد من الاكتفاء بالخادم كلوتيلد ، التى قضت سنوات عديدة متفانيـة فى خدمتها ، والتى تنتظر الفرج لكى تدفع لها سيدتها ما تأخر من أجرها .. اما الخادم الآخر ، فلا حاجة بها اليه .. واما الحوذى ، فلا بد منه ، فهو خادم قديم وفى.. وله أيضا مبلغ من المال فى ذمتها ..



أرادت أن تدفع ديونها ، فاستدانت من جديد .. كانت تأخذ من هذا لتدفع لذاك .. فغاصت في اليم بدلا من ان تنقذ نفسها من الغرق . وقررت ان تسافر الى الخارج لعل في السفر بابا للفرج

وسافرت الى بروكسل ، حيث التقت برجل من الاغنياء ، أحبها وأراد أن تكون علاقتهما سرا مخافة كلام الناس ، فجعلت تعبث به وتعمل على غيظه ، ووجدت لذة غريبة في توريط ذلك المحب الهائم في مواقف قد تسيء الى سمعته وكرامته ..

رافقها ذات يوم الى حفلة ساهرة ، التقت فيها أكبر الشخصيات في بروكسل واشهرها ، فانطلقت مارى ترقص مع الراقصين ، وتضحك مع الضاحكين ، وفى تلك السهرة ، قابلت الكاتب الفرنسى الذى عرفته في باريس ، جول جانان ، فتركت رفيقها اثناء الحفلة ، وأسرعت الى جانان ، وطلبت منه ان يراقصها ففعل ، وانتقلت من يد الى أخرى ، وسكرت بنشوة المرح في تلك الليلة ، ثم خرجت من الباب دون أن يتنبه صديقها البلجيكى الى خروجها .. ولم يرها بعد ذلك اليوم

* * *

ذهبت مارى دوبليسى الى مدينة سبا للاستشفاء بمياهها المعدنية ، ولكنها بدل ان تجد الراحة والهدوء ، وجدت نفسها بين جماعة من العاطلين الذين قصدوا تلك المياه ، فأحاطوها بمظاهر اعجابهم ، وجعل كل منهم يبثها غرامه ، بينما

الدائنون يلاحقونها الى تلك المدينة البعيـدة عن باريس ، يطالبون بحسابهم ويهددون بالحجز على مقتنياتها التى تركتها وراءها ، وعلى ثيابها فى الفندق الذى نزلت فيه

قامرت على أمل الربح ، فربحت ، ثم خسرت ، ولم يبق معها ما يكفى لنفقات العودة ، فرضيت بان يرافقها رجل لا تعرفه ، من سبا الى باريس

ومنذ عودتها الى العاصمة الفرنسية ، اطلقت لغريزتها العنـان ، واغرقت نفسها فى الملذات بلا تفكير ولا حساب

ظل فرانز ليست يراسلها من الخارج ، وظلت هى من ناحيتها تصادق اليوم أناسا لتهجرهم غدا ، شاعرة بأنها مسرعة الى القبر ، وبأن حبل حياتها يوشك ان ينقطع

وعاودتها حمى السفر والتنقل ، فغادرت باريس الى سبا ، ثم الى بادن ، ثم الى وسبادن ، ثم الى ايمس

وهناك حط عليها المرض بأثقاله ، وانتابتها نوبات من السعال والاختناق ، فظنت ان ساعتها قد دنت ، وتناولت ورقة كتبت فيها هذه الكلمات : « أنا وحيدة فى ايمس ومريضة جدا . اسرع وسامحنى . الوداع ! » والقت بالورقة الى خادمتها الامينة كلوتيلد

وأخذت كلوتيلد الرسالة لتضع عليها عنوانا ، فسألت :

ـ الى المسيو ليست ؟

ـ كلا يا كلوتيلد

ـ اذن ، الى المسيو دوماس ؟

ـ كلا .. بل الى زوجى !

نعم ، كتبت مارى دوبليسى الى الرجل الذى تحمل اسمه ، الى الكونت دى بيربجو تطلب منه الصفح والغفران . وعادت الى باريس حيث وجدت بيتها فى حالة من الفوضى والاهمال لا توصف ..

وبدأ الدائنون يفدون عليها منذ ساعات الصباح الأولى ، كل يطالب بماله ، وكل يصيح بأعلى صوته ، وكانوا يدخلون الدار ويطوفون فى حجراتها ، يفحصون الاثاث والرياش والتحف ، ويقومون كل شىء يقع عليه نظرهم ، ليعرفوا حين يباع فى الغد القريب ، هل يكفى لسداد دينهم !

وكانت مارى تعرض كل يوم ذلك الجيش من المطالبين الملحين :

ـ حسن ، حسن أيها السادة ! سأدفع لكم .. كونوا على ثقة بأننى سأدفع لكم أموالكم الى آخرها .. لن تخسروا فلسا واحدا !..



كانت تبكى .. ثم تخرج فى مركبتها التى احتفظت بها وبالحوذى القديم الوفى ، فتجتاز شوارع باريس حيث يلتفت اليها الناس متسائلين : « كيف ؟ ألا تزال مارى دوبليسى على قيد الحياة ؟ أين كانت ؟ كنا نظن انها ماتت ! »

وبين الاشجار الكثيفة ، فى الضواحى ، كانت مارى تجلس وتبكى .. وتفكر فى اسكندر دوماس .. الذى قيل لها انه لا ينساها ، بل يتحدث دائما عنها ، ويطوف مع أبيه فى أنحاء أوربا ..

* * *

وجدت رجلا من النبلاء الاغنياء يمكنها الاعتماد عليه لاسكات الدائنين : هو الكونت دى كاستلان ، وقد تغلب الرجل عليهم فخفتت أصواتهم ، اما لأنه هددهم بأن ديونهم ستضيع عليهم ، واما لأنه دفع لهم جزءا منها

وهبط عليها بيريجو من جديد : بيريجو زوجها الذى اسرع للصفح عنها رأته فصاحت به :

ـ من جاء بك الى هنا ؟

ـ أنت .. أنت دعوتنى اليك !

ـ وهل أنا فى حاجة اليك لكى أموت مرتاحة ؟ اخرج! اخرج! .. ألا تشعر باننى أكرهك ؟ ألا ترى انك تقتلنى !

فخرج بيريجو ، والقت مارى بنفسها على الارض منتحبة باكية .. وسال الدم من فمها :

ـ كلوتيلد ! كلوتيلد ! لا تدعى هذا الرجل يدخل مرة أخرى الى البيت .. أريد أن أموت بين يدى رجل أحبه .. وليس بيريجو بذلك الرجل !

جاء كاستلان برسام بارع رسم صورتها فى تلك السنة ، ١٨٤٦ ، وكان عمرها ٢٣ سنة . وذلك الرسم هو الذى تناقله الناس ، وقد ظهرت فيه مارى دوبليسى فى ثوب اسود ، وفى صدرها زهرة الكاميليا التى أحبتها

وخضعت لأوامر الأطباء بقدر ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وظل كاستلان يسهر على راحتها ، وينفق على علاجها منفذا بدقة كل ما يصفه الأطباء . .

ثم اضطر الى الرحيل ، ملتحقا بالجيش ، وارسل الى الجزائر حيث الحرب قائمة بين فرنسا والأمير عبد القادر الجزائرى

كتب لها مرارا . . ثم انقطعت رسائله . . ثم امتنع عن ارسال النقود . .

وعاد الدائنون الى حصار البيت ! فاضطرت مارى الى بيع ثيابها ، والى رهن البقية الباقية من الحلى والتحف الثمينة التى احتفظت بها

وعرفت البؤس فى جميع مظاهره . .

جالدت نفسها ذات ليلة وذهبت الى « الاوبرا » فاحدقت بها الأبصار من كل صوب . ولكن مارى دوبليسى لم تعد تلك الحسناء البارعة الجمال ، التى تفتن الالباب : انها مريضة عليلة تجر نفسها نحو القبر ، ولو لم يسرع اليها الكونت دى ستاكلبرج ويسندها بيده ، وهى خارجة من المقصورة لاضطرت — للمرة الأولى فى حياتها — الى السير وحدها فى الشارع !

كانت نهايتها تقترب ! فحبست مارى دوبليسى نفسها فى بيتها ، ولم يكن الباب يفتح الا لكى تعتذر كلوتيلد الى أحد الدائنين عن عجز سيدتها عن الدفع

وبالرغم من ان زوجها دى بيريجو ، والكونت دى ستاكلبرج الذى غمرها بماله من قبل ، كانا يترددان عليها ، فانها لم تطلب منهما تسديد ديونها ، ولم يقدما من تلقاء نفسيهما على ذلك

ذهب زوجها مرة الى العراف «الكسيس» الذى يقرأ البخت ويتنبأ بالمستقبل، فسأله رأيه فى حالة المريضة

أجاب الرجل : « عد اليها حالا ، فان هذه المرأة تموت ! »

وماتت مارى دوبليسى فى اليوم التالى

* * *

تلقت فى الأيام الأخيرة ، قبيل موتها ، رسائل من فرانز ليست، واسكندر دوماس ، ولكنها لم ترهما . . وهما الرجلان اللذان أحبتهما ، واللذان لم يوفرا لها السعادة والهناء . .

لم يسر وراء نعشها غير بضعة أشخاص ، بينهم زوجها دى بيريجو، وعشيقها

السابق دى ستاكلبرج ، اما الكثيرون ممن كانوا يركعون عند قدميها وهى فى أوج مجدها ، فلعلهم قد تضايقوا عنـد ما اضطرت مركباتهم الى الوقوف فى الشارع ، بسبب مرور جنازتها !

دفنت مارى دوبليسى فى مقبرة مونمارتر . ثم نقلها زوجها الى مدفن آخر . وتحدثت الصحف عن وفاة الغادة الحسناء مدة اسبوعين ..

وفى أثناء ذلك ، جاءت اختها دلفين لأخذ ما بقى من آثار البذخ القديم ، فى حجرة مارى المسكينة ..

لكن الدائنين كانوا بالمرصاد ! فان مارى دوبليسى مدينة لهم بعشرين ألف فرنك !

بيعت مخلفات الغانية الراحلة فى مزايدة ، وتوافد الباريسيون لشراء الثياب والتحف والحلى الباقية . وكان بين الوافدين شاب وقف حزينا كئيبا فى ركن من الدار : هو اسكندر دوماس ، العائد من اسبانيا .. ولكنه وصل بعد فوات الوقت

كان بين الأشياء المعروضة للبيع عقد من اللؤلؤ ، قدمه الكاتب العاشق الى حبيبته عند ما كان يشاطرها حياتها وهناءها . فاشتراه ، ووضعه فى جيبه ، وخرج من البيت ، ثم تناوله من جديد فى الشارع ، وطبع عليه قبلات حارة

وجادت قريحته ، وهو سائر فى الطريق ، بأبيات من الشعر دونها فى ورقة :

وجدت حجرتك الهادئة المظلمة ..
والذكرى فيها باقية ، قوية ، مقدسة !
وشعاع من النور يضىء السرير النائم فى الظلام ..
ولكنك أنت لست نائمة فى السرير الفضاء !

وعاد اسكندر دوماس الى بيته ، وفكر طويلا : ما الحياة ؟ ..

هذه ورقة بيضاء ملقاة أمامه ..

تناولها بيده ، وخط عليها هاتين الكلمتين : « غادة الكاميليا .. »

وخلد اسم عشيقته السابقة ، فى قصة جاءت من روائع الأدب الفرنسى ! ولكنه أطلق لمخيلته العنان ، ونزع عن صورة المرأة جميع العيوب ، وخلع عليها طائفة من الصفات الحسنة . فأصبحت مارى دوبليسى ، بفضل دوماس الابن ، وبفضل قصته « غادة الكاميليا » نموذج المرأة العاشقة التى لم تنعم بالحب ، والتى راحت ضحية وفائها واخلاصها .